

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
اسم الكتاب السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام  
المؤلف دكتور محمد بيومي مهران استاذ جامعة الإسكندرية

السيدة فاطمة الزهراء

السيدة فاطمة الزهراء

اهداء

تقديم

أهل البيت- كمقدمة للأجزاء الأربعة التالية

السيدة فاطمة الزهراء- كجزء أول من هذه الأجزاء الأربعة

القسم الأول (أهل البيت )

أهل البيت

الرأي الأول: هم أزواج النبي

الرأي الثاني: هم من حرمت عليهم الصدقة من بني هاشم

الرأي الثالث: هم النبي و علي و فاطمة والحسن والحسين

فضائل أهل البيت

في القرآن الكريم

في الحديث الشريف

من خصائص أهل البيت

الصلاة على أهل البيت

محبة أهل البيت

طهارة أهل البيت

تحريم الصدقة على أهل البيت

حق أهل البيت في الغنائم

الإمام الحجّة من أهل البيت

أهل البيت: أهل البلاء و الإصطفاء

المهدى المنتظر من أهل البيت

حفظ ذرية النبي في أهل البيت

القسم الثاني (السيدة فاطمة الزهراء )

في رحاب النبي

مولد الزهراء

أسماء الزهراء

حياة الزهراء في مكة المكرمة

حياة الزهراء في المدينة المنورة

مشابهة الزهراء النبي

مع الإمام علي

زواج الزهراء بالإمام علي

بيت الزهراء

حياة الزهراء الزوجية

الزهراء و وفاة النبي

موقف الزهراء من الخلافة و ميراث الرسول

الزهراء و الخلافة

الزهراء و ميراث الرسول

فضائل الزهراء

في القرآن الكريم

في الحديث الشريف

الزهراء سيدة نساء المؤمنين

الزهراء سيدة نساء أهل الجنة

مشابهة الزهراء للنبي

الزهراء بضعة رسول الله

الزهراء أحب الناس إلى النبي

تنكيس الرؤوس لمرور الزهراء يوم القيامة

تحريم الزهراء و ذريتها على النار

مرور النبي بباب فاطمة في صلاة الصبح

غضب الله تعالى لغضب الزهراء

طهارة الزهراء من الحيض

أجرى الله تعالى الزهراء مجرى مريم

حفظ ذرية النبي في ذرية الزهراء

الزهراء سيدة نساء العالمين و أفضلهن

وفاة الزهراء

## السيدة فاطمة الزهراء

### اهداء

- إليك يا ابنة رسول الله إليك يا زوج إمام الأئمة إليك يا أم السادة الأشراف نسل النبي إليك يا سيدة نساء أهل الجنة إليك يا من قال عنها رسول الله إليك يا سيدتي يا قرة عين النبي أشرف بإهداء هذا الدارسة وكلّي أمل من ربي، جل جلاله، أن يتقبلها
- إليك يا أحب الناس إلي رسول الله إليك يا أم الحسن والحسين إليك يا سيدة نساء المؤمنين إليك يا سيدة نساء العالمين فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها فقد أغضبني إليك يا سيدتي يا فاطمة الزهراء البتول وكلّي أمل من ربي، جل جلاله، أن يتقبلها وكلّي أمل من ربي، جل جلاله، أن يتقبلها

## تقديم

إنهنا من الأجزاء الثلاثة الأولى من هذه السلسلة «في رحاب النبي وآل بيته الطاهرين»، من سيرة سيد الأنبياء، والمرسلين، سيدنا ومولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتحدث في هذا الجزء الرابع، من السلسلة عن «السيدة فاطمة الزهراء» وهو في نفس الوقت إنما يمثل الجزء الأول من الأجزاء الأربعة التي خصصناها لآل البيت الطيبين الطاهرين، وقد قسمناه إلى قسمين رئيسيين:

الأول عن: أهل البيت- كمقدمة للأجزاء الأربعة التالية .

والثاني عن: السيدة فاطمة الزهراء- كجزء أول من هذه الأجزاء الأربعة .

## أهل البيت- كمقدمة للأجزاء الأربعة التالية

وإحدى عن «أهل البيت» حديث قديم جديد، فمنذ صير الإسلام، وإلى يوم الناس هذا، وإلى ما بعد يوم الناس هذا، والمؤرخون وأهل السير يكتبون في مناقب أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وستظل الأقلام تسطر عظمتهم، ما كان للعظمة من ذكر، فلقد استوفقت تعاليمهم الباحثين من أمم مختلفة، ومذاهب متباينة، لأنهم وجدوا فيها عظمة الله، وهيبة الحق، وقوة العلم، وكرامة الإنسان، واحترام الحياة، وجلال الكون، فاستلهموها واتخذوا منها مقياساً للحق والفضيلة، ومصدراً للعلم والتشريع.

وبدهي أنه لا غرابه في ذلك، فأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله- كما قيل فيهم- هم عيش العلم وموت الجهل، يخبرك حلمهم عن علمهم، وصمتهم عن حكم منطقتهم، لا يخالفون الحق، ولا يختلفون فيه، هم دعائم الإسلام وولائج الاعتصام، بهم عاد الحق في نصابه وانزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن منبته، عقلو الدين، عقل وعايه ورعايه، لاعقل سماع وروايه، فإن رواة العلم كثير، وعائه قليل.

وأهل البيت- بيت النبي صلى الله عليه وآله- إنما هم شجرة النبوة، ومحط الرسالة، منبع الرحمة، ومعدن العلم، وينابيع الحكمة، وكنوز الرحمن، ناصرهم ومحبهم ينتظر رحمة الله ونجاته، ومبغضهم يستقبل نعمة الله وسطوته، بهم هدايتنا من الظلماء، وهم سر جدهم المصطفى، صلوات الله عليه وعليهم أجمعين .

هذا وقد حاولنا في هذا الجزء من هذه الدراسة، أن نتحدث من هم أهل البيت النبوي الشريف؟ فناقشنا الآراء المختلفة التي دارت حول هذا التجديد، وارتضينا- عن اقتناع وإيمان- أن أهل البيت إنما هم ساداتنا الخمسة الكرام البررة: سيدنا ومولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلي وفاطمة والحسن والحسين، عليهم السلام، قال بذلك كثير من صحابه رسول الله صلى الله عليه وآله وعائشه وأهل بيته من أهل الحديث، قال به الفخر الرازي في التفسير الكبير والزمخشري في الكشاف، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن، والشوكاني في فتح القدير، والطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن، والسيوطي في الدر المنثور، وقال به الإمام أحمد بن حنبل في المسند وابن حجر العسقلاني في الإصابة والحاكم في المستدرک والذهبي في تلخيصه .

وقد قدّمنا الكثير من الأدلة على ذلك من الحديث الشريف ومن كتب التفسير، ومن أقوال أهل البيت الكرام البررة، والحق أن لفظ «أهل البيت»، إذا أطلق إنما ينصرف إلى علي وفاطمة والحسن والحسين، عليهم السلام، وذريتهم، وإن لم يكن له إلا شهرته فيهم لكفي .

وهذا وقد تحدث القرآن الكريم والحديث الشريف عن فضائل أهل البيت، ففي القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تشير إلى فضل أهل البيت، لعل من أشهرها: آية الأحزاب (33) يقول تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)، وهذه الآية الكريمة- فيما يرى جمهور العلماء- هي منبع فضائل أهل البيت، لا شتمالها على غير ماثرهم، واعتناء البارئ- عزوجل- بهم حيث أنزلها في حقهم، وآية الشورى (23) يقول تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجرأ إلا المودة في القربى)، وروى الإمام أحمد والطبراني وابن أبي حاتم والواحدي عن ابن عباس أنه قال: لما نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله، من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وبناتهما، وآية الأحزاب (56) قال تعالى:

(إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً)، روى البخاري في صحيحه- عن كعب بن عجرة- قال: «قيل يا رسول الله، أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة؟ قال قالوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وآل محمد، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.» وفي هذا دليل على أن الأمر بالصلاة على آل محمد، مراد من الآية، وإلا لما سألوا عن الصلاة على أهل البيت عقب نزولها، ولم يجابوا بما ذكر، على أن النبي صلى الله عليه وآله إنما أقام أهل البيت مقام نفسه من ذلك، لأن القصد من الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وآله أن ينيله مولاة، عزوجل، من الرحمة المقرونة بتعظيمه ما يليق به، ومن ذلك ما يفيضه، عزوجل، منه على أهل بيته، فإنه من جملة تعظيمه وتكريمه صلى الله عليه وآله، ويؤيد ذلك ما جاء في طرق أحاديث الكساء من قوله صلى الله عليه وآله: «اللهم هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك علي آل محمد»، وروي عنه صلى الله عليه وآله أنه قال «اللهم إنهم مني وأنا منهم، فاجعل صلواتك وبركاتك عليهم.»

وأما الحديث الشريف، فلقد ورد الكثير من أحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله التي تبين فضل أهل البيت، وتحض المسلمين علي مودتهم وموالاتهم، وتفر من بعضهم وكرهيتهم، بل وتعلن بوضوح وجلالة ان حب آل النبي صلى الله عليه وآله من رضاء صلى الله عليه وآله من رضاء صلى الله عليه وآله، وأنه لا أمل لمن يكره آل النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله من رضاء صلى الله عليه وآله في الدنيا وشفاعته في الآخرة .

وقد روي الإمام مسلم في صحيحه- عن زيد بن أرقم- قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خُماً بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه وعظ وذكر، ثم قال: أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر، يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما: كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي.»

ورواه الإمام أحمد والنسائي، وفي روايه للترمذي «إنني تارك فيكم ما إن تمسكنم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما»، وروى ذلك أيضاً أبوذر و أبوسعيد و جابر و حذيفة بن أسيد، وأورد ابن تيمية في الفرقان .

و قد سمي الرسول صلى الله عليه و آله القرآن و أهل بيته ثقلين، و الثقل كل نفيس خطير مصمون، و هما كذلك، إذ أن كلا منهما مدد العلوم الدينية، و الحكم العلمي، و الإحكام الشرعية، و قال الطيبي- كما في تحفة الأحوذى- لعل السر في هذه التوصية، و اقتران العترة بالقرآن، أن إيجاب محبتهم لائح من معنى قوله تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجرأ إلا المودة في القربى)، فإن الله تعالى إنما جعل شكر إمامه و إحسانه بالقرآن منوطاً بمحبتهم على سبيل الحصر، فكانه صلى الله عليه و آله يوصي الأمة بقيام الشكر، و قيد تلك النعمة به، و يحذرهم عن الكفران، فمن أقام بالوصية و شكر تلك الصنعة يحسن الخلافة فيهما لن يفترقا، فلا يفارقانه في مواطن القيامة و مشاهدتها حتى يردا علي الحوض، فشكر صنيعه عند رسول الله صلى الله عليه و آله حينئذ هو بنفسه يكافئه، والله تعالى يجازيه الجزاء الأوفى، و من أضع الوصية و كفر النعمة فحكمه على العكس، و على هذا التأويل حسن موقع قوله صلى الله عليه و آله: «فانظروا كيف تخلفوني فيهما»، أي تأملوا و تفكروا و اسعملوا الروية في استخلافي إياكم، هل تكونون خلف صدقي أو خلف سوء.»

هذا وقد اخص الله تعالى أهل البيت بخصائص كثيرة، منها أن من كرامة أهل البيت عند الله تعالى، أن جعل الصلاة عليهم- كما أشرنا آنفاً- مقرونة بالصلاة على جددهم العظيم، سيد الأولين و الآخرين، و أفضل الأنبياء و المرسلين صلى الله عليه و آله في كل صلاة، و في كل تشهد، و منها أن الله تعالى قد أمر- كما أوصى الرسول صلى الله عليه و آله- بحب أهل البيت، لأنهم غصون هذه الدوحة المباركة، التي أصلها في الأرض، و فرعها في السماء، و التي اصطفاه الله تعالى من بين خلقه، و اصطنعها على عينه، فبطلت أوج الكمال في الروح و الجسد، و في السر و العلن، و ذلك لأنها بضعة أشرف الخلق و أكرم الأنبياء، و يقول ابن كثير، و لا تنكر الوصاة بأهل البيت، و الأمر بالإحسان إليهم و احترامهم و إكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة، من أشرف بيت وجد على وجه الأرض، فخرأ و حسباً و نسباً، و صدق سيدنا رسول الله صلى الله عليه و آله إذ يقول- فيما يروي مسلم في صحيحه- «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، و اصطفى قريشاً من كنانة، و اصطفى من قريش بني هاشم، و اصطفاني من بني هاشم.» ثم لأن مقام أهل البيت من مقام النبي صلى الله عليه و آله، فهم في كل عصر و زمان خير الناس، و خيرهم بيتاً، لأن الله تعالى اختار نبيه من خير البيوت و أشرفها «الله أعلم حيث يجعل رسالته» هذا فضلاً عن أن حكمة الله في خلقه، و رحمته بعباده، اقتضت أن تستمر بأهل البيت ذرية سيد المرسلين صلى الله عليه و آله إلى يوم الدين، تشع بصيانتها على العالمين، و ترشد بهدائها الصالحين، و من ثم فإن التاريخ لم يعرف أهل بيت أحبهم الناس من قوميات و مذاهب شتى، كأهل البيت، أحبهم أحياء و أموات، فألف العلماء الكتب في منزلتهم عند الله تعالى و عند الناس، و نظم الشعراء الدواوين و القصائد في مديحهم، وردت الخطباء فضائلهم على المنابر و في

المحافل، و ما من مسلم في شرق الارض و غربها يصلي لله، إلا و يذكر رسول الله و آله بالصلاة و التسليم . و بدهي أن هذه ليست كلها خصائص أهل البيت، فهناك غيرها الكثير، من ذلك أن أهل البيت، سلالة النبي صلى الله عليه و آله إنما هم أهل الحسب و النسب، و الطهر و الشرف، لا يلوثهم رجس و لا ينالهم دنس، فلقد طهرهم الله، فضلاً منه و كرمأ، ثم دعا لهم جددهم المصطفى صلى الله عليه و آله، و هو الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، فقال صلى الله عليه و آله: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، فاذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً»، كما أنهم أهل البلاء و الاصطفاء، و جعل لهم في الغنائم حقاً معلوماً، و حرم عليهم الصدقة، لأنها أوساخ الناس، و جعل الإمام الحجة منهم، و في الحديث «إن الله يمن على أهل دينه في رأس كل مائة سنة برجل من أهل بيتي، يبين لهم أمور دينهم»، و من ثم فقد ذهب قوم إلى أن القطب في كل عصر، لابد و أن يكون من أهل البيت النبوي الشريف، و إن رأى أبو العباس المرسي- كما نقل عنه تلميذه ابن عطاء- أن القطب قد يكون من غيرهم، ولكن قطب الأقطاب لا يكون إلا منهم، لأنهم أركى الناس أصلاً، و أوفرهم فضلاً، كما أن المهدي المنتظر من آل البيت، قال صلى الله عليه و آله: «المهدي منا، يختم الدين بنا، كما فتح بنا، و قال صلى الله عليه و آله: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة.» بقيت الإشارة إلى أن هذا القسم الأول (أهل البيت) إنما كان مقدمة ضرورية لدراسة سير ساداتنا آل الطاهرين المطهرين: السيدة فاطمة الزهراء و الإمام علي بن أبي طالب، و الإمام الحسن بن علي، و الإمام الحسين بن علي .

## السيدة فاطمة الزهراء- كجزء أول من هذه الأجزاء الأربعة

و أما القسم الثاني من هذا الدراسة، و الذي يحمل اسمها الأصلي «السيدة فاطمة الزهراء» فإنما يتحدث عن أم الزرية الطاهرة، فاطمة الزهراء، سيدة نساء أهل الجنة، بنت النبي صلى الله عليه و آله، و زوج الإمام علي، و أم السبطين، عليهم السلام .

و قد ولدت الزهراء في بيت النبوة و الرسالة، و مهبط الوحي و التنزيل، و هكذا تأديت الزهراء بآب أبيها النبي، الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه، و من ثم فقد كانت سيدتنا فاطمة الزهراء، المثل الأعلى من الخلق الكريم، و الطبع السليم، و قد عنى بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه و آله عناية تامة، فكان يتفقها ثقافة إسلامية، و يروضها على الهدى النبوي، و الصراط المستقيم، و من ثم فقد نشأت الزهراء نشأة كانت المثل الأعلى من الكمال و الجلال، فهي إنما تمثل أشرف ما في المرأة من إنسانية و كرامة و عفة، و قداسة و رعاية، إلى ما كانت عليه من ذكاء و قاء، و فطنة حادة، و علم واسع، و كفاها فخرأ أنها تربت في مدرسة النبوة، و تخرجت في معهد الرسالة، و تلتقت عن أبيها الرسول الأمين صلى الله عليه و آله و ما تلقاه عن رب العالمين .

و من البدهي أن الزهراء تعلمت في دار أبيها، مالم تتعلمه طفله غيرها في مكة، بل و في الدنيا كلها، و صدقت أم المؤمنين أم سلمة، رضي الله عنها، حيث تقول «تزوجني رسول الله صلى الله عليه و آله و فوض أمر ابنته إلي، فكنت أؤدبها و أدلها، و كانت والله أدب مني و أعرف بالأشياء كلها.»

و أوليست هي- يا أم المؤمنين- بضعة رسول الله صلى الله عليه و آله، أو ليست هي «أم أبيها» كما كان يسميها سيد المرسلين، أوليست هي التي اصطفاهها الله لتكون التيار الذي يحمل نور النبي صلى الله عليه و آله عبر أسلاك الزمن، و لتضاء البشرية بعد ذلك من هذا النور الفياض، و صدق الأستاذ العقاد حيث يقول: «في كل دين صورة للأبوة الكاملة المقدسة، يتخضع بتقدسها المؤمنون، كأنما هي آية الله فيما خلق من ذكر و أنثى، فإذا تقدست في المسيحية صورة مريم العذراء، ففي الإسلام، لاجرم، تتقدس صورت فاطمة البتول .

و كانت الزهراء، عليها السلام- فيما تروي كتب السيرة- أشبه الناس بأبيها سيد الأنبياء و المرسلين، و كانت السيدة خديجة، رضي الله عنها، ترى في هذا الشبه بركة من بركات الله عليها و علي آل البيت الكرام، و قد أخرج الترمذي بسنده عن عائشة أم المؤمنين قالت: «ما رأيت أحد أشبه سمتاً و دلاً وهدياً برسول الله صلى الله عليه و آله في قيامها و قعودها، من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و آله، قالت: و كانت إذا دخلت على رسول الله صلى الله عليه و آله قام إليها فقبلها و أجلسها في مجلسه، و كان النبي صلى الله عليه و آله إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته و أجلسته في مجلسها.»

هذا وقد اخص الله- بمنه و كرمه- الزهراء من بين أخواتها بنات النبي صلى الله عليه و آله بالدرجة الرفيعة التي رفعها إليها، فجعلها في مقام مريم ابنة عمران، حيث وصفها رسول الله صلى الله عليه و آله بأنها خير نساء العالمين، و اخصها أيضاً بأن جعلها وحدها- من دون أبناء النبي و بناته- هي التي كان منها سبط رسول الله صلى الله عليه و آله، الحسن و الحسين و منها كان نسل رسول الله صلى الله عليه و آله، و من ثم فقد كان للزهراء- بضعة النبي و سيدة آل البيت، و أم الأئمة، و سيدة نساء المؤمنين- كثيراً من الفضائل التي أنعم الله بها عليها، إكراماً و تشريفاً لأبيها النبي الرسول، سيدنا و مولانا وجدنا محمد رسول الله صلى الله عليه و آله، و قد جاء بعض هذه الفضائل في كتاب الله، و جاء بعضها الآخر في سنة رسول الله صلى الله عليه و آله . ففي القرآن الكريم، تشارك الزهراء أهل البيت فيما نزل فيهم من أي الذكر الحكيم، كما في آية المباهلة (آل عمران 61)، و آية التطهير (الأحزاب 33)، و آية مودة القربى (الشورى 23)، و آيات سورة الإنسان (7- 12)، و غيرها .

و أما الحديث الشريف فقد جاء عن الزهراء الكثير، و في هذا الكثير يعلمنا سيدنا و مولانا رسول الله صلى الله عليه و آله مكانة الزهراء، عليها السلام، و من ذلك ما رواه البخاري و مسلم و أحمد و الترمذي و ابن حبان و السيوطي من أنها سيدة نساء أهل الجنة، و سيدة نساء المؤمنين، و ما رواه الإمام أحمد و أبو يعلى و الطبراني و الحاكم و ابن عبد البر من أنها إحدى سيدات النساء أهل الجنة الأربع: مريم بنت عمران و فاطمة بنت رسول الله و خديجة بنت خويلد و آسية امرأة فرعون .  
و يعلمنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه و آله أن الزهراء بضعة رسول الله صلى الله عليه و آله، ففي صحيح البخاري يقول رسول الله صلى الله عليه و آله: «فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها فقد أغضبني»، و في صحيح مسلم «إنما فاطمة بضعة مني يؤذيها ما أذاها»، و في روايه الترمذي «إنما فاطمة بضعة مني، يؤذيها ما أذاها، و ينصني ما أنصباها»، و عن مجاهد قال: خرج النبي صلى الله عليه و آله، و هو أخذ بيد فاطمة فقال: من عرف هذه فقد عرفها، و من لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، و هي بضعة مني، و روعي التي بين جنبي، فمن أذاها فقد أذاني، و من أذاني فقد أذى الله تعالى .»

و روى ابن سعد في شرف النبوة عن علي، رضي الله عنه، قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله، يا فاطمة، إن الله عزوجل بغضب لغضبك، و يرضى لرضاك، و روى أبو نعيم في فضائل الصحابة، و ابن عساکر في تاريخه و أبو يعلى في مسنده عن علي عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال: يا فاطمة، إن الله ليغضبك، و يرضى لرضاك .  
هذا و لما أقسم أبولبابية، عندما ربط نفسه في المسجد (في غزوه بني قريظة) ألا يخله أحد إلا رسول الله صلى الله عليه و آله، و جاءت فاطمة لتخله فأبى، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: إنما فاطمة مضغة مني، فخلته، و يقول الإمام السهيلي في «الروض الأنف» بعد ذكر الحادث، فصلى الله عليه و علي فاطمة، فهذا حديث يدل على أن من سبها فقد كفر، و أن من صلى عليها، فقد صلى على أبيها، صلى الله عليه و سلم .

و يعلمنا رسول الله صلى الله عليه و آله أن الزهراء أحب الناس إليه، فلقد أخرج الطبراني عن علي أنه قال: «يا رسول الله أينما أحب إليك، أنا أم فاطمة، قال صلى الله عليه و آله: فاطمة أحب إلي منك، و أنت أعز علي منها»، و روى ابن عبد البر: سئلت عائشة، رضي الله عنها، أي الناس كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه و آله، قالت: فاطمة، قيل فمن الرجال، قالت: زوجها، إذ كان ما علمته، صواماً قواماً» و من ثم فقد كان رسول الله صلى الله عليه و آله- فيما يروى الحاكم- إذا رجع من سفر أو غزاه، أتى المسجد فصلى ركعتين، ثم ثنى بفاطمة، ثم يأتي أزواجه»، و عن ابن عمر بسنده أنه قال «إن النبي صلى الله عليه و آله كان إذا سافر كان آخر الناس عهداً به فاطمة، و إذا قدم من سفر كان أول الناس به عهداً فاطمة، رضي الله تعالى عنها .»  
هذا و قد أكرم الله الزهراء، بأن حفظ ذرية نبيه صلى الله عليه و آله في ذريته، و أبقي عقبه في عقبها، فهي وحدها- دون بناته و بنيه- أم السلالة الطاهرة، و العترة الخيرة، و الصفوة المختارة من عباد الله من أمته صلى الله عليه و آله، و أعظم بها مفعرة، و هكذا كان من ذرية الزهراء، من أبناء الحسن و الحسين، جميع السادة الاشراف، ذرية رسول الله صلى الله عليه و آله، و في الحديث يقول صلى الله عليه و آله: «كل سبب و نسب منقطع يوم القيامة، ما خلا سببي و نسبي، و كل ولد أب فإن عصبتهم لأبيهم، ما خلا ولد فاطمة، فإني أنا أبوها و عصبتهم .»

و لعل ختام المسلك لهذا التقديم، أن الزهراء إنما كانت سيدة نساء العالمين و أفضلهن، روي ابن عبد البر عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال لا ترضين أنك سيدة نساء العالمين، قالت: يا أبت فأين مريم، قال: تلك سيدة نساء عالمها، و من ثم فقد ذهب كثير من العلماء المحققين- و منهم التقى السبكي و الجلال السيوطي و البدر الزركشي و التقى المقرئ و البلقيني و السهيلي- أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و آله أفضل نساء الدنيا، حتى مريم ابنة عمران، لأنها بضعة رسول الله صلى الله عليه و آله و لن يعدل احد ببضعة رسول الله أحد، و ذهب الألويسي في تفسيره إلى أن فاطمة البنول أفضل النساء المتقدمات و المتأخرات، من حيث أنها بضعة رسول الله صلى الله عليه و آله .  
بقيت كلمة أخيرة، عما تردد في هذه الدراسة و غيرها من ذكرنا لعبارة «عليها السلام» بعد اسم السيدة فاطمة الزهراء، و نحن هنا متبعون، لا مبتدعون .

يقول ابن قيم الجوزية في كتابه «جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام»: إن آل النبي صلى الله عليه و آله يصلون عليهم بغير خلاف بين الأمة، و ذلك لأن الصلاة على النبي صلى الله عليه و آله حق له و لآله دون سائر الأمة، و لهذا تجب عليه و على آله عند الإمام الشافعي و غيره، و من لا يوجها، فلا ريب أنه يستحبها عليه و على آله، و يكرهها لسائر المؤمنين، أو لا يجوزها على غير النبي و آله، و أما من قال آل النبي في الصلاة كالآمة، فقد أبعد غاية الأبعاد، هذا إلى أن النبي صلى الله عليه و آله شرع في التشهد السلام و الصلاة، فشرع السلام من المصلي على الرسول صلى الله عليه و آله أولاً، و على نفسه ثانياً، و على سائر عباد الله الصالحين ثالثاً .

و قد ثبت عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال: «فإذا قلتم ذلك فقد سلمتم على كل عبد صالح في الأرض و السماء. و أما الصلاة، فلم يشرعها النبي صلى الله عليه و آله إلا على نفسه و على آله فقط، فدل ذلك على أن آله هم أهله و أقاربه، و لما سنن صلى الله عليه و آله عن كيفية الصلاة عليه، قال: قالوا: اللهم صل على محمد و على آل محمد»، فالصلاة على آل النبي صلى الله عليه و آله و آله هي تمام الصلاة عليه و تواجها، لأن ذلك مما تقر به عين النبي صلى الله عليه و آله، و يزيد الله تعالى به شرفاً و علواً، صلى الله عليه و على آله و سلم تسليماً، و روى ابن حجر الهيتمي عن الإمام الشافعي قوله :

يا أهل بيت رسول الله حكيم كفاكم من عظيم القدر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له  
فرض من الله في القرآن أنزل من لم يصل عليكم لا صلاة له من لم يصل عليكم لا صلاة له  
و هناك رأيان في الصلاة على النبي استقلالاً، الأول: يجوز القول «اللهم صل على آل محمد»، و يكون النبي صلى الله عليه و آله داخلًا في آله، فالإفراد عنه وقع في اللفظ، لا في المعنى، و الثاني: أفراد واحد منهم بالذكر، فيقال: «اللهم صل على علي أو على الحسن أو على الحسين أو علي فاطمة»، و قد اختلف في ذلك كما اختلف في الصلاة على غير آله من الصحابة، فقد كره الإمام مالك ذلك و قال: لم يكن ذلك عمل من مضى، و هو مذهب الإمام أبي حنيفة كذلك، و سفيان الثوري و سفيان بن عيينة .  
و أما السلام فكره البعض ذلك، إن كان في معنى السلام معنى الصلاة، فلا يقال: السلام على فلان، أو فلان عليه السلام، بينما فرق آخرون بينه و بين الصلاة، و قالوا: السلام يشرع في حق كل مؤمن، حي أو ميت، حاضر و غائب، فإنك تقول بلغ فلاناً مني السلام، و هي تحية أهل الإسلام، بخلاف الصلاة، فإنها من حق الرسول و آله .

و هكذا رأينا الإمام البخاري مثلاً، يذكر في صحيحه عبارة «عليها السلام» بعد اسم الإمام علي، و عبارة «عليها السلام» بعد ذكر اسم السيدة فاطمة الزهراء، في عدة أحاديث، فأما عن السيدة فاطمة الزهراء فقد جاء في «باب مناقب علي» من حديث ابن أبي ليلى قال: حدثنا علي أن فاطمة عليها السلام، شكت ما تلقى من أثر الرجا... (صحيح البخاري 5 / 24)، و في «باب قرابة رسول الله صلى الله عليه و آله و منقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه و آله» (صحيح البخاري 5 / 25)، و من حديث عروة بن الزبير عن عائشة أن فاطمة عليها السلام، أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من النبي صلى الله عليه و آله» (صحيح البخاري 5 / 25)، و في «باب عمرة

القضاء» من حديث أنس «فتبعته ابنه حمزة تنادي يا عم ياعم، فتناولها علي فأخذ بيدها و قال لفاطمة عليها السلام: دونك ابنة عمك...» (صحيح البخاري 5 / 180)، و في «باب مرض النبي صلى الله عليه و آله» من حديث أنس قال «لما ثقل النبي صلى الله عليه و آله جعل يتغشاه، فقالت فاطمة عليها السلام: واكرب أباه، فقال لها: ليس على أهلك كرب بعد اليوم» (صحيح البخاري 6 / 18).

و أما عن علي بن ابي طالب، فلقد عتّون البخاري بعنه علي اليمن كالتالي «بعث علي بن ابي طالب عليه السلام، و خالد بن الوليد رضي الله عنه، إلى اليمن قبل حجة الوداع» (صحيح البخاري 5 / 206)، و روى البخاري في صحيحه بسنده عن أنس، رضي الله عنه، أتى عبيدالله بن زياد برأس الحسين عليه السلام، فجعل في طست فجعل ينكت... الحديث (صحيح البخاري 5 / 33).  
و بعد: فالله- جل و علا- أسأله- و هو الرحمن المنان- أن يكون في هذا الدراسة بعض النفع، ولله العزة و لرسوله و للمؤمنين، «و ما توفيقي إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب .»

و صلى الله على سيدنا و مولانا و جدنا محمد رسول الله، و على آله الطيبين الطاهرين، و الحمد لله حمداً يليق بجلاله، و يقربنا إلى مرضاته سبحانه، ليتفضل علينا- بمنه و كرمه- فيقبلنا عنده في أمة سيدنا محمد صلى الله عليه و آله، عباد الله قانتين، و تابعين للنبي الأمي الكريم، و بأخلافه مقتدين، بإذن الله رب العالمين، إنه سميع قريب مجيب الدعوات، و الحمد لله رب العالمين .

دكتور  
محمد بيومي مهراڻ  
الأستاذ بكلية الآداب- جامعة الإسكندرية  
و كلية الشريعة- جامعة أم القرى بمكة المكرمة  
الثاني عشر من ربيع الأول عام 1405 هـ .  
مكة المكرمة في  
الرايع من ديسمبر عام 1984 م .

## القِسْمُ الأول (أهل البيت )

قال تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا .) و قال تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجرأ إلا المودة من القربى .) و قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، و أنا نارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله، فيه الهدى و النور، فخذوا بكتاب الله و استمسكوا به، فحث على كتاب الله و رغب فيه- ثم قال :و أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي...» (رواه مسلم 15 / 180 .)

## أهل البيت

جاء لفظ «أهل البيت» في القرآن الكريم مرتين، الأولى في الآية 73 من سورة هود، يقول تعالى: (رحمة الله و بركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد)، و يراد بها أهل بيت سيدنا إبراهيم عليه السلام، و الثانية في الآية 33 من سورة الأحزاب، يقول تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا) و المراد بها أهل بيت سيدنا محمد صلى الله عليه و آله، و تبعاً للقرآن الكريم استعمل المسلمون لفظ «أهل البيت» و «أهل البيت» في أهل بيت سيدنا محمد صلى الله عليه و آله فقط، حتى صار اللفظ علماً عليهم لا يفهم منه، غيرهم إلا بالقربة، و يقول صاحب «مجمع البيان» في تفسير آية الأحزاب 33، أن الأمة قد اتفقت على أن المراد بأهل البيت هنا إنما أهل بيت سيدنا و نبينا محمد صلى الله عليه و آله ثم اختلفوا في المراد به علي ثلاثة آراء [يرى ابن قيم الجوزية في كتابه «جلاء الأفهام في الصلاة و السلام على خير الأنام» أن هناك أربعة أقوال في آل النبي، الأول: هم الذين حرمت عليهم الصدقة و هم بنوهاشم خاصة (رأي أبوحنيفة و أبوالقاسم صاحب مالك) أو بنوهاشم و بنوالمطلب (رأي الشافعي و ابن حنبل) أو بنوهاشم و من فوفهم إلى غالب (رأي أشهب صاحب مالك)، و الثاني هم ذرية النبي و أزواجه اعتماداً على حديث «اللهم صل على محمد و أزواجه و ذريته، و الثالث هم أتباع النبي صلى الله عليه و آله إلى يوم القيامة، و الرابع هم الأتقياء من أمته، و يرى ابن القيم أن الرأي الأول هو الأصح ثم الثاني، أما الثالث و الرابع فضعيفان .]

## الرأي الأول: هم أزواج النبي

روي السيوطي في الدر المنثور أن عكرمة كان يقول عن آية الأحزاب 33، من شاء باهلته أنه نزلت في أزواج النبي صلى الله عليه و آله، غير أن هناك من يعترض على ذلك لأسباب منها (أولاً) أن ابن كثير يقول في تفسيره: إذا كان المراد أنهن سبب النزول فهذا صحيح، و أما إن أريد أنهن المراد دون غيرهن فهذا غير صحيح، فقد روى ابن حاتم عن العوام بن حوشب عن ابن عم له قال: «دخلت مع أبي علي عائشة رضي الله عنها .فسألته عن علي رضي الله عنه فقالت رضي الله عنها: تسألني عن رجل كان من أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و كانت تحته ابنته و أحب الناس إليه، لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه و آله دعا علياً و فاطمة و حسناً و حسيناً رضي الله عنهم، فألقى عليهم ثوباً فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا».

قالت: فدنوت منهم فقلت يا رسول الله: و أنا من أهل بيتك، فقال صلى الله عليه و آله: تتحى فإنك على خير (أخرجه الحافظ البراز و الترمذي و ابن كثير في تفسيره)، و منها (ثانياً) أن أهل البيت في آية الأحزاب 33 يراد به أهل بيت النبوة المنحصر في بيت واحد تسكنه فاطمة عليها السلام ابنة النبي صلى الله عليه و آله. و زوجها علي و إبناهما الحسن و الحسين رضي الله عنهم، أما بيت الزوجية فلم يكن بيتاً واحداً، و إنما كان بيوتاً متعددة تسكنها زوجات النبي صلى الله عليه و آله و آله لقوله تعالى: (و قرن في بيوتكن)، و في هذه الآية الأخيرة الخطاب موجه لمن في بيوت النبي صلى الله عليه و آله جميعاً .  
ومنها (ثالثاً) أن القول بأن ما قيل أن الآية (33 من الأحزاب) و ما بعدها جاء في حق أزواج النبي صلى الله عليه و آله، فالرد أن هذا لا ينكر من عادة الفصحاء في كلامهم فإنهم يذهبون من خطاب إلى غيره و يعودون إليه، و القرآن الكريم، و كذا كلام العرب و شعرهم، في ذلك مملوء، و ذلك لأن الكلام العربي يدخله الاستطراد و الاعتراض، و هو تخلل الجملة الأجنبية بين الكلام المنتظم المتناسب كقوله تعالى في سورة النمل: إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها، و جعلوا أعره أهلها أذلة، و كذلك يفعلون، و إنني مرسله إليهم بهدية) فقوله: (و كذلك يفعلون) جملة معترضة من جهة الله تعالى بين كلام ملكة سبأ (بليغس) و قوله تعالى في سورة الواقعة: (فلا

أقسم بمواقع النجوم، و إنه لقسم لو تعلمون عظيم، إنه لقرآن كريم)، أي فلا أقسم بمواقع النجوم، إنه لقرآن كريم، و ما بينهما اعتراض، و هو كثير في القرآن و في كلام العرب، و من ثم فلم لا يجوز أن يكون قوله تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا) جملة معترضة متخللة لخطاب نساء النبي صلى الله عليه و آله و آله على هذا النهج، و على أي حال فلا أهمية لقول من قال بأن أزواج النبي صلى الله عليه و آله و آله من أهل البيت، فلا توجد فرقه من المسلمين تدعي بالولاء لإحدى أزواج النبي صلى الله عليه و آله و آله و توجب الإقتداء بها .

و منها (رابعاً) أنه حتى الذين يجعلون أزواج النبي من أهل البيت، و أن آية الأحزاب (33) نزلت فيهم، إنما يذهبون إلى أن الإمام علي و السيدة الزهراء و سيدي شباب أهل الجنة، الحسن و الحسين، أحق بأن يكونوا أهل بيت النبي صلى الله عليه و آله، يقول ابن تيمية في رسالته «فضل أهل البيت و حقوقهم»: روى الإمام أحمد و الترمذي و غيره عن أم سلمة: «أن هذه الآية لما نزلت أدار النبي صلى الله عليه و آله كساءه على علي و فاطمة و الحسن و الحسين، رضي الله عنهم فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا»، ثم يقول ابن تيمية: و سنته صلى الله عليه و آله تفسر كتاب الله و تبينه، و تدل عليه و تعبر عنه، فلما قال «هؤلاء أهل بيتي»، مع أن سياق القرآن يدل على أن الخطاب مع أزواجه، علمنا أن أزواجه، و إن كن من أهل بيته كما دل عليه القرآن، فهؤلاء (أي علي و فاطمة و الحسن و الحسين) أحق بأن يكونوا أهل بيته، لأن صلة النسب أقوى من صلة الصهر، و العرب تطلق على هذا البيان للإختصاص بالكمال، لا للإختصاص بأصل الحكم، أضف إلى ذلك ما رواه البخاري في صحيحه

من حديث عائشة أن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله قالت: سارني النبي صلى الله عليه وآله فإخبرني أنه يقبض في وجه الذي توفي فيه فبكيت ثم سارني فأخبرني أنني أول أهل بيته أتبعه فضحكت» (صحيح البخاري 5 / 26).

ومنها (خامساً) ما أجاب به «زيد بن أرقم» في الحديث المشهور حين سائل: من أهل بيته، اليس نساؤه من أهل بيته، فقال أهل بيته من حرم الصدقة بعده، فقد روى مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله فإنا يوماً خطبياً بماء يدعى خمأ بين مكة والمدينة، فحمد الله تعالى وأثنى عليه وعظ وذكر ثم قال: «أما بعد: ألا أيها الناس إنا أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين [يقول الإمام النوري: قوله صلى الله عليه وآله: وأنا تارك فيكم ثقلين، فذكر كتاب الله وأهل بيته، قال العلماء سيما ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما، وقيل لثقل العمل بهما، وانظر الروايات المختلفة للحديث الشريف في صحيح مسلم 15 / 179-181]. أولهما كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي» فقال له حصين: «و من أهل بيته يا زيد، اليس نساؤه من أهل بيته، قال نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقیل و آل جعفر و آل عباس قال: كل هؤلاء حرم الصدقة، قال: نعم» وفي رواية أخرى: عن زيد بن أرقم، أنه ذكر الحديث بنحوها وتقدم وفيه: قلنا: «من أهل بيته نساؤه، قال: لا، وأيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصيته الذين حرموا الصدقة بعده» يقول الإمام النوري في شرح صحيح مسلم: والمعروف في معظم الروايات، من غير مسلم، (أي في غير صحيح مسلم) أنه قال: نساؤه لسنن من أهله بيته.

ومنها (سادساً) أن قوله تعالى: (ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم...) بالميم يدل على أن الآية نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، ولو كان الخطاب خاصاً بنساء النبي صلى الله عليه وآله لقال «عنكن» و «يطهركن».

ومنها (سابعاً) أن تحريم الصدقة على أزواج النبي صلى الله عليه وآله قبل الإصالة- كبنى هاشم، وإنما هو تبع لتحريمها على النبي صلى الله عليه وآله و آله وإلا فالصدقة عليهن حلال قبل اتصالهن به، فمن فرع من هذا التحريم، والتحريم على المولى فرع التحريم على سيدة، ولما كان التحريم على بنى هاشم أصلاً استتبع ذلك مواليتهم، ولما كان التحريم على أزواج النبي صلى الله عليه وآله تبعاً، لم يبق ذلك على استتباع مواليتهم لأنه فرع عن فرع.

ومنها (ثامناً) ما ذهب إليه صاحب مجمع البيان من أن ثبوت عصمة المعنيين بالآية 33 من الأحزاب، يدل على أنها مختصة بهؤلاء الخمسة: النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، لأن من عداهم غير مقطوع بعصمته.

## الرأي الثاني: هم من حرمت عليهم الصدقة من بني هاشم

و يذهب إلى أن أهل البيت هم من حرمت عليهم الصدقة من بني هاشم وهم آل علي وآل عقیل وآل جعفر أبناء أبي طالب ثم آل العباس بن عبدالمطلب، يعنون بذلك بني هاشم، وأن البيت هنا إنما هو بيت النسب، ومن ثم يكون العباس وأعمامه و بنوآعمامه صلى الله عليه وآله من آلهم، وقد روى القاضي عياض في الشفاء عن الشعبي «أن زيدا بن ثابت صلى الله عليه وآله جنازة أمه ثم قربت له بعلته ليركبها، فجاء ابن عباس فأخذ بركابه، فقال زيد: خل عنه يا ابن عم رسول الله، فقال ابن عباس:، هكذا فعل بالعلماء، فقبل زيد يد ابن عباس وقال: هكذا أمرنا أن نعمل بأهل بيت نبينا»، هذا فضلاً عن حديث زيد بن أرقم الذي رواه مسلم من أن أهل بيت النبي إنما هم أهل بيته وعصيته الذين حرموا الصدقة، وقد ذكرناه من قبل.

## الرأي الثالث: هم النبي و علي و فاطمة و الحسن و الحسين

و يرى أهل البيت إنما هم الخمسة الكرام البررة، سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، قال بذلك أبو سعيد الخدري وأنس بن مالك وواثلة بن الأسقع وأم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين أم سلمة وأبي سلمة ربيب النبي صلى الله عليه وآله وآله وسعد وغيرهم وقال بن كثير في التفسير والحديث، قال به الفخر الرازي في التفسير الكبير، وقاله الزمخشري في الكشاف، و القرطبي في الجامع لأحكام القرآن والشوكاني في فتح القدير، والطبري في جامع البيان عن

تأويل آي القرآن، والسيوطي في الدر المنثور، وابن حجر العسقلاني في الإصابة، والحاكم في المستدرک، والذهبي في تلخيصه، والإمام أحمد بن حنبل في المسند، ولعل هذا الرأي أقرب إلى الصواب، فيما نرى ونرجح لأسباب كثيرة منها (أولاً) الأحاديث النبوية الشريفة التي رويت في ذلك والتي منها 1- أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني عن أبي سعيد الخدري قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: نزلت هذا الآية في خمسة: في وفي علي وحسن وحسين وفاطمة، (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) 2- وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن أبي سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي في بيتي يوماً على منامة له عليه كساء خيربي فجاءت فاطمة رضي الله عنها برمة فيها خزيرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي: ادعي زوجك وابنيك حسناً و حسيناً فدعتهما، فبينما هم يأكلون إذ نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» فأخذ النبي صلى الله عليه وآله وعلي بغضله إزاره فغشاهم إياه، ثم أخرج يده من الكساء، وأومأ بها إلى السماء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي و خاصتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، قالها ثلاث مرات، قالت أم سلمة رضي الله عنها فأدخلت رأسي في البستر، فقلت يا رسول الله: وأنا معكم، فقال: أنت إلى خير، مرتين 3- «أخرج الطبراني عن أم سلمة، قالت: جاءت فاطمة رضي الله عنها إلى أبيها بثريدة لها تحملها في طبق لها حتى وضعتها بين يديه، قال لها: أين ابن عمك، قالت هو في البيت، قال اذهبي فادعيه وابنيك، فجاءت تقود ابنيها كل واحد منهما في يد، وعلي رضي الله عنه يمشي في أثرهما حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي و آله فأجلسهما في حجره، وجلس علي رضي الله عنه علي يمينا، وجلست فاطمة رضي الله عنها علي يساره، قالت أم سلمة رضي الله عنها فأخذت من تحتي كساءً كان بساطنا على المنامة في البيت. 4- وأخرج الطبراني عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي و آله قال لفاطمة رضي الله عنها: إئتني بزوجه وابني فجاءت بهم، فألقى رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي و آله كساءً فدكيا ثم وضع يده عليهم ثم قال: اللهم أن هؤلاء أهل محمد (و في لفظ آل محمد) فأجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد، كما جعلتها على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، فرفعت الكساء لأدخل معهم فجدبه من يدي، وقال: إنك على خير» 5- وأخرج ابن مردويه عن أم سلمة قالت: نزلت هذه الآية في بيتي (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)، وفي البيت سبعة جبريل وميكائيل عليهما السلام، وعلي وفاطمة والحسن والحسين (رضي الله عنهم) وأنا على باب البيت، قلت يا رسول الله: ألسنت من أهل البيت، قال: إنك إلى خير، أنك من أزواج النبي صلى الله عليه وآله وعلي و آله» 6- وأخرج ابن مردويه والخطيب عن أبي سعيد الخدري قال: كان يوم أم سلمة رضي الله عنها أم المؤمنين، فنزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي و آله بهذه الآية. (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)، قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي و آله بحسن وحسين وفاطمة وعلي، فضمهم إليه ونشر عليهم الثوب، والحجاب على أم المؤمنين أم سلمة مضروب، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، قالت أم سلمة رضي الله عنها فإنا منهم يا نبي الله، قال: أنت على مكانك وأنت علي خير» 7- وأخرج الترمذي وابن جرير وابن المنذر والحاكم وابن مردويه والبيهقي من طرق، عن أم سلمة قالت: في بيتي نزلت (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)، وفي البيت علي وفاطمة والحسن والحسين، فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وآله بكساء كان عليه، ثم قال: (هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس و

طهرهم تطهيراً) 8- وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد ومسلم وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما فأدخلهما معه ثم جاء علي فأدخله معه ثم قال: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) وفي رواية مسلم في الصحيح (15 / 194) عن عائشة أنها قالت: خرج النبي صلى الله عليه وآله وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)، وروي الواحد في أسباب النزول بسنده عن أبي سعيد (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) قال: نزلت في خمسة، في النبي صلى الله عليه وآله وعليه و فاطمة والحسن والحسين، عليهم السلام

9- وأخرج ابن جرير والحاكم وابن مردويه عن عامر بن سعد عن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله حين نزل عليه الوحي، فأخذ علياً وابنيه و فاطمة فأدخلهم تحت ثوبه ثم قال: رب هؤلاء أهلي. وأهل بيتي» 10- وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم والبيهقي عن وائلة بن الأسقع قال: جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وعليه و فاطمة وعليه و علي حتى دخل، فأدنى علياً و فاطمة فأجلسهما ما بين يديه، وأجلس حسناً و حسيناً، كل واحد منهما على فخذه، ثم لف عليهم ثوبه، وأنا مستديريهم ثم تلا الآية (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً) 11- وأخرج الترمذي عن علي بن زيد عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله كان يمر ببيت فاطمة عليها السلام ستة أشهر، كلما خرج إلى الصلاة فيقول: الصلاة أهل البيت (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً) 12- وأخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال: لما دخل علي رضي الله عنه بفاطمة رضي الله عنها جاء النبي صلى الله عليه وآله وعليه و آله أربعين صباحاً إلى بابها يقول: «السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته»، والصلاة رحمكم الله (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً)، أنا حرب لمن حاربتم، أنا سلم لمن سالمتم» 13- وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن أبي الحمراء قال: حفظت رسول الله ثمانية أشهر بالمدينة، ليس من مرة يخرج إلى الصلاة الغداة، إلا أتى إلى باب علي رضي الله عنه فوضع يده على جنيب الباب ثم قال: الصلاة الصلاة، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً، الصلاة رحمكم الله كل يوم خمس مرات »

14- وأخرج الطبراني عن أبي الحمراء رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يأتي باب علي و فاطمة ستة أشهر فيقول: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً» 15- وروي ابن جرير عن أبي عمار قال: «إني لجالس عند وائلة بن الأسقع إذ ذكروا علياً رضي الله عنه فشتموه، فلما قالموا قال: إجلس حتى أخبرك عن هذا الذي شتموه، إني عند رسول الله صلى الله عليه وآله و آله إذ جاء علي و فاطمة و حسن و حسين، فألقى عليهم كساء له ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم اذهب

عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً، قلت يا رسول الله و أنا، قال و أنت، قال فوالله إنها لمن أوثق عمل عندي» 16- وروي أحمد في المسند والفضائل وابن جرير و الترمذي بطرق مختلفة عن شداد أبي عمار قال دخلت على وائلة بن الأسقع وعنده قوم فذكروا علياً فشتموه فشتمته معهم، فلما قاموا قال لي: لم شتمت هذا الرجل، قلت رأيت القوم شتموه فشتمته معهم، فقال لا أخيرك بما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وآله و آله قلت بلى: فقال أتيت فاطمة أسأله عن علي فقالت توجه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و آله فجلست انتظره حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و معه علي و حسن و حسين، أخذاً كل واحد منهما بيده حتى دخل فادنى علياً و فاطمة فأجلسهما بين يديه، و أجلس حسناً و حسيناً كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه أو قال كساء ثم تلا هذه الآية، (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً) ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي، و أهل بيتي أحق، 17- و أخرج الترمذي عن عمر بن أبي سلمة، ربيب النبي صلى الله عليه وآله و آله قال: نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله و آله (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً) في بيت أم سلمة، فدعا النبي صلى الله عليه وآله و آله فاطمة و حسناً و حسيناً فجعلهم بكساء، و على خلف ظهره، فجعلهم بكساء، ثم قال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً .)

18- روى ابن أبي شيبة عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله كان عندها، فجاءت الخادم فقالت: علي و فاطمة بالسدة، فقال: تحي لي عن أهل بيتي، فتحت من ناحية البيت، فدخل علي و فاطمة و حسن و حسين فوضعهما في حجره، و أخذ علياً بإحدى يديه فضمه إليه، و أخذ فاطمة باليد الأخرى، فضمها إليه و قبلها و أعطف خميصة سوداء ثم قال: اللهم إليك، لا إلى النار، أنا و أهل بيتي، فناديته فقلت: و أنا يا رسول الله، قال: و أنت» 19- روى أبو يعلى و ابن عساکر عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله و آله قال لفاطمة: إئتني بزوجك و ابنك، فجاءت بهم فألقى عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله و آله كساء كان تحتي خبيراً أصنابه من خبير، ثم رفع يديه فقال: اللهم أن هؤلاء آل محمد، فأجعل صلواتك و بركاتك على آل محمد، كما جعلتها على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، فرفعت الكساء لأدخل معهم، فجدبه رسول الله صلى الله عليه وآله و آله من يدي، و قال: إنك علي خبير، 20- و روى الحاكم في المستدرک عن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عن أبيه قال: لما نظر رسول الله صلى الله عليه وآله و آله إلى الرحمة هابطة قال: أددوا لي، فقالت صغية: من يا رسول الله، قال: أهل بيتي علياً و فاطمة و الحسن و الحسين، فحييهم بهم، فألقى عليهم النبي صلى الله عليه وآله و آله كساءه ثم قال: اللهم هؤلاء آل محمد و علي محمد و علي آل محمد، و انزل الله عزوجل: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً) 21- و روى أحمد في الفضائل و المحب الطبري في الذخائر: أنه ذكر عند النبي صلى الله عليه وآله و آله و آله قضي به علي بن أبي طالب فأعجب النبي صلى الله عليه وآله و آله و آله و قال: «الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت»، و هكذا كان الإجماع على أن لفظ «أهل البيت» إذ أطلق إنما ينصرف إلى علي و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام و ذريتهم، و إن لم يكن له إلا شهرته فيهم لكفي، روى الحاكم في المستدرک عن سعد قال: نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و آله الوحي، فأدخل علياً و فاطمة و ابنيهما (أي الحسن و الحسين) تحت ثوبه، ثم قال: اللهم هؤلاء أهلي و أهل بيتي .

ومنها (ثانياً): آية المباهلة 1- أخرج مسلم 15 / 176 في صحيحه أنه لما نزل قوله تعالى: (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم، فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم و نساءنا و نساءكم و أنفسنا و أنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) (آل عمران آية 61) دعا رسول الله صلى الله عليه وآله و آله علياً و فاطمة و حسناً و حسيناً. فقال: «اللهم هؤلاء أهلي» 2- و روى القاضي عياض في الشفا عن سعد بن أبي وقاص قال: لما نزلت آية المباهلة، دعا النبي صلى الله عليه وآله و آله علياً و حسناً و حسيناً و فاطمة و قال: «اللهم هؤلاء أهلي» 3- و ذكر ابن كثير في تفسيره، قال أبو بكر بن مردويه عن جابر، قدم علي النبي صلى الله عليه وآله و آله و آله و الطيب (وفد نصارى نجران) فدعاها إلى الملاعة، فواعدها علي أن يلاعها الغداة، قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و آله و فاطمة و الحسن و الحسين، ثم أرسل إليهما فابيا أن يجييا و أقرأ له بالخراج، قال فقال رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و آله الذي يعنى بالحق لو قال: لأمطر عليهم الوادي ناراً» قال جابر، و فهم نزلت: (ندع أبناءنا و أبناءكم و نساءنا و نساءكم و أنفسنا و أنفسكم). (رواه ابن مردويه و الحاكم في المستدرک و رواه الطيالسي عن الشعبي مرسلأ 4- (و قال الزمخشري في الكشاف في تفسيره لآية المباهلة (آل عمران آية 61) أنه ليس هناك من دليل أقوى من هذا على فضل أصحاب الكساء و هم علي و فاطمة و الحسن و الحسين لأن الآية لما نزلت دعاهم النبي صلى الله عليه وآله و آله و آله فاحتض الحسين و أخذ بيد الحسن و مشى فاطمة خلفه و علي خلفهما، فعلم أنهم المراد بالآية، و أن أولاد فاطمة و أبناءهم يسمون أبناء النبي و ينسبون إليه نسبة صحيحة نافعة في الدنيا و الآخرة 5- و قال الرازي في تفسيره الكبير أن هذه الآية (آية المباهلة آل عمران 61) دالة على أن الحسن و الحسين كانا ابني رسول الله صلى الله عليه وآله و آله، فقد وعد النبي صلى الله عليه وآله و آله أن يدعو أبناءه، فدعا الحسن و الحسين، فوجب أن يكونا ابنيهما، و يذهب محمد جواد مغنبة في كتابه «فضائل الإمام علي» أن إلى السنة و الشيعة قد اتفقت على أن المراد بأنفسنا في الآية: النبي صلى الله عليه وآله و آله و علي، و بنسائنا فاطمة، و بأبنائنا الحسن و الحسين .

ومنها (ثالثاً) أن الحسن بن علي رضي الله عنه خطب في أهل العراق بعد أن استخلف فقال: يا أهل العراق: اتقوا الله فينا، فإننا أمراؤكم و ضيفانكم، و نحن أهل البيت الذي قال الله تعالى فيه: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم

تطهيرا)، قال: «فما زال يقولها حتى ما بقي أحد من أهل المسجد إلا وهو يحن بكاءه» وقال الإمام الحسن أيضاً «نحن حزب الله المفلحون، وعترة رسول الله صلى الله عليه وآله الأقرابون، وأهل بيته الطاهرون الطيبون، وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه وآله والثاني كتاب الله فيه تفصيل كل شيء لا يأتيه الباطل من بين ولا من خلفه، والمعول عليه في كل شيء، لا يخطئنا تأويله، بل نتيقن حقائقه، فاطيعونا، فإن طاعتنا مفروضة، إذ كانت بطاعة الله والرسول وأولي الأمر مفروضة». ومنها (رابعا) روي عن السيد عن أبي الديلم قال «قال علي بن الحسين (الإمام علي زين العابدين) لرجل من أهل الشام، أما قرأت في الأحزاب (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)، قال: و لأنتم

هم؟ قال: نعم»، وفي رواية أخرى: أنه لما جيء بعلي بن الحسين أسيرا، وأقيم على درج دمشق، قام رجل من أهل الشام فقال: «الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتية، قال له علي: أقرأت القرآن، قال نعم، قال قرأت «آل حم»، قال قرأت القرآن ولم أقرأ «آل حم» قال ما قرأت (قل لا أسألكم عليه أجرأ إلا المودة في القربى) قال: فإنكم لياهم؟ قال: نعم.» ومنها (جامسا) ما جاء في تفسير البيضاوي في تفسيره لقوله تعالى: (قل لأسألكم عليه أجرأ إلا المودة في القربى) قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم، قال صلى الله عليه وآله: علي وفاطمة وأبناهما.»

ومنها (سادسا) ما ذهب إليه ابن القيم الجوزية من أن أولاد فاطمة رضي الله عنه إنما يدخلون في ذرية النبي صلى الله عليه وآله والمطلوب لهم من الله الصلاة، لأن أحداً من بناته لم يعقب غيرها، فمن انتسب إليه صلى الله عليه وآله من أولاد ابنته إنما هم من جهة فاطمة رضي الله عنها خاصة، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله في كتاب الله وقد قرأته من أوله إلى آخره، فلم أجده، قال: ليس ابنه. ولما نزلت آية المباهلة، دعا النبي فاطمة وحسناً وحسيناً (رضي الله عنهما) وخرج للمباهلة، كما قال الله تعالى في حق إبراهيم «و من ذريته داود وسليمان... إلى آخر آيتي الأنعام 84، 85، وجاء في تفسير ابن كثير: وفي ذكر عيسى في ذرية إبراهيم عليهما السلام، دلالة على دخول ولد البنات في ذرية الرجل، لأن عيسى عليه السلام إنما ينسب إلى إبراهيم عليه السلام بأمه مريم عليها السلام، فإنه لا أب له، و روى ابن أبي حاتم أن الحجاج أرسل إلى يحيى بن يعمر فقال: «بلغني أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله تجده في كتاب الله وقد قرأته من أوله إلى آخره، فلم أجده، قال: ليس تقرأ سورة الأنعام (و من ذريته داود وسليمان) حتى بلغ (و يحيى وعيسى) قال: بلى، ليس عيسى من ذرية إبراهيم، وليس له أب، قال: صدقت»، وهذا و روى البخاري في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال للحسن بن علي: إن ابني هذا سيد»، وأما من قال بعدم دخولهم فحجته أن ولد البنات إنما ينتسبون إلى آبائهم حقيقة، غير أن دخول أولاد فاطمة رضي الله عنهم في ذرية النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله فلشرف هذا الأصل العظيم والوالد

الكريم، الذي لا يدانيه أحد من العالمين، سري و نفذ إلى البنات لفته و جلالتة و عظم قدره، و قال السيوطي في الخصائص الكبرى «و اختص صلى الله عليه وآله بأن أولاد بناته ينتسبون إليه، و أولاد بنات غيره لا ينتسبون إليهم، في الكفاءة و لا في غيرها، و قد أخرج الحاكم عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله «لكل بني أم عصة إلا ابني فاطمة أنا وليهما و عصبتهما»، و أخرج ابوعلي والطبراني أنه صلى الله عليه وآله عليه وآله قال «كل بني أم يتمون إلى عصة إلا أولاد فاطمة فأنا وليهم و عصبتهم.» و هكذا ثبت بالنص و الإجماع أن أهل البيت إنما هم الرسول صلى الله عليه وآله و علي وفاطمة و الحسن والحسين عليهما السلام، أما النص فما ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله أنه بقي بعد نزول الآية 33 من الأحزاب ستة أشهر يمر وقت صلاة الفجر على بيت فاطمة رضي الله عنها، فينادي: الصلاة يا أهل البيت ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا)، و هو تفسير منه لأهل البيت بفاطمة و من في بيتها و هو نص، و أنص منه حديث أم سلمة رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وآله و علي و فاطمة و ولديهما رضي الله عنهما، فجاءوا فأدخلهم تحت الكساء ثم جعل يقول «الله إليك لا إلى النار، أنا و أهل بيتي، اللهم هؤلاء أهل بيتي و خاصتي، و في روايه و حامتني، اللهم اذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا، قالت أم سلمة، فقلت يا رسول الله: «ألست من أهلك»، قال أنت إلى خير»، و هو نص في أهل البيت رواه الإمام أحمد، و طاهر أن نساء لسن نفسهم، لقوله لأم سلمة «أنت إلى خير»، و لم يقل «بلى أنت منهم»، و أما الإجماع فلأن الأمة اتفقت على أن لفظ «أهل البيت» إذا أطلق إنما ينصرف إلى من ذكرناه (علي وفاطمة والحسن والحسين و ذريتهما) دون النساء، و لو لم يكن فيه إلا شهرته فيهم كفى.

بقيت الإشارة إلى عدة أمور، منها (أولاً) أن هناك من قسم أهل بيت النبي إلى ثلاث دوائر: الدائرة الخاصة: و هم ذرية فاطمة و علي إلى يوم القيامة من الحسن والحسين، و هم أهل المباهلة و الكساء أو الرداء، و يسمون كذلك خاصة الخاصة، و الدائرة الثانية هم بنوهاشم و المطلب، و من الحق بهم نصا، و هم الذين تحرم عليهم الزكاة، و الدائرة الثالثة و هم الزوجات الطاهرات أمهات المؤمنين،

رضي الله عنهم، و منها (ثانياً) أنه مهما اختلف المسلمون في فرقهم، فإن كلمتهم واحدة في أن شجرة النسب النبوي الشريف إنما تنحصر في أبناء فاطمة لأن النبي صلى الله عليه وآله لم يعقب إلا من والدها، و أما بنوعلي من غير السيدة فاطمة و بنوعقيل و جعفر و العباس، فإنهم من آل هاشم، جدهم وجد النبي صلى الله عليه وآله، وليسوا من آل الرسول صلى الله عليه وآله و لأن نسبهم لا ينتهي إليه صلى الله عليه وآله.

و منها (ثالثاً) كثرت الأقاويل من أهل الزبغ و الجهل في أهل البيت، رغم آيات القرآن الكريم و أحاديث النبي صلى الله عليه وآله و النبي تبيين فضلهم و تحض على مودتهم و موالاتهم و تنفر من بغضهم و كرههم، و استمر ذلك منذ العصر الإسلامي و الأول، ثم ازدادت طغياناً بمرور الأيام، و الإنحراف عن الإيمان، فاستفحل الداء و قل الدواء حتى أصبح الحديث عن ذلك في السر و العلن مثال الخذلان من طرق كل مفتون في دينه و إيمانه، فصار الإيقاع في ذرية النبي صلى الله عليه وآله و إليه شهوة لكل مخذول، سهلاً من غير حياء و لا إيمان، حتى أصبحت المواجهة بين سفهاء الأحرار من العامة و بين ذريته صلى الله عليه وآله و إليه ما ينكرون عليهم انتسابهم للنبي صلى الله عليه وآله و إليه وجهاً لوجه في جدال عنيف و شاق، متمسكين بسفسطه الجهلاء بأن النبي صلى الله عليه وآله و إليه لم يخلف ذكراً حتى تكونوا أنتم من أبناؤه، و هي كلمة حق أريد بها باطل، أو يحقدون عليهم أن أنعم الله عليهم، فشرّفهم بالانتساب إلى أشرف ولد آدم. و سيد الأنبياء و المرسلين، فجعلهم من ذرية نبيه الكريم، و أكرمهم بالانتساب إلى رسول العظيم فكانوا بضعة منه، صلى الله عليه وآله و إليه و سلم، و ليذكر هؤلاء و أولئك أن بغض أهل البيت أفة في الدين، فليتب إلى الله من يجد في نفسه شيئاً عليهم، و ليحذر على دينه الذي هو عصمة أمره، حتى فيمن تظهر عليه الخطيئة منهم، و إنه فلما يطول أمره منحرفاً عن الصواب، لأن ذلك إنما هو حظ البشرية من كل مؤمن، فإذا كانت النطفة الطاهرة محفوظة غير مشوبة عما سواها فلا بد من أن ترجع إلى أصلها الطيب الطاهر، و قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله و إليه «و الذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار»، و روي عن الحسن عليه السلام أنه قال لمعاوية بن خديج: يا معاوية إياك و فضغنا، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله و إليه قال: لا يبغضنا أحد و لا يحسدنا أحد إلا زيد يوم القيامة عن الحوض بسياط من نار.»

ومنها (رابعا) أن الشريف أو السيد هو من ينتسب من جهة أبيه إلى ذرية الإمام الحسن أو الإمام الحسين، و قد أخطأ البعض حين نسبوا هذا اللقب الكريم إلى كل من ينتسب إلى بني هاشم الكرام، سواء أكان حسنياً أو حسينياً أو علويًا من ذرية محمد بن الحنفية و غيره من أبناء الإمام علي بن أبي طالب، أو جعفرياً أو عباسياً، و لهذا نجد تاريخ الحافظ الذهبي مشحوناً في التراجم بذلك، كأن يقول: الشريف العباسي أو الشريف العقيلي أو الجعفري نسبة إلى العباس عن النبي صلى الله عليه وآله و إليه أو عقيل أو جعفر ولدي أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، صحيح أن بني هاشم هم في الذروة من قریش بنص الحديث الشريف لقد روي القاضي عياض في الشفا عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عن النبي صلى الله عليه وآله و إليه أنه قال: «أتاني جبريل عليه السلام فقال: قلت الأرض مشارقها و مغاربها فلم أر رجلاً أفضل من محمد و لم أر بني أب أفضل من بني هاشم»، ولكنه صحيح كذلك أن شرف الحسن و الحسين مستمد من فاطمة بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله و إليه و من ثم فهما بالتالي بضعة من بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله و إليه، و قد روي ابن شهر آشوب في مناقبه: جاء الإمام أبوحنيفة ليسمع من الإمام جعفر الصادق، فجزع إليه جعفر بتوكاً على عصا فقال له أبوحنيفة: يا ابن رسول الله لم تبلغ من السن ما تحتاج معه إلى العصا، قال هو كذلك، لوكنها عصا رسول الله صلى الله عليه وآله و إليه أردت التبرك بها، فوثب أبوحنيفة إليه و قال: أقبلها يا ابن رسول الله، فحسر أبوعبدالله (جعفر الصادق) عن ذراعيه و قال له: والله لقد علمت أن هذا ينثر رسول الله صلى الله عليه وآله و إليه، و أن هذا من شجره، فما تقبله، و تقبل العصا»، و هذا يعني أن ذرية الحسن و الحسين إنما هم من بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله و إليه أشرف ولد آدم



على الإطلاق، و ليس بني هاشم فحسب كما جاء في الأحاديث النبوية الشريفة، و على أي حال، فلقد استمر لقب «الشريف» و «السيد» بحمله كل من ينتسب إلى بني هاشم، فلما ولي الفاطميون الحكم في مصر قصره على أبناء الحسن و الحسين ولدي الإمام علي من السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه و آله، و استمر الأمر كذلك بمصر حتى الآن، عرفاً مطرداً في مصر و في غيرها من أنحاء العالم الإسلامي .

## فضائل أهل البيت

### في القرآن الكريم

يرى العلماء أن هناك كثيراً من آيات القرآن الكريم إنما تشير إلى أفضل أهل البيت ( ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم)، و من هذه الآيات (أولاً) آية الأحزاب 33، يقول تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً)، و هذا الآية، فيما يرى جمهور العلماء، أنها منبع فضائل أهل البيت لا شتمالها على غير مآثرهم و اعتناء الباري عزوجل بهم حيث أنزلها في حقهم و يقول العارف بالله «ميحي الدين بن عربي» في الباب 29 من الفتوحات: و لما كان رسول الله صلى الله عليه و آله عبداً محصاً قد طهره الله و أهل بيته تطهيراً، و أذهب عنهم الرجس، فلا يضاف إليهم إلا مطهر، فأهل البيت الشريف هم المطهرون، بل هم عين الطاهرة، و هكذا يدخل أبناء فاطمة، رضي الله عنها كلهم إلى يوم القيامة في حكم هذا الآية من الغفر، فهم المطهرون اختصاصاً من الله، و عناية بهم، لشرف سيدنا محمد صلى الله عليه و آله و سلم و عناية الله به، و لا يظهر حكم هذا الشرف لأهل البيت، إلا في الدار الآخرة، فإنهم يحشرون مغفوراً لهم، و أما في الدنيا فمن أتى منهم حداً أقيم عليه، لقوله صلى الله عليه و آله «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»، و قد أعادها الله تعالى من ذلك. و منها (ثانياً) آية الشورى 23، يقول تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجرأ إلا المودة في القربى)، و روى الإمام أحمد .

في المناقب و الطبراني في الكبير و ابن أبي حاتم في تفسيره و الحاكم من مناقب الشافعي و الواحدي في الوسيط عن ابن عباس أنه قال: لما نزلت هذه الآية قالوا «يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وحببت علينا مودتهم، قال: علي و فاطمة و إناهما»، و يشهد له ما أخرجه الثعلبي في تفسيره عن ابن عباس قال: «و من يقترف حسنة نزل له فيها حسناً» قال المودة لآل محمد صلى الله عليه و آله، و أخرج البزار و الطبراني عن الحسن بن علي عليه السلام في حديث طويل، ذكر فيه قوله «و أنا من أهل البيت الذين افترض الله عزوجل مواليتهم فقال فيما أنزل على محمد صلى الله عليه و آله (قل لا أسألكم عليه أجرأ إلا المودة في القربى)، و في روايه «و أنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم، و أنزل فيهم (قل لا أسألكم عليه أجرأ إلا المودة في القربى) و من يقترف حسنة نزل له فيها حسناً و افتراق الحسنه مودتنا أهل البيت، و أخرج الإمام أحمد «و من يقترف حسنة نزل له فيها حسناً، قال الحسنه مودة آل محمد صلى الله عليه و آله و كان قوله تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجرأ إلا المودة في القربى) من المميزات التي اختص الله تعالى بها نبيه صلى الله عليه و آله، فقد قالت الرسل لأممهم .

(قل ما سألتكم من أجر فهو لكم، أن أجري إلا على الله) (سبأ آية 47)، فتعين على أمته- كما يقول الأستاذ الملباوي- أداء ما أوجبه الله عليهم من أجر التبليغ، فوجب عليهم حب قرابة رسول الله صلى الله عليه و آله و أهل بيته الطاهرين، و جعله باسم «المودة» وهو الثبات على المحبة .

و منها (ثالثاً) آية الأحزاب 56، قال تعالى: (أن الله و ملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليمًا)، روى البخاري في صحيحه عند تفسير هذه الآية عن كعب بن عجرة قال، قيل يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة؟ قال، قالوا: اللهم صل على محمد و علي آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد و آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد» و عن أبي سعيد الخدري قال: قلنا يا رسول الله هذا التسليم، فكيف نصلي عليك، قال قولوا: اللهم صل على محمد عبدك و رسولك، كما صليت على آل إبراهيم، و بارك على محمد و علي آل محمد، كما

باركت على إبراهيم، قال أبو صالح عن الليث: علي محمد و علي آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، و عن يزيد، و قال: «كما صليت على إبراهيم، و بارك على محمد و آل محمد، كما باركت على إبراهيم و آل إبراهيم». و روى ابن أبي حاتم عن كعب بن عجرة قال: «لما نزلت (إن الله و ملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليمًا)، قال، قلنا يا رسول الله قد علمنا الإسلام عليك، فكيف الصلاة عليك، قال، قالوا: فكيف الصلاة عليك، و آل محمد، كما صليت على إبراهيم و آل إبراهيم إنك حميد مجيد»، و روى مسلم و أبوداود و الترمذي و النسائي عن أبي مسعود الأنصاري قال: «أتانا رسول الله صلى الله عليه و آله و نحن في مجلس سعد بن عباد، فقال له بشير بن سعد أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله، فكيف نصلي عليك، قال فسكت رسول الله صلى الله عليه و آله حتى تمنينا أنه لم يسألنا، ثم قال رسول الله صلى الله عليه و آله قالوا: اللهم صل على محمد و علي آل محمد، كما صليت على إبراهيم، و بارك على محمد و علي آل محمد، كما جعلتكم من خير مني و علي آل إبراهيم في العابدین إنك حميد مجيد، و السلام كما قد علمتم .»

و في هذا دليل على أن الأمر بالصلاة على آل محمد، مراد من الآية، و إلا لما سألوا عن الصلاة على أهل البيت عقب نزولها، و لم يجابوا بما ذكر، على أنه صلى الله عليه و آله أقام أهل البيت مقام نفسه في ذلك، ذلك لأن القصد من الصلاة عليه صلى الله عليه و آله و آله أن ينيله مولاة عزوجل من الرحمة المقرونة بتعظيمه بما يليق به، و من ذلك ما يقبضه عزوجل منه على أهل بيته، فإنه من جملة تعظيمه و تكريمه صلى الله عليه و آله، و يؤيد ذلك ما جاء من طرق أحاديث الكساء من قوله صلى الله عليه و آله «اللهم هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك و بركاتك علي آل محمد»، و قد روى الإمام أحمد و الترمذي و الطبراني و أبويعلى عن أم سلمة، زوج النبي صلى الله عليه و آله أن رسول الله صلى الله عليه و آله قال لفاطمة: إئتني بزوجه و ابنيك فجاءت بهم، فألقى عليهم رسول الله صلى الله عليه و آله كساء كان تحتي خبيراً- أصنانه من خبير- ثم قال «اللهم هؤلاء آل محمد عليه السلام فاجعل صلواتك و بركاتك علي آل محمد، كما جعلتها علي آل إبراهيم، إنك حميد

مجيد»، و روى عنه صلى الله عليه و آله أنه قال: «اللهم إنهم مني و أنا منهم فاجعل صلواتك و بركاتك عليهم .»

و منها (رابعاً) آية (103) آل عمران، قال تعالى: (و اعتصموا بحبل الله جميعاً)، قال ابن حجر الهيتمي في صواعقه، أخرج الثعلبي في تفسيره عن جعفر الصادق أنه قال: نحن حبل الله الذي قال الله فيه (و اعتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرقوا) و منها (خامساً) آية النساء (59)، قال تعالى: (أطيعوا الله و الرسول و أولي الأمر منكم)، قال ابن شهر آشوب في المناقب: دخل الحسن بن صالح بن حي علي الإمام جعفر الصادق فقال: يا ابن رسول الله ما تقول في قوله تعالى: (أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم)، من أولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم، قال العلماء، فلما خرجوا قال الحسن: ما صنعنا شيئاً، ألا سألناه من هؤلاء العلماء فرجعوا إليه فسأله فقال: لأنهم منا أهل البيت، و منها (سادساً) آية الصافات (130)، قال تعالى: (سلام على آل ياسين) نقل جمع من المفسرين عن ابن عباس أن المراد آل محمد صلى الله عليه و آله، و أكثر المفسرين على أن المراد إلياس عليه السلام، و منها (سابعاً) آية الصافات (24) قال تعالى: (و قفوهم إنهم مسؤولون)، قال الواحدي مسؤولون عن ولاية أهل البيت، و بعضه ما أخرجه الديلمي عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه و آله قال في قوله تعالى: (و قفوهم إنهم مسئولون)، قال مسؤولون عن ولاية علي و أهل البيت .

و منها (ثامناً) آية النساء (54) قال تعالى: (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله)، أخرج أبو الحسن المغازلي عن الإمام محمد الباقر أنه قال في هذه الآية «نحن الناس»، و منها (تاسعاً) آية (82) طه: قال تعالى: (و أني لغفار لمن تاب و آمن و عمل صالحاً ثم اهتدى)، قال ثابت البناني: اهتدى إلى ولاية أهل البيت، كما روى ذلك عن الإمام الباقر أيضاً، و منها (عاشرًا) آية الضحى (5)، قال تعالى: (و لسوف يعطيك ربك فترضي)، أخرج أن حرير في تفسيره و غيره عن ابن عباس قال رضي محمد صلى الله عليه

و آله «أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار»، و أخرج ابن كثير في تفسيره عن السدي عن ابن عباس «من رضا محمد صلى الله عليه و آله أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار»، قال الحسن: «يعني بذلك الشفاعة» و هكذا قال الإمام أبو جعفر الباقر، وروى أبو بكر عن أبي شيبة عن عبد الله، قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله «إننا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، فليسوف يعطيك ربك فترضى.» (و روى الإمام القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» عن الإمام علي، رضي الله عنه، و كرم الله وجهه في الجنة، لأهل العراق: إنكم تقولون إن أرحى آية في كتاب الله تعالى: (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) (الزمر: آية 53) ، و لكننا أهل البيت نقول: إن أرحى آية في كتاب الله قوله تعالى: (و ليسوف يعطيك ربك فترضى)، و في الحديث: لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه و آله «إذا لا أرضى و واحد من أمتي في النار.» و منها (حادي عشر) آية الانفال (41)، قال تعالى: (و اعملوا أنما عنتم من شيء فإن الله خمسه و للرسول ولذوي القربى و البتامة و المساكين و ابن السبيل)، و قد اتفقت المذاهب الإسلامية على أن المراد بالقرى إنما هم أهل رسول الله صلى الله عليه و آله و من أهل بيته و آله و أن لهم سهماً في الغنيمة»، و منها (ثاني عشر) آية 36 من النور، قال تعالى: (في بيوت أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو و الأصال)، فأمر رسول الله صلى الله عليه و آله هذه الآية، فقال إليه رجل و قال: أي بيوت هذه يا رسول الله، فقال: بيوت الأنبياء، فقال إليه أبو بكر و قال يا رسول الله: هذا البيت منها، و أشار إلى بيت علي و فاطمة، فقال الرسول صلى الله عليه و آله: «نعم من أفضلها.»

## في الحديث الشريف

ورد الكثير من أحاديث رسول الله صلى الله عليه و آله التي تبين فضل أهل البيت و تحض المسلمين على مودتهم و موالاتهم، و تنفر من بغضهم و كراهيتهم، بل و تعلن بوضوح و جلاء أن حب آل النبي صلى الله عليه و آله من حبه، و أن بغضهم من بغضه، و أنه لا أمل لمن يكره آل النبي صلى الله عليه و آله في رضاه في الدنيا و شفاعة في الآخرة، و أن مصيره جهنم و بنس المصير، و العياد بالله، و من هذه الأحاديث النبوية الشريفة (أولاً) قال الفخر الرازي، نقل الزمخشري في الكشاف، و القرطبي في الجامع لأحكام القرآن عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال: من مات على حب آل محمد مات شهيداً، ألا و من مات على حب آل محمد مات مغفوراً له، ألا و من مات على حب آل محمد مات تائباً، ألا و من مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا و من مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة، ثم منكر و تكبر، ألا و من مات على حب آل محمد يرف إلى الجنة كما ترف العروس إلى بيت زوجها، ألا و من مات على حب آل محمد محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة، ألا و من مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا و من مات على حب آل محمد مات على السنة و الجماعة، ألا و من مات على بغض آل محمد، جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: أبس من رحمة الله، ألا و من مات على بغض آل محمد، مات كافراً، ألا و من مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة ألا و من مات على بغض آل محمد فلا نصيب له في شفاعتي.»

ومنها (ثانياً) روى الديلمي و الطبراني في المعجم الكبير، و أبو الشيخ، و ابن حبان في صحيحه، و البيهقي مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال: «لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه، و تكون عترتي أحب إليه من عترته، و أهلي أحب إليه من أهله، و ذاتي أحب إليه من ذاتي»، و منها (ثالثاً) أن عمته صفية شكت إليه أن رجلاً قال لها: أن قرابة محمد لن تغني عنك من الله شيئاً، فبكت، فسمع رسول الله صلى الله عليه و آله صوتها فخرج و قال صلى الله عليه و آله: ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لاتنفع، إن كل سبب و نسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي و نسبي، و إن رحمي موصولة في الدنيا و الآخرة . و روى الديلمي عن عمار و أبي هريرة قالوا: قدمت ذرة بنت أبي لهب المدينة مهاجرة، فنزلت في دار رافع بن المعلى، فقال لها نسوة جلسن إليها من بني زريق: ابنه أبي لهب الذي أنزل الله فيه (تبت بدا أبي لهب) فما يعني هجرتك، فأتت ذرة رسول الله صلى الله عليه و آله فبكت ما قلن لها، فوسكنها و قال: إجلسي ثم صلى بالناس الظهر، ثم جلس على المنبر ساعه، ثم قال: «يا أيها الناس، مالي أؤذى في أهلي، فوالله أن شفاعتي تنال قرابتي، حتى أن صداء و حكم و حاء و سلهب، لتنالها يوم القيامة.» و روى الحاكم عن علي بن الحسين أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب إلى علي رضي الله عنه أم كلثوم و قال أنكحنيها فقال علي أنني أرضعها لابن

أخي عبد الله بن جعفر، فقال عمر أنكحنيها ما من الناس أحد يرصد من أمرها ما أرضعه، فأنكحه علي، فأتى عمر المهاجرين فقال: ألا تهنونني، فقالوا يمين يا أمير المؤمنين، فقال بأمر كلثوم بنت علي وابنة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و آله، أنني سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: كل نسب سبب ينقطع يوم القيامة، إلا ما كان من سببي و نسبي، فأحببت أن يكون بيني و بين رسول الله صلى الله عليه و آله نسب و سبب.» و منها (رابعاً) روى البخاري و الإمام أحمد عن أبي بكر الصديق أنه قال: «أبها الناس أرقبوا محمداً صلى الله عليه و آله في أهل بيته و إلفظه فيهم» و روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة قالت: قال أبو بكر «و الذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه و آله أحب إلي أن اصل من قرابتي.» و منها (خامساً) أخرج أبو يعلى عن سلمة بن الأكوع عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال: «النجوم أمان لأهل السماء، و أهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، و في رواية لابن أبي شيبة و مسدد و الحكيم و الطبراني في الكبير و ابن عساکر عن سلمة بن الأكوع: النجوم أمان لأهل السماء، و أهل بيتي أمان لأمتي»، و في رواية للإمام أحمد: فإذا ذهبت النجوم، ذهبت السماء، و إذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض، و في رواية: «إذا هلك أهل بيتي جاء أهل الأرض من الآيات ما كانوا يوعدون»، و يرى ابن أبي بكر الشلمي ربما كان المراد العلماء منهم الذين نهتدي بهم كما يهتدى بنجوم السماء، ثم ربط بين الآية الكريمة (و ما كان الله ليعذبهم و أنت فيهم) و أن سياق الأحاديث يشير إلى وجود الخير في أهل البيت و أنهم أمان لأهل الأرض .

و منها (سادساً) أخرج الحاكم عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه و آله قال: و عدني ربي في أهل بيتي، من أقر منهم لله تعالى بالتوحيد، ولي بالبلاغ، أن لا يعذبهم، و منها (سابعاً) أخرج ابن عدي و الديلمي عن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و آله قال: أثبتكم على الصراط أشدكم حباً لأهل بيتي، و منها (ثامناً) أخرج الترمذي و ابن ماجه و الحاكم أن رسول الله صلى الله عليه و آله قال: أنا حرب لمن حاربهم، سلم لمن سالمهم» (يعني علي و فاطمة و الحسن و الحسين)، و منها (تاسعاً) أخرج الديلمي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه و آله قال: غضب الله على من أذاني في عترتي، و منها (عاشراً) و أخرج ابن سعد عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال: «استوصوا بأهلي خيراً، فإني أخاصمكم عنهم غداً، و من أكن خصمه أخصمه، و من أخصمه دخل النار، و من خفظني في أهل بيتي فقد اتخذ عند الله عهداً»، و منها (حادي عشر) أخرج ابن سعد عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال: أنا و أهل بيتي شجرة من الجنة، و اغصانها في الدنيا، فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً، و منها (ثاني عشر) أخرج الديلمي عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال: «ادبوا أولادكم على ثلاث خصال، حب نبيكم، و حب أهل بيته، و علي قراءة القرآن، فان حملته القرآن في ظل الله، يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه و أصفيائه.»

و منها (ثالث عشر) أخرج ابن عساکر عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال: من صنع إلى أهل بيتي بدأ كافات عليها يوم القيامة، و روى الديلمي عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «أربعة أنا شفيق لهم يوم القيامة، المكرم لذريتي، والقاضي لهم حوائجهم، و الساعي لهم في أمور دينهم عندما اضطروا اليه، و المكرم لهم بقلبه و لسانه»، و منها (رابع عشر) أخرج الإمام أحمد و الحاكم عن المسور بن مخرمة عن النبي صلى الله عليه و آله قال: فاطمة بضعة مني يغضبني ما يغضبها، و يبسطني ما يبسطها، و أن الأسناب تنقطع يوم القيامة غير نسبي و صهري»، و منها (خامس عشر) أخرج البيهقي و أبو يعلى و الطبراني و الحاكم عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه و آله قال: «أن فاطمة احصنت فرجها فحرمها الله و ذريتها على النار»، و منها (سادس عشر) روى الإمام أحمد و الطبراني و الهيثمي و المحب الطبري عن قره قال: سمعت ابا رجاء يقول لا

تسبوا عليا و لا أهل البيت أن جارا لنا من بني الهجيم قد من الكوفة، فقال: «الم تروا هذا الفاسق بن الفاسق، أن الله قتله، يعني الحسين عليه السلام، قال فرماه الله بكوكبين في عينه فطمس الله بصره.» ومنها (سابع عشر) روى الإمام أحمد في المسند والفضائل عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أني قد تركت فيكم ما أن أخذتم به لن تضلوا بعدي: الثقلين، واحد منهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، و عترت أهل بيتي، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، قال: «انظروا كيف تخلفوني فيهما» و في روايه الترمذي في السنن عن زيد بن أرقم قال

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم ما أن تمسكنم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، و عترتي أهل بيتي، و لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما». و في رواية للقاضي عياض عنه صلى الله عليه وآله قال: «أني تارك فيكم ما أن أخذتم به لم تضلوا، كتاب الله و عترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»، و في رواية للترمذي عن جابر بن عبد الله قال: رايت رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة يوم عرفه، و هو على نافته القصواء يخطب فسمعتة يقول: يا ايها الناس، أني تركت فيكم ما أن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله، و عترتي أهل بيتي، و في روايه صحيح مسلم عن زيد بن أرقم أنه قال: ايها الناس، فانما انا بشر يوشك أن ياتيني رسول ربي فأجيب، و انا تارك فيكم ثقلين، اولهما كتاب الله تعالى، فيه الهدى و النور، فخذوا بكتاب الله و استمسكوا به، فحت على كتاب الله عزوجل و رغب فيه، ثم قال: و أهل بيتي، اذركم الله في أهل بيتي (ثلاث مرات)، و قد سمى الرسول صلى الله عليه وآله القرآن و أهل بيته ثقلين، و النقل كل نفيس موصون، و هما كذلك، اذ أن كلا منهما معدن العلوم الدنية و الحكم العلمية و الاحكام الشرعية . و منها (سابع عشر) أخرج الإمام أحمد و ابن أبي عاصم و البيهقي و الطبراني و الحاكم و ابن عساکر و السيوطي و المحب الطبري عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «قال لي جبريل يا محمد: قلبت الأرض مشارقها و مغاربها فلم أجد ولد أب خير من بني هاشم»، و في رواية للقاضي عياض في الشفاء «قال رسول الله صلى الله عليه وآله علي و آل علي و جبريل عليه السلام، فقال: قلبت مشارق الأرض و مغاربها فلم أر رجلاً أفضل من محمد، و لم أر بني أب أفضل من بني هاشم»، و منها (ثامن عشر) روى الإمام أحمد و المحب الطبري عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أبقضنا أهل البيت فهو منافق»، و منها (تاسع عشر) روى الإمام أحمد و الهيثمي و ابن المنذر و ابن أبي حاتم و ابن مردويه و السيوطي و الطبراني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نزلت: (قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى)، قالوا يا رسول الله: من قربانك هؤلاء الذين و جبت علينا مودتهم، قال

علي و فاطمة و ابناهما عليهم السلام»، و منها (عشرون) روى أحمد و الطبراني عن أبي هريرة قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وآله علي و آل علي و الحسن و الحسين و فاطمة عليهم السلام، فقال: «أنا حرب لمن حاربكم، و سلم لمن سالككم»، و في رواية لأحمد و الترمذي عن زيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وآله علي و آل علي و الحسن و الحسين: أنا حرب لمن حاربتم، و سلم لمن سالكتم» و منها (واحد و عشرون) روى الإمام أحمد في المسند و الفضائل و الترمذي عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وآله علي و آل علي و الحسن و الحسين فقال: «من أحبني و أحب هذين و أبهما و أمهما كان معي في درجتي يوم القيامة»، و منها (اثنان و عشرون) أخرج ابن عساکر عن انس عن النبي صلى الله عليه وآله علي و آل علي قال: «لا يقومن أحد من مجلسه إلا للحسن أو للحسين أو لم بهما، و مهها (ثلاثة و عشرون) أخرج الطبراني عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أبقضنا» يقوم الرجل لآخيه من مجلسه إلا بني هاشم لا يقومون لأحد» و منها (أربع و عشرون) أخرج الترمذي في السنن عن جميع بن عمير التيمي قال: «دخلت و معي عمتي علي عائشة فسنلت: أي الناس كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله علي و آل علي: فاطمة، فقيل من الرجال، قالت زوجها، أن كان ما علمت صواما قواما .

و منها (خمس و عشرون) روى الطبراني في الكبير عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا و علي و فاطمة و الحسن و الحسين يوم القيامة في فيه تحت العرش»، و منها (ست و عشرون) روى الديلمي عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله علي و آل علي: «أول من يرد علي الحوض أهل بيتي و من أحبني من أمتي»، و منها (سبع و عشرون) روى الطبراني في الكبير عن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله علي و آل علي: «اللهم إليك، لا إلى النار، أنا و أهل بيتي»، و منها (ثمان و عشرون) روى ابن عساکر عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله علي و آل علي: «خير رجالكم علي، و خير شبابكم الحسن و الحسين، و خير نساءكم فاطمة»، و منها (ثلاثون) روى ابن عساکر عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: «يا علي، أن الإسلام عربان، لباسه التقوى، و ريشه الهدى، و زينته الحياء، و عماده الورع،

و ملاكه العمل الصالح، و أساس الإسلام حبي و حب أهل بيتي»، و منها (واحد و ثلاثون) روى ابن مردويه عن علي عن النبي صلى الله عليه وآله علي و آل علي: في الجنة درجة تدعى الوسيلة، فإذا سألتهم الله فسلوا لي الوسيلة، قالوا: يا رسول الله من يسكن معك فيها، قال: «علي و فاطمة و الحسن و الحسين»، و منها (اثنان و ثلاثون) أخرج الحاكم عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله علي و آل علي: «يا بني عبدالمطلب أني سألت الله، أن يثبت قائمكم و يهدي ضالكم، و أن يعلم جاهلكم و أن يجعلكم جوداء رحماء، فلو أن رجلاً صفن بين الركن و المقام فصلى و صام، ثم لقي الله مبعوضاً لأهل بيت محمد صلى الله عليه وآله علي و آل علي و أهل بيتي» و في رواية أن رسول الله صلى الله عليه وآله علي و آل علي قال: «يا بني عبدالمطلب أني سألت الله لكم ثلاثاً، أن يثبت قائمكم، و أن يهدي ضالكم، و أن يعلم جاهلكم، و سألت الله أن يجعلكم جوداء رحماء، فلو أن رجلاً صفن بين الركن و المقام فصلى و صام، ثم لقي الله و هو مبعوض لأهل بيت محمد دخل النار»، و منها (ثلاث و ثلاثون) أخرج الجارث بن أبي أسامة عن محمد بن علي، قال: سألت علي و الحسن و الحسين عند رسول الله صلى الله عليه وآله علي و آل علي فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله علي و آل علي و آل علي يقول: «هي حسن، فقالت فاطمة يا رسول الله: تعيين الحسن كأنه أحب إليك من الحسين، قال: أن جبريل يعين الحسين، و أنا أحب أن أعين الحسن (رواه السيوطي في الخصائص الكبرى)، و منها (أربع و ثلاثون) روى أحمد و البزار و الطيالسي و الطبراني و أبويعلي بطرق مختلفة عن علي أنه قال: «دخل علي رسول الله صلى الله عليه وآله علي و آل علي و أنا نائم على المنامة، فاستسقى الحسن و الحسين، قال: فقال النبي صلى الله عليه وآله علي و آل علي فحلبها فدرت، فجاء الحسن فنحاه النبي صلى الله عليه وآله علي و آل علي، فقالت فاطمة يا رسول الله: كانه فحلبها فدرت، فجاء الحسن فنحاه النبي صلى الله عليه وآله علي و آل علي، فقالت فاطمة يا رسول الله: كانه أحبهما إليك، قال لا، ولكنه استسقى قبله، ثم قال: أني وإياك و هذين و هذا الراقد في مكان واحد يوم القيامة»، و منها (خمس و ثلاثون) روى الإمام أحمد في الفضائل و المحب الطبري في الذخائر، قال حدثنا أحمد بن اسرائيل، قال: «رأيت في كتاب أحمد بن محمد بن حنبل رحمة الله بخط يده... قال كان الحسين بن علي يقول: من دعمنا عيناه فينا دعمه او فطرت عيناه فطره، اتواه الله عز و جل الجنة.»

و منها (ست و ثلاثون) روى الطبراني و المرواني و ابن عساکر عن العباس بن عبدالمطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله علي و آل علي: «ما بال أقوام يتحدنون، فإذا راوا الرجل من أهل بيتي قطعوا حديثهم، و الذي نفسي بيده لا يدخل قلب أمرىء الإيمان حتى يحبهم الله و لقرابتهم مني»، و في رواية عن العباس قال: كنا نلقى النفر من قريش و هم يتحدنون، فيقطعون حديثهم، فذكرنا ذلك للنبي صلى الله عليه وآله علي و آل علي فقال: «والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله و لقرابتي و في لفظ: و لقرابتكم مني» (رواه ابن عساکر و ابن النجار)، و منها (سبع و ثلاثون) ما رواه الترمذي و الحاكم و البيهقي من شعب الإيمان عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وآله علي و آل علي و آل علي قال: «سنة لعنهم الله، و كل نبي مجاب، الزائد في كتاب الله، و المكذب بقدر الله، و المتسلط بالجبروت، فيعز بذلك من اذل الله، و يذل من اعز الله، و المكذب بقدر الله، و المتسلط بالجبروت، فيعز بذلك من اذل الله، و يذل من اعز الله، و المستحل لحرم الله، و المستحل من عترتي ما حرم الله، و التارك لستني»، و منها (ثمانية و ثلاثون) روى الترمذي و الحاكم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله علي و آل علي: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، و أحبواي بحب الله، و أحبوا أهل بيتي بحبي»، و منها (تسع و ثلاثون) أخرج ابن سعد عن علي أنه قال: «خبرني رسول الله صلى الله عليه وآله علي و آل علي و آل علي من يدخل الجنة أنا و فاطمة و الحسن و الحسين، قلت يا رسول الله: فمحبونا، قال من ورائكم»، و منها (اربعون) و روى الحاكم في التاريخ من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال رسول الله صلى

اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «ثَلَاثٌ مِنْ حَفِظْهُنَّ حَفِظَ اللَّهُ لَهُ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ، وَ مِنْ ضَيَعُوهُنَّ لَمْ يَحْفَظِ اللَّهُ لَهُ شَيْئًا: حَرَمَهُ الْإِسْلَامُ، وَ حَرَمْتِي، وَ حَرَمَهُ رَحِمِي.»

ومنها (واحد وأربعون) أخرج الطبراني في معجمه، والبيهقي في الدلائل، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من سره أن يحيى حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنه عدن التي غرسها ربي، فيلوالى ولياً من بعدي، واليواي و ليه، و ليقتد بأهل بيتي من بعدي، فإنهم عترتي، خلقوا من طينتي، و رزقوا فهمي و علمي، فويل للمكذبين بفضلمهم من أمتي، القاطعين فيهم صلتى، لا انالهم الله شفاعتي»، و منها (اثنتان وأربعون) أخرج الطبراني في المعجم الكبير عن وائلة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اللهم إنك جعلت صلواتك و رحمتك و مغفرتك و رضوانك على إبراهيم و آل إبراهيم، اللهم انهم مني و أنا منهم، فأجعل صلواتك و رحمتك و مغفرتك و رضوانك علي و عليهم»، قال: يعنى علياً و فاطمة و حسناً و حسيناً»، و منها «ثلاث و أربعون» روى الحاكم في المستدرک عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة، فقال: ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي صلى الله عليه وآله قلت بلى، قال فأهدي إلي قال: سألتنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقلنا يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت، قال: قالوا: «اللهم صل على محمد و على آل محمد، كما صليت على إبراهيم و على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، الله بارك على محمد و على آل محمد، كما باركت على إبراهيم و على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.»

ومنها (أربع و أربعون) روى الترمذي في السنن عن حذيفة قال: «سألتني أمي متى عهدك، تعني بالنبي صلى الله عليه وآله و أسأله فقلت: ما لي به عهد منذ كذا و كذا، فنالت مني لها فقلت: دعيني أتني النبي صلى الله عليه وآله و آله فاصلي معه المغرب، و أسأله أن يستغفر لي و لك فأتيت النبي صلى الله عليه وآله و آله فصليت معه المغرب، فصلى حتى صلى العشاء، ثم أنفلت فتبعته فسمع صوتي فقال: من هذا حذيفة، قلت نعم، قال: ما حاجتك غفر الله لك و لا لك، ثم قال: «أن هذا ملك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة، استأذن ربه أن يسلم علي و يبشرنى بان فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، و أن الحسن و الحسين سيد شباب أهل الجنة.» و منها (خمسة و أربعون) روى ابن جرير عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنما مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا، و من تخلف عنها هلك»، و من مثل باب حطيه في بني اسرائيل» (رواه الطبراني في الكبير)، و في رواية للحاكم عن حنش الكنازي قال سمعت أباذر، و هو أخذ باب الكعبة يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «ألا أن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من قوله، من ركبها نجا، و من تخلف عنها غرق». و منها (ست و أربعون) أخرج الطبراني في الأوسط عن الحسن بن علي، رضي الله عنهما، أنه قال: «إلزموا مودتنا أهل البيت، فإنه من لقي الله عزوجل و هو يودنا، دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده، لا ينفع عبداً عمله إلا بمعرفة أهل البيت»، و روى الحاكم في المستدرک عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله و آله: والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد، إلا أدخله الله النار»، و روى الطبراني عن السيد الحسن رضي الله عنه لا يبغضنا أحد، و لا يحسدنا أحد، إلا زيد يوم القيامة عن الحوض بسياط من نار.»

## مِنْ خَصَائِصِ أَهْلِ الْبَيْتِ

و انطلاقاً من كل ما تقدم من شواهد من الكتاب و السنة، فلقد اتفق علماء المسلمين على أن الله تعالى، المنعم الكريم، قد فضل، سبحانه و تعالى، علي أهل بيت نبيه الكريم صلى الله عليه وآله و آله بخصائص اخصهم بها، و بنعم أنعمها عليها [روى الطاهر بن عبد السلام أن الزمخشري قال: أن أهل بيت صلى الله عليه وآله و آله يساوونه في سبعة أشياء: في السلام، في قوله السلام عليك أيها النبي في التشهد، و في قوله تعالى: (سلام على آل ياسين)، و في ختم التشهد بالصلاة عليه و عليهم، و في قوله تعالى: (ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً)، و في المحبة في قوله تعالى: فاتبعوني يحبكم الله) و في قوله تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجر إلا المودة في القربى) و في تحريم الصدقة، و التشريك في الخمس، و في قوله تعالى: (و للرسول و الذي القربى)، غير أن رواية ابن حجر الهيتمي عن الفخر الرازي أنهم يساوونه صلى الله عليه وآله و آله في خمسة أشياء، في الصلاة عليه و عليهم في التشهد و في السلام و في الطهارة و في تحريم الصدقة و في المحبة.] [كراماً لنبيه و حبيبه سيدنا و مولانا وجدنا محمد رسول الله، صلى الله عليه و آله و سلم، لعل من أهمها :

## الصلاة على أهل البيت

كان من كرامة أهل البيت عند الله تعالى، أن جعل الصلاة عليهم مقرونة بالصلاة على جدهم العظيم، سيد الأولين و الآخرين، و أفضل الأنبياء و المرسلين صلى الله عليه وآله و سلم في كل تشهد، و قد أشرنا من قبل إلى أن الصحابي الجليل بشير بن سعد الأنصاري بعد نزول الآية الكريمة (أن الله و ملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليمًا) سأل قائلاً: يا رسول الله أمرنا أن نصلي عليك، فكيف نصلي عليك، فقال صلى الله عليه وآله و آله قولوا: اللهم صل على محمد و على آل محمد، كما صليت على إبراهيم، و بارك على محمد و على آل محمد، كما باركت على إبراهيم و على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، و السلام كما قد علمتم.»

و روى البخاري عند تفسير آية الأحزاب (56) (أن الله و ملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليمًا) عن كعب بن عجرة قال: قيل يا رسول الله، أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة، قال: قولوا: «اللهم صل على محمد و على آل محمد، كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم صل على محمد و آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك و روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قلنا: يا رسول الله هذا السلام، و كما صليت على آل إبراهيم، و بارك على محمد و على آل محمد كما باركت على آل إبراهيم.»

و روى مسلم في صحيحه عن أبي مسعود الأنصاري قال: أتانا رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و نحن في مجلس سعد بن عباد، فقال له بشر بن سعد: أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك؟ قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله و آله: قولوا: اللهم صل على محمد و على آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، و بارك على محمد و على آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، و السلام كما قد علمتم) «أخرجه مسلم أبوداود و الترمذي و النسائي»، و من هنا ذهب الإمام الشافعي، كما يقول ابن كثير في تفسيره، إلى أنه يجب علي المصلي أن يصلي علي رسول الله صلى الله عليه وآله و آله في التشهد الأخير، فان تركه لم تصح صلاته .

و هكذا بين النبي صلى الله عليه وآله و آله أن أمر الله تعالى إلى الامه بالصلاة عليه، إنما يشمل الأمر كذلك بالصلاة على أهل بيته في كل تشهد، و في كل صلاة، و كفي بهذا تعظيماً و تشريفاً و توقيراً، ذلك لأن هذا يعني أن الله قد قضى بأن مقام أهل البيت إنما هو من مقام جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و أن شرفهم من شرفه، و من فقد أقامهم النبي صلى الله عليه وآله و آله مقام نفسه في التعظيم و التكريم و التشريف، بل أن النبي صلى الله عليه وآله و آله نهي عن إفراده بالصلاة عليه، دون أهل بيته فقد روى ابن حجر الهيتمي في صواعقه أنه صلى الله عليه وآله و آله قال: لا تصلوا علي الصلاة البتراء، قالوا: و ما الصلاة البتراء، قال: تقولون: «اللهم صل علي محمد و آله» و في هذا المعنى يقول أبو سليمان الداراني رضي الله عنه، كما جاء في صواعقي ابن حجر، «من أراد أن يسأل الله حاجه، فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله، ثم يختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله، و يري ابن قيم الجوزية: أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله و آله حق له و ولاة دون سائر الأمم، و لهذا تجب عليه و على آله عند الشافعي و غيره، و من لا يوجبها فلا ريب أنه يستحبها عليه و على آله، و يكرهها لسائر المؤمنين، أو لا يجوزها على غير

النبي صلى الله عليه وآله وأمه، وأما من قال أن آل النبي في الصلاة هم كالأمة فقد أبعده غاية الإبعاد (عن الصواب)، هذا إلى أن النبي صلى الله عليه وآله شرع في التشهد والسلام والصلاة، فشرع السلام من المصلي على الرسول صلى الله عليه وآله أولاً، وعلى نفسه ثانياً، وعلى سائر عباد الصالحين ثالثاً، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «إذا قلت ذلك فقد سلمت على كل عبد صالح في الأرض والسماء، وأما الصلاة فلم يشرعها النبي صلى الله عليه وآله إلا على نفسه وعلى آله فقط، فدل ذلك على أن آله هم أهله وأقاربه، ولما سئل صلى الله عليه وآله عن كيفية الصلاة عليه قال: قولوا «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد»، فالصلاة على آل النبي صلى الله عليه وآله هي من تمام الصلاة عليه وتوايعها، لأن ذلك مما تقربه عين النبي صلى الله عليه وآله، ويزيده الله بن شرفاً وعلواً، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا، وروى ابن حجر الهيثمي عن الإمام الشافعي أنه قال:

فرض من الله في القرآن أنزله  
 من لم يصل عليكم لا صلاة له  
 يا أهل بيت رسول الله حيكماً  
 كفاكم من عظيم القدر أنكم

هذا وقد أجمع المسلمون على أن الحسن والحسين وذريتهما (أولاد السيدة فاطمة الزهراء من الإمام علي بن أبي طالب) هم ذرية النبي صلى الله عليه وآله والمطلوب لهم من الله الصلاة والبركة، لأن أحداً من بناته لم يعقب غير الزهراء، عليها السلام، فمن انتسب إلى النبي صلى الله عليه وآله في الحسن ابن ابنته «أن ابني هذا سيد» فسماه ابنه، ولما نزل قوله تعالى: (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا ونفوسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) فدعا النبي صلى الله عليه وآله علياً وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم وخرج للمباهلة، وهكذا انحصرت ذرية النبي صلى الله عليه وآله في أبناء الزهراء وحدهم، وفي ذرية الحسن والحسين بوجه خاص، ومن هذه الذرية تستمر ذرية النبي صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة، لقوله صلى الله عليه وآله: «كل سب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سبى ونسبى»، أي سبى ونسبه من الإمام الحسن والحسين، عليهما السلام، وذريتهما الطاهرة المباركة، هذا ونظراً لانحصار سببه ونسبه صلى الله عليه وآله في الحسن والحسين وذريتهما، فقد جرى العرف بأن تعبير «أهل البيت» إنما هو صفة لكل من يتصل نسبه بسيدنا الحسن وسيدنا الحسين، وذريتهما إلى يوم القيامة.

## محبة أهل البيت

أمر الله سبحانه وتعالى، وأوصى رسوله الكريم صلى الله عليه وآله بحب أهل البيت، لأنهم عصون هذه الدوحة الماركة، التي أصلها في الأرض، وفرعها في السماء،

والتي اصطفها الله تعالى من بين خلفه، واصطنعها على عينه، فبلغت أوج الكمال في الروح والجسد، وفي السر والعلن، وذلك لأنها بضعة أشرف، الخلق، وأكرم الأنبياء، والذي يقول متحدثاً بنعمة الله عليه، وإحسانه إليه، فيما رواه مسلم في صحيحه والترمذي في الجامع الصحيح عن واثلة بن الأسقع، «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة من قريش بني هاشم واصطفهانى من بني هاشم»، ثم لأن مقام أهل البيت من مقام الرسول صلى الله عليه وآله، فهم في كل عصر و زمان خير الناس، وخيرهم بيوتاً، لأن الله اختار نبيه من خير البيوت وأشرفها، هذا فضلاً عن أن حكمه الله في خلفه، رحمة بعباده، واقتضت أن تستمر بأهل البيت ذرية سيد المرسلين صلى الله عليه وآله إلى يوم الدين، تشع بضائها على العالمين، وترشد بهدائها الضالين، ومن ثم فإن التاريخ لم يعرف أهل بيت أحبهم الناس من قوميات ومذاهب شتى كآل البيت، أحبهم أحياء وأموات، فألف العلماء الكتب في منزلتهم عند الله والناس، ونظم الشعر الدواوين والقصائد في مدحهم، وردد الخطباء فضائلهم على المنابر وفي المحافل، وما من مسلم في شرق الأرض أو غربها يصلي لله، إلا و يذكر رسول الله وآله بالصلاة والتسليم، ناهيك بهذا الأسماء الشائعة بين الناس: محمد وعلي وفاطمة وحسن وحسين، فإن الباعث على التسميه بها، لم يكن إلا للتبرك والتميم باسماء آل البيت الكرام، الذين أحبهم الناس من كل جنس ولون، ومن كل الطبقات، في كل زمان ومكان، (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم).

وقد روى الترمذي والحاكم عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني تحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي»، وروى الإمام أحمد والترمذي أن النبي صلى الله عليه وآله أخذ بيد الحسن والحسين وقال: «من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة»، وأخرج الديلمي عن علي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم وحب آل بيته، وعلى قراءة القرآن» وأخرج ابن عدي والديلمي عن علي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: اثبتكم على الصراط، اشدكم حباً لأهل بيتي وأصحابي، وفي نفس الوقت

فلقد حذر النبي صلى الله عليه وآله من بغض أهل البيت، فقد روى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا يبغيضنا أهل البيت رجل إلا أدخله الله النار»، وقال صلى الله عليه وآله: «لو أن رجلاً صنف بين الركن والمقام فصلى وصام، ثم لقي الله وهو مبغض لأل محمد صلى الله عليه وسلم، دخل النار.»

هذا وتمتلىء كتب السيرة النبوية الشريفة بالأمثلة التي لا تعد ولا تحصى على محبة النبي صلى الله عليه وآله لأهل البيت، وبدهي أن نفس النبي الزكية التي وسعت الرحمة للقريب والبعيد، إنما كانت أكثر رحمة و عطفاً على أهل بيته وأعز الناس عليه، وخاصة فاطمة البتول، البقية الباقية من إبنائه ونباته، فلقد روى أن النبي صلى الله عليه وآله إذا أراد سرفاً، فأخر بيت يخرج منه، بيت فاطمة، وإذا رجع من سفره، فأول بيت يدخله بيتها، يجلس فيه، وبضع الحسن على فخذه الأيمن، والحسين على فخذه الأيسر، يقبل هذا مرة، وذاك مرة، ويجلس علياً وفاطمة بين يديه، كما كان من عادته صلى الله عليه وآله أن يبيت عندهم حيناً بعد حين، ويتولى خدمة الأطفال بنفسه وأبواهما قاعدان، وقد روى أن الحسين قد ركب على ظهر جده النبي صلى الله عليه وآله وأهله وهو ساجد في الصلاة، فرفعه النبي صلى الله عليه وآله وأهله رفعا خفيفا، ولما فرغ من الصلاة وضعه في حجره، فكان يدخل أصابعه في لحيته، والنبي صلى الله عليه وآله يضمه ويقبله ويقول: «اللهم إني أحبه فأحبه»، و سار النبي صلى الله عليه وآله وآله مرة، وهو يحمل الحسين، فقابلته رجل فقال: نعم المركب ركبنا يا غلام، فقال النبي صلى الله عليه وآله عليه: «و نعم الراكب هو»، وخرج النبي صلى الله عليه وآله وآله يوماً من بيت عائشة فمر ببيت فاطمة فسمع الحسين يبكي فمس بكأوه شفاف قلبه صلى الله عليه وآله فخرج إلى فاطمة وقال لها: ألم تعلمي أن بكاءه يؤذيني، وفي ذات يوم بينما كان النبي صلى الله عليه وآله وأهله يخطب ويعظ المسلمين في مسجده الشريف، جاء الحسن والحسين إلى جدهما، وعليهما قميصان أحمران، ويعثران ويقومان، فلم يتمالك النبي صلى الله عليه وآله نفسه وأهله نفسه، وترك الوعظ ونزل إليهما فأخذهما و عاد إلى المنبر، وهو يضمهما ويضمهما ثم وضعهما في حجره، وقال صدق الله العظيم: (إنما أموالكم وأولادكم فتنة).

وهكذا كان من البدهي أن يكون حب أهل البيت، كما يقول الأستاذ حسين يوسف، جزءاً لا يتجزأ من الحب لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله ومن الحب لله تعالى، ولا

يعقل أن يزعم زاعم أنه يحب الله تعالى ويحب رسوله صلى الله عليه وآله وهو في نفس الوقت لا يكن لأهل البيت الشريف، الذين هم منه صلى الله عليه وآله وعلى وآله وهو صلى الله عليه وآله وعليه وآله منهم، نفس الحب ونفس الإجلال والتقدير والعظيم، ولهذا فقد كان حب أهل البيت دلالة على سلامته العقيدة وصدق الأيمان بالله ورسوله، كما أن كراهية أهل البيت دلالة قاطعة على فساد العقيدة ومرض القلب، والعبء عن الله ورسوله، ويؤكد سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله هذه المعاني بقوله الشريف، فيما يروي ابن عساکر من حديث ابن عمر: لا يحب أهل البيت إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق،، وليس من شك في أن من هذا الحديث الشريف بشرى من سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وشهادة منه صلى الله عليه وآله بالإيمان لمحبي أهل البيت، وفيه في نفس الوقت حكم قاطع بانفلاس على مبغضهم، فهو المحجوبون بظلمات بعضها فوق بعض،

المحرمون من هداية الله ونوره «و من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور»، و قد كتب الله عليهم الشقاوة، و جعلهم من أصحاب الجحيم، فلقد روى الحاكم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه و آله أنه قال: «لا يغيثنا أهل البيت أحد، إلا أدخله الله النار.»

و يزيد سيدنا رسول الله صلى الله عليه و آله هذا المعنى بياناً و وضوحاً، فقال، محذراً من إيذاء أهل البيت أو ظلمهم أو الاستخفاف بحقهم «حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي و آذاني في عترتي، و من اصطنع صنيعه إلى أحد من ولد عبدالمطلب، و لم يجازه عليها، فأنا أجازه عليها غداً، إذا لقيني يوم القيامة»، ثم يؤكد النبي صلى الله عليه و آله تأكيداً قاطعاً، صله الإيمان بحب أهل البيت الطاهرين المطهرين، فيقول، كما جاء في نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار، «و الذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحكم لله و رسوله»، فضلاً عن أن حب أهل البيت إنما هو السبيل لرعاية الله تعالى لصاحبه، و الكفيل بحفظه في الدين و الدنيا، و ثباته يوم الدين على الصراط، و شفاعته النبي صلى الله عليه و آله، و في هذا يقول صلى الله عليه و آله «ثلاث من حفظهن حفظ الله له دينه و دنياه، و من ضيعهن لم يحفظ الله له شيئاً، جرمة الإسلام و حرمتي و حرمة رحمي» و قال صلى الله عليه و آله: «أثبتكم على الصراط أشدكم حياً لأهل بيتي»، و قال صلى الله عليه و آله: «شفاعتي لأمتي من أحب أهل بيتي.»

وهكذا أكثر السلف الصالح من محبة أهل البيت و توقيرها، ففي البخاري عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: «أرقبوا محمداً صلى الله عليه و آله في أهل بيته، و الذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه و آله أحب إلي أن أصل من قرابتي»، و روي البخاري و مسلم و أبو داود و الترمذي و النسائي عن عائشة رضي الله عنها عن أبي بكر الصديق أنه قال: «و الذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه و آله أحب إلي أن أصل من قرابتي»، و هكذا كان لقرابة رسول الله صلى الله عليه و آله عليه و آله عند الخليفة الأول من التعظيم و الأكرام ما لم يكن لأحد غيرهم، فالصديق يقسم بالله، و هو صادق، أن قرابة رسول الله صلى الله عليه و آله أحب إليه من قرابته، و أنه يحب أن يظلمه أكثر مما يصل قرابته .

و كان الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه يؤثرهم على جميع المسلمين، بل على أقربائه الأذنين، و من أقواله في قرابة رسول الله صلى الله عليه و آله: أن عبادة بني هاشم فرضة، و يارتهم نافلة، و أخرج الدار قطنى عن ابن الخطاب أنه قال: تحبوا إلى الأشراف و توددوا، و اتقوا على أعراضكم من السفلة، و اعلموا أنه لا يتم شرف إلا بولاية على بن أبي طالب»، و في روايه: «أيها الناس إن الفضل و الشرف و المنزلة، الولاية لرسول الله صلى الله عليه و آله و ذريته فلا تذهبن بكم الأباطيل» و روى الحاكم في المستدرک عن عمر رضي الله عنه أنه دخل على فاطمه، رضي الله عنها، فقال: «يا فاطمة، و الله ما رأيت أحداً أحب إلى رسول الله صلى الله عليه و آله منك، والله ما كان أحد من الناس بعد أبيك صلى الله عليه و آله أحب إلي منك.» و في فتح مكة، و قد أتى العباس- عم النبي صلى الله عليه و آله- بأبي سفيان بن حرب، ليسلم قبل أن تدخل جيوش الإسلام مكة، فما أن رآه الفاروق عمر حتى قال: أبوسفيان عدو الله، الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد و لا عهد، ثم أسرع العباس بأبي سفيان إلي رسول الله صلى الله عليه و آله، و لحق بهما الفاروق فقال: يا رسول الله، هذا أبوسفيان قد أمكن الله منك بغير عقد و لا عهد، فدعني أضرب عنقه، فقال العباس: يا رسول الله إنني قد أجرته، فلما أكثر عمر في شأنه، قال العباس: مهلاً يا عمر، فوالله أن لو كان من رجال بني عدى (رهط عمر) ما قلت هذا، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف، فقال عمر: مهلاً يا عباس، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم، و ما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه و آله من إسلام الخطاب .

و كان الفاروق يجلب الإمام على كل الإجلال، و يستشيره في كثير من المشاكل و القضايا الفقهية، و من كلماته المأثورة في الإمام علي قوله المشهور «لولا علي لهلك عمر»، و «أعوذ بالله من معظلة ليس لها أبوحسن»، و يقدم لنا الفاروق صورة جليلة لحبه و تعظيمه و توقيره لأهل البيت، و رغبته الصادقة في أن يرتبط بهم بنسب و مصاهرة، يروي الأئمة أحمد و ابن سعد و البيهقي و الحاكم و الطبراني و الدار قطنى و ابن راهويه و ابن حجر الهيثمي و أبو نعيم بسند من أكبر أهل البيت و غيرهم، أن عمر بن الخطاب تقدم إلى علي كرم الله وجهه طالباً الزواج من ابنته أم كلثوم، بنت فاطمه الزهراء، بضعة رسول الله صلى الله عليه و آله، فلما أجابه على بأنه حبس بناته لولد أخيه جعفر، قال له عمر: إنه و الله ما على وجه الأرض من حسن صحبتها ما أرصد، فوافق علي، بعد أن استشار الحسن و الحسين، و قد بلغ الفرح بعمر رضي الله عنه أنه أتى المهاجرين و الأنصار، فقال: ألا تهنئوني، فقالوا بمي يا أميرالمؤمنين، فقال بأم كلثوم بنت علي وبنه فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه و آله، إنني سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: «كل نسب و سبب ينقطع يوم القيامة، إلا ما كان من سببي و نسبي»، فأحبت أن يكون بيني و بين رسول الله صلى الله عليه و آله سبب و نسب»، و في رواية أخرى للإمام أحمد: إن عمر بن الخطاب خطب إلى علي بن أبي طالب أم كلثوم فاعتل علي بصغرها، فقال: إنني لم أرد الباه، و لكني سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: «كل سبب و نسب منقطع يوم القيامة ما خلا سببي و نسبي، كل ولي أب فان عصيتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم و عصيتهم»، و قد تم الزواج و رزق الفاروق من حفيدة النبي صلى الله عليه و آله و آله بولد دعاه زيدا، عاش حتى صار رجلاً و مات، و قد أخرج الدار قطنى عن أبي حنيفة أنه قال: سمعت أبا جعفر محمد الباقر يذكر تزويج علي ابنته من عمر، و يقول: «لو لم يكن لها أهلاً لما زوجها إياها»، هذا و قد روي أنه قيل لعمر بن الخطاب: إنك تصنع بعلى شيئاً يعني من التعظيم ( لا تصنع لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله فقال: «إنه مولاي»

إلعل الفاروق يقصد حديث غدیر خم، و فيه قال النبي صلى الله عليه و آله لعلي: « من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه» فليق عمر فقال: «هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت و امسيت مولى كل مومن و مومنه.» و كان الفاروق عمر، لا يساوى أحداً بأهل البيت، روى البلاذري في فتوح البلدان عدة روايات عن العطاء في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، منها ما رواه ابن سعد عن الواقدي بسنده عن جبير بن الحويرث بن نقيد أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه استشار المسلمين في تدوين الديوان، فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه: تقسيم كل سنة ما اجتمع إليك من مال، و لا تمسك منه شيئاً، و قال عثمان رضي الله عنه: أرى مالا كثيراً يسع الناس و إن لم يحصوا حتى يعرف من أخذ ممن لم يأخذ حسب أن ينشر الأمر، فقال الوليد بن هشام بن المغيرة، قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديواناً، و جندوا جنداً، فدون ديواناً و جند جنداً، فأخذ بقوله فدعا عقيل بن أبي طالب و مخزومة بن نوفل و جبير بن مطعم، و كانوا من لسان قريش فقال: اكتبوا الناس على منازلهم، فبدأوا بني هاشم (رهط النبي صلى الله عليه و آله)، أتبعوهم أبابكر و قومه ثم عمر وقومه على الخلافة، فلما نظر إليه عمر قال: وددت و الله أنه هكذا، ولكن ابداً بقرابه النبي صلى الله عليه و آله و آله الأقرب فالأقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله تعالى... فجاءت بنوعدي (رهط عمر) فقالوا: أنت خليفه رسول الله صلى الله عليه و آله و خليفه أبي بكر، و أبوبكر خليفه رسول الله صلى الله عليه و آله و آله فلو جعلت نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم الذين كتبوا، قال: بخ بخ بني عدى، أردتم الأكل على ظهري، و أن أهب حسناتي لكم، لا والله حتى تأتیکم الدعوة، و أن يطبق عليكم الدفتر، يعني و لو تكتبوا آخر الناس، أن لي صاحبين سلكتا طريقاً فإن خالفتهما خولف أبي، والله ما أدركنا الفضل في الدنيا، و ما نرجو التواب على عملنا، إلا بمحمد صلى الله عليه و آله فهو شرفنا، و قومه اشرف العرب، ثم الأقرب فالأقرب....

و منها ما روى عن الشعبي قال: لما هم عمر بن الخطاب في سنه عشرين بتدوين الدواوين، دعا بمخزومة بن نوفل و جبير بن مطعم، فأمرهما أن يكتبتا الناس على منازلهم، فكتبوا بني هاشم، ثم أتبعوهم أبابكر وقومه، ثم عمر وقومه، فلما نظر عمر في الكتاب قال: وددت أني في القرابة برسول الله صلى الله عليه و آله كذا، إبدأوا بالأقرب فالأقرب، ثم ضعوا عمر بحيث وضعه الله تعالى، فشكره العباس بن عبد المطلب على ذلك، و قال: «و صلتك رحم»، و روى عن محمد بن عجلان قال: لما ذون عمر الدواوين، قالوا: بمن نبداً: بنفسك، قال: «لا، إن رسول الله صلى الله عليه و آله إمامنا، فبرهطه نبداً، ثم بالأقرب و الأقرب»، و روي عن سفيان الثوري عن جعفر الصادق عن أبيه قال: «لما وضع عمر الديوان استشار الناس، بمن يبدأ، فقالوا إبدأ بنفسك، قال: لا، و لكن ابداً بالأقرب فالأقرب من رسول الله صلى الله عليه و آله فبدأ بهم.»

و منها ما روي عن ابن سعد عن الواقدي بسنده عن الزهري عن سعيد بن عمرو قالوا: لما أجمع عمر على تدوين الديوان و ذلك في المحرم سنة عشرين، بدأ بني هاشم، ثم الأقرب فالأقرب برسول الله صلى الله عليه و آله، فكان القوم إذا استنوا في القرابة قدم أهل السابقة، ثم انتهى إلى الأنصار فقالوا بمن نبداً فقال: إبدأوا برهط سعد بن معاذ من الأوس ثم الأقرب فالأقرب

لسعد، و فرض عمر لأهل الديوان، فقدم أهل السوابق والمشاهد من الفرائض وكان أبوبكر قد سوى بين الناس في القسم، فقيل لعمر في ذلك، فقال: لا أجعل من قاتل رسول الله صلى الله عليه وآله كمن قاتل معه، فبدأ بمن شهد بدماء المهاجرين والأنصار، و فرض لكل رجل منهم خمسة آلاف درهم في كل سنة، حليفهم ومولاهم معهم بالسواء، و فرض لمن كان له إسلام كإسلام أهل بدر و من مهاجرة الحبشة ممن شهدوا أحد أربعة آلاف درهم، و فرض لأبناء البدريين ألفين ألفين، إلا الحسن والحسين فإنه ألحقهما بفرصة أبيهما لقرابتهما برسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آله ففرض لكل واحد منهما خمسة آلاف و فرض للعباس خمسة آلاف لقرابته برسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آله .

و لم يكن للخليفة الثالث، عثمان بن عفان رضي الله عنه، فأقل حباً لآل البيت من صاحبه، فهو من بني عبد مناف، و هو صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله و زوج ابنتيه، و من ثم فقد سمي بزدي النورين، غير أن الأحداث سرعان ما باعدت بينه و بين علي، بسبب و آيات بطانته من بني أمية، و إن ظل الحب و الاحترام متبادلاً بين عثمان و آل البيت، و آية ذلك أن الإمام علي أرسل ولديه، و الحسن والحسين، للدفاع عن عثمان، و قد أصيب الحسن بسهم فخصه الدم، و شج قبر مولى علي، و على أي حال، فحين انتقل الحكم من الخلفاء الراشدين إلى الأمويين، أعداء آل النبي صلى الله عليه وآله، فلبوا لهم طهر المجن، و فعلوا بعثرة رسول الله صلى الله عليه وآله و آله ما لا يقبله خلق أو دين، و ما لا يرضاه مسلم، بل ما لا يرضاه إنسان، أي إنسان، من آية ملة كان، و إلى أي جنس ينتمي، و بأي مذهب سياسي يدين، و كانت كارثة الكوارث مذهبة كربلاء، و الأمر الذي سنناقشه في كتابنا عن مولانا الإمام الحسين، عليه السلام، مع ذلك فقد كان من بني أمية هؤلاء الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز الذي اشتهر بحب آل البيت، والذي قال لعبد الله بن الحسن المثنى، حفيد الإمام علي، «والله ما على ظهر الأرض أهل بيت أحب إلي منكم، و لأنتم أحب إلي من أهل بيتي»، و حين ذكر الزهاد عنده، قال: «أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب»، ثم سرعان ما أبطل تلك الفعلة الدينية التي جري عليها في حاحه له، فلما قضى حاجته قال له: «إذا كانت لك حاجة فأرسل إلي احضر، أو اكتب لي ورقة، فإني استحي من الله أن يراك على بابي»، و روى أبو الفرج الأصفهاني الأموي عن سعيد بن إبان القرشي أن عبد الله بن الحسن دخل على عمر بن عبدالعزيز، و هو حديث السن له و فره، فرفع مجلسه و أقبل عليه و قضى حوائجه ثم أخذ عنده من رقبته فغمزها حتى أوجعه، و قال أذكرها عندك للشفاعة، فلما خرج لأمه قوله و قالوا ففعلت هذا بغلام حدث، فقال: إن الثقة حدثني حتى كاني أسمع من في رسول الله صلى الله عليه وآله «إنما فاطمة بضعة مني يسرنى ما يسرها»، و أنا أعلم أن فاطمة لو كانت حيه لسرها ما فعلت بابنها، قالوا: فما معنى غمزك بطنه، و قولك ما قلت، قال: «إنه ليس أحد من بني هاشم إلا وله شفاعه فرجوت أن أكون في شفاعه هذا»، و قيل «إنه كتب بعد ذلك إلى عامله بالمدينة أن أقسم في ولد علي من فاطمة، رضوان الله عليهم، عشرة آلاف دينار، فطالما تخطتهم حقوقهم.»

و هناك، غير عمر بن عبدالعزيز، نفر قليل جداً من الأمويين كانوا يحبون آل البيت، فهناك أبو الفرج الأصفهاني صاحب كتاب «مقاتل الطالبين» و كان أموياً محباً لآل بيت النبي صلى الله عليه وآله و آله، و هناك الشاعر عبدالله أبو عدي المعروف بالعلي، و كان يكره ما يجري عليه بنواميه من سب الإمام علي، و يظهر الإنكار، فشرده الأمويون، و هناك معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، و قد نقل عنه الدميري في «حياة الحيوان» أنه لما بويغ بالخلافة، بعد أبيه يزيد، صعد المنبر فخطب خطبة طويلة جاء فيها «إن جدي معاوية قد نازع في هذا الأمر من كان أولى به منه و من غيره، لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و عظيم فضله و سابقته، أعظم المهاجرين قردياً، و أشجعهم قلباً، و أكثرهم علماً، و أولهم إيماناً، و أشرفهم منزلة، و أقدمهم صحة، ابن عم الرسول صلى الله عليه وآله و آله و أخوه، و صهره و زوج ابنته، و أبوسطية الحسن والحسين، سيدي شباب أهل الجنة، و أفضل الأمة من الشجرة الطيبة الزكية، فركب جدي معاوية مع ما تعلمون، و ركبتم معي ما لا تجهلون، ثم انتقلت الخلافة إلى أبي يزيد، فنقل أمركم لهوى أبيه، و كان غير خليق بالخلافة على أمة محمد صلى الله عليه وآله و آله فركب هواه، و تجرأ على الله بما استحل من حرمة أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله و آله فقلت مدته و انقطع أثره، و ضاج عمله، و صار حليف حفرته رهيبن خطبته، ثم قال: فشانكم أمركم فخذوه، و من رضيتهم فولوه، فلقد خلعت بيعتي من أعياقكم، و السلام»، و لما نزل من على المنبر ويخه أقاربه، و قالت له أمه: «ليتك كنت حيضته و لم أسمع بخبرك، فقال: وددت و آله ذلك»، و قال الأموال لمعلمه و مؤديه «عمر المقصوص» أنت علمته حب علي و أولاده، و أخذوه فدفتوه حباً، ثم دسوا السم لمعاوية فمات .

و انتقل الحكم إلى العباسيين الذين فاقوا الأمويين تنكلاً بأهل البيت و شيعتهم، و إن كان بعضهم أخف عليهم من بعض، بينما هناك من كان في جانت آل البيت، و قليل ما هم، غير أن المسلمين لم يكونوا على دين ملوكهم في بعض العترة الطاهرة، و إنما كانوا، و الحمد لله، على دين نبيهم في حب آل البيت و تقدسهم، حتى الذين قاتلوا الإمام الحسين في كربلاء، كانت قلوبهم معه و سيوفهم عليه، بل حتى الولاة و الموظفون عند الخليفة كانوا يؤمنون في قرارة أنفسهم بحق أبناء الزهراء البتول، و يتشيعون لهم، و من أمثلة ذلك أن الطاهرين في خراسان كانوا يحكمون باسم الخليفة المأمون و قلوبهم مع آل البيت، و منها أن الخيفة المتوكل كان قد كلف «ابن السكيت» بتأديب ولده المعتز بالله، و كان ابن السكيت يكتم تشييعه لأن المتوكل معروف بإغراقه في العداوة للإمام علي و أولاده، و في ذات يوم قال له المتوكل: أيهما أحب إليك، ابناي هذان (المعتز و المؤيد) أم الحسن و الحسين، فلم يتمالك ابن السكيت نفسه أن قال له «و الله إن قبر خادم علي بن أبي طالب خير منك و من ابنك، فأمر المتوكل أن يخرجوا لسانه من ففاه، ففعلوا و مات .

و كان أمة المذاهب الأربعة من أكثر الناس حباً لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله و آله، فلقد اشتهر الإمام أبو حنيفة النعمان بحب آل البيت و بذل الأموال الطائفة لهم، حتى نقل أنه بعث إلى بعض المستترين منهم اثني عشر ألف درهم دفعة واحدة، كان يأمر أصحابه برعاية أحوالهم، و اقتضاء آثارهم، و والإقتداء بأنوارهم، و كان الإمام مالك من محبي آل البيت، و قيل إنه أفتى بخلع المنصور لأن القوم يابعوه كرهاً، و لا بيعة المكروه

أيرى ابن مغنية في كتابه «أهل البيت» أن أباحنيفة أفتى بنصرة زيد بن علي زيد العابدين، و حمل الأموال إليه، كما أفتى بالخروج مع إبراهيم بن عبدالله الحسن لحرب المنصور، فضرب بالسياط و حبس و عذب، و أخيراً سقاه المنصور السم فمات، و يذهب إلى أن ضرب أبي حنيفة بسبب رفضه تولى منصب القضاء فول غير مقبول، ذلك لأن طلبهم إياه أن ضرب أبي حنيفة بسبب رفضه تولى منصب القضاء قول غير مقبول، ذلك لأن طلبهم إياه للقضاء يدل على التعظيم، و ضربه بالسياط يدل على التحقير، فكيف يمكن التوفيق بينهما، و ربما عرض الخلفاء عليه القضاء ليسكت و ينصرف عن حب آل البيت، فلما أبي نكلوا به، فالتنكيل إذن كان لغاية سياسية و هي صرفه عن حب آل البيت الذين كانوا يمثلون الحزب المعارض، و ليس من أجل امتناعه عن القضاء، هذا و قد كان الإمامان أبو حنيفة و مالك من تلامذة الإمام جعفر الصادق، فيما يرى الكثيرون من أمثال، ابن حجر الهيتمي في الصواعق، و أبو نعيم في حليه الأولياء، و ابن الصباغ في الفصول، و الشبلنجي في

نور الأبصار، و الشيخ سليمان في الينابيع و غيرهم، و أما الإمام الشافعي فحبه لأهل البيت أشهر من أن يذكر، و قد أغرق في هذا الحب حتى نسبه الخوارج إلى الرفض، و من شعره في آل البيت الطاهرين :

- يا أهل بيت رسول الله حكيم كفاكم من عظيم القدر أنكم من لا يصلي عليكم لا صلاة له
- فرض من الله في القرآن أنزله من لا يصلي عليكم لا صلاة له من لا يصلي عليكم لا صلاة له
- 2- و قال :
- يا راكباً قف بالمحصب من مني سحرراً إذا فاض الحجيج إلى منى أن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي
- و اهتف بقاعد خيفها و الناهض فيضاً كملتطم الفرات الفاض فليشهد الثقلان أني رافضي فليشهد الثقلان أني رافضي
- 3- و قال :
- قالوا ترفضت قلت كلا لكن توليت غير شك إذا كان حب الولي رفضاً فإنني أرفض العباد





الله عليه وآله، ومنها أن يكون له أصل يعضده بأن يكون مندرجاً تحت أصل عام، ومنها ألا يشتد ضعفه حتى يلحق بالموضوعات، ومنها لا يعارضه حديث خاص، ومنها أن يعمل به في المناقب وفضائل الأعمال، ولا ريب في أن حب أهل البيت منقبة عظيمة، والحديث الضعيف صالح للدلالة عليها، وأما الأمر الثاني: إذا ورد عليهم حديث صحيح مسلم، قالوا خير الأحاد ولا يلزم العمل به، والحديث الذي تقوم به الحجة هو المتواتر، وهكذا يتصلون بهذه التأويلات من موالاته أهل البيت، وبالتالي يسلبون أنفسهم حلاوة الإيمان، ويصبحون في تأويلاتهم أشبه بعلماء بني إسرائيل.»

هذا وقد ذهب العلماء المجتهدون إلى أن حب أهل البيت من فضائل الإيمان، بل يتجاوزها إلى حدود الواجب كما يدل على ذلك صريح كثير من الأحاديث الشريفة، التي سبقت الإشارة إليها، وأما غلاة المنتصلين فيذهبون إلى أنه إن كان حب أهل البيت أمراً مشروعاً، فهذه عبادة لهم، أشبه بالعبادة الوثنية، وقد حرم القرآن عبادة غير الله، فلا يستحق أحد منهم، فيما يزعمون، حقاً على غيره، ويجعلون الحي والميت من أهل البيت في ذلك سواء، سيما وهم يشددون النكير على الأولياء الأموات من أهل البيت وغيرهم، ويصورون ذلك للسذج من العامة من أن زيارة القبور كعبادة الوثنية، ملبسين عليهم وغير مفرقين في ذلك بين الزيارة الشرعية والبدعية، وحتهم في ذلك يقيمونها لهم من أنفسهم هي أنهم يقاطعون زيارة كل ولي، مع التنفير من زيارة، ومن عجب أن بعضهم اعتمد على ابن تيمية في رأيهم هذا، مع أن ابن تيمية يقول في كتابه «قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة» ما خلاصته: إن زيارة قبول المسلمين على وجهين شرعية وبدعية، والشرعية ما قصد منها الدعاء للميت، لما يقصد بالصلاة على جنازته الدعاء له، فالقيام على قبره من جنس الصلاة عليه، وكان النبي صلى الله عليه وآله يصلي على جنائز المسلمين ويقف على قبورهم، ومن ثم كان الصلاة على قبره من جنس الصلاة عليه، وكان النبي صلى الله عليه وآله يصلي على قبره ويقف على قبرهم، ومن ثم كان الصلاة على قبره من جنس الصلاة عليه، وما قصد منها الدعاء للميت، لما يقصد بالصلاة على جنازته الدعاء له، فالقيام على قبره من جنس الصلاة عليه، وكان النبي صلى الله عليه وآله يصلي على جنائز المسلمين ويقف على قبورهم، ومن ثم كان الصلاة على الموتى والقيام على قبورهم في السنة المتواترة تشريعاً منه صلى الله عليه وآله، كما كان صلى الله عليه وآله إذا دفن الرجل من أمته يقف على قبره ويقول: سلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل»، هذا فضلاً عن زيارته لأهل البقيع بالمدينة وشهداء أحد، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج إلى المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا أن شاء الله بكم لأحقون»، وهكذا يبدو واضحاً أن كلام ابن تيمية لم يقل بمقاطعة زيارة أولياء الله من المسلمين والدعاء لهم، وإنما هم أولئك الغلاة الذين يشددون النكير على من يزور أولياء الله من غير أن يبينوا لهم الوجه المشروع من غيره في زيارة أولياء الله وغيرهم من المسلمين، بل لبسوا عليهم وكرهوا لهم كل من يتردد إلى زيارة قبول المسلمين وصورهم لهم بأنهم عبدة أوثان وحرموهم من أجر سنة صحبة متواترة عن النبي صلى الله عليه وآله .

## طهارة أهل البيت

أوصى النبي صلى الله عليه وآله أمته بأهل بيته و ساواهم بالقرآن، ففي الحديث «إني تارك فيكم الثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، ثم قال وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي... ثلاثاً»، وذلك لأن أهل البيت، سلالة الحسن والحسين، ابني الزهراء، إنما هم بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمه سيد الأنبياء الذي اصطفاه من أطهر المناقب وأعرق الأصول، وتعهد نوره في الأصحاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة، من لدن آدم حتى حملته أمه، ما تشعبت شعبتان إلا وكان صلى الله عليه وآله في خبرهما شعبة، ولا افتردت فرقتان إلا وكان صلى الله عليه وآله في أكرمهما فرقة، ومن ثم كان أهل البيت، سلالة النبي صلى الله عليه وآله وأمه، أهل الحسب والنسب، والطهر والشرف، لا يلوئهم رجس ولا ينالهم دنس، فلقد طهرهم الله فضلاً عنه وكرماً ثم دعا لهم رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى، فقال (اللهم هؤلاء أهل بيتي، فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.)

ويقول العارف بالله محي الدين أبو عبد الله محمد بن عربي في الفتوحات الملكية: ولما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وأمه عبداً محضاً قد طهره الله تعالى وأهل بيته تطهيرا، وذهب عنهم الرجس، يقول تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس، أهل البيت ويطهركم تطهيرا) فلا يضاف إليهم إلا المطهر، ولا بد فإن المصاف إليهم هو الذي يشبههم، فما يضيفون لأنفسهم إلا من له حكم الطهارة والتقدیس، وأهل البيت هم المطهرون، بل هم عين الطهارة، فهذه الآية (الأحزاب 33) تدل على أن الله تعالى قد شرب أهل البيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وأمه في قوله تعالى في سورة الفتح (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر)، فطهر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وأمه بالمغفرة مما هو ذنب بالنسبة إينا، لو وقع منه صلى الله عليه وآله وأمه لكان ذنباً في الصورة، لا في المعنى، لأن الذم لا يلحق به على ذلك من الله تعالى، ولا منا شرعاً، فلو كان حكمه حكم الذنب لصحبه ما يصح الذنب من المذمة، ولم يكن يصدق قوله تعالى: (ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)، ومن ثم فقد دخل الشرفاء أولاد فاطمة عليهم السلام كلهم إلى يوم القيامة في حكم هذا الآية من الغفران، فهم المطهرون باختصاص من الله تعالى، و عناية بهم لشرف محمد صلى الله عليه وآله وأمه وعناية الله سبحانه به، وبالتالي فينبغي لكل مسلم مومن بالله وبما أنزله ابن يصدق الله تعالى في قوله (ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) فيعتقد في جميع ما يصدر من أهل البيت، رضي الله عنهم، أن الله تعالى

قد عفا عنهم، ولا ينبغي لمسلم أن يلحق المذمة، ولا ما يشنأ أعراض من قد شهد الله تعالى بتطهيرهم وإذهاب الرجس عنهم، ليس ذلك بعمل عملوه، ولا بخير قدموه، بل هو سابق عناية واختصاص إلهي (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.)

على أن هذا الشرف لأهل البيت لا يظهر إلا في الدار الآخرة، فإنهم يحشرون مغفوراً لهم، وأما في الدنيا فمن أتى منهم حداً أقيم عليه لقوله صلى الله عليه وآله «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» وقد أعادها الله من ذلك، وطهرها تطهيرا، و يقول المقريري في كتابه «معرفة ما يجب لآل البيت النبوي من الحق على من عداهم» ما رواه الحاكم في المستدرک، في حديث معاوية بن هشام عن عبد الله بن مسعود، قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله «إن فاطمة احصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار»، وما رواه الحافظ محب الدين الطبري في «ذخائر العقبي في مناقب ذوى القربى»، و أخرجه الملا في سيرته من حديث حصين بن عمر أن قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله «سألت ربي أن لا يدخل النار أحداً من أهل بيتي فاعطانا ذلك»، وفي رواية أخرى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله «سألت ربي أن لا يدخل النار أحداً من أهل بيتي فاعطانا ذلك»، (رواه الطبراني والهيتمي)، وما رواه الحافظ الدمشقي من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم سميت، قال: أن الله عزوجل قد فطمها و ذريتها من النار يوم القيامة»، وقد رواه الإمام علي بن موسى الرضا بسنده، قال رسول الله صلى الله عليه وآله «إن الله فطم فاطمة وولدها و من أحبهم من النار»، وما رواه النسائي والمحب الطبري عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله «إن ابنتي فاطمة حوراء، إذ لم تحض ولم تطمئ، وإنما سماها فاطمة لأن الله عز وجل فطمها وحببها من النار.»

ويقول المقريري، نقلاً عن العلامة نجم الدين سليمان الطوفي في «الإرشادات الإلهية في المباحث الأصولية»، أن الشيعة قد احتجت بقوله تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) على أن أهل البيت معصومون، ثم على أن إجماعهم حجة، أما أنهم معصومون، فلأنهم طهروا، وذهب الرجس عنهم و كل من كان كذلك فهو معصوم، أما الأولى فلنص الآية (الأحزاب 33)، وأما الثانية فلأن الرجس اسم جامع لكل شر ونقص، والخطأ وعدم العصمة بالجملة شر ونقص، يندرج تحت عموم الرجس الذاهب عنهم بنص الآية وبالتالي تكون لهم الإصابة في القول والفعل والاعتقاد، والعصمة بالجملة ثابتة لهم، فضلاً عن أن الله طهرهم وأكد تطهيرهم بصيغة المصدر، فقال «و يطهركم تطهيرا». ثم أكد عصمتهم من الكتاب والسنة، في الإمام علي وحده، وفي فاطمة عليها السلام وحدها، وفيهم جميعاً، أما دليل العصمة من الإمام علي، فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وآله وأمه لما أرسله إلى اليمن قاضياً، قال «يا رسول الله: كيف تبعتني قاضياً ولا علم لي بالقضاء، قال: إذهب فإن الله سيهدي قلبك ويسد لسانك، ثم ضرب صدره وقال «اللهم اهد قلبه و سد لسانه»، قالوا: قد دعا له بهداية

القلب و سداد اللسان، و أخبره بأنه سيكونان له، و دعاؤه مستجاب، و خبره حق و صدق، و نحن لا نعني بالعصمة إلا هداية القلب للحق، و نطق اللسان بالصدق، فمن كان عنده للعصمة معنى غير هذا أو ما يلازمه فليذكره .

و أما دليل العصمة في فاطمة عليها السلام، فقولته صلى الله عليه و آله «فاطمة بضعة مني يربيني ما رابها و يوذيني ما أذاها» (أخرجه البخاري و مسلم)، و النبي صلى الله عليه و آله معصوم، فضعته، أي جزؤه، و القطع منه يجب أن تكون معصومة، و أما دليل العصمة فيهم جميعاً (علي و فاطمة و الحسن و الحسين) فقولته صلى الله عليه و آله «إني تارك فيكم ما أن تمسكتكم به تزلوا، كتاب الله، و عترتي أهل بيتي، و إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض» (رواه الترمذي) و وجه دلالاته أنه لازم بين أهل بيته و القرآن المعصوم، و ما لازم المعصوم فهو معصوم، قالوا: و إذا ثبت عصمة أهل البيت وجب أن يكون إجماعهم حجة لامتناع الخطأ و الرجس عليهم بشهادة السمع المعصوم، و إلا لزم وقوع الخطأ فيه، و أنه محال، و اعترض الجمهور بأن قالوا: لا نسلم أن أهل البيت في الآية من ذكرتهم، بل هم نساء النبي صلى الله عليه و آله، و أما ما أكدتم به عصمتهم من السنة فأخبار أحاد لا تقولون بها، مع أن دلالتها ضعيفة، و أجاب الشيعة بأن الدليل على

أن أهل البيت في الآية من ذكرا (علي و فاطمة و ولدهما) فثبت بالنص و الأجماع) و قد ذكرنا ذلك من قبل عند تحديدنا لأهل البيت) و أما خير الأحاد فقال الشيعة عنه: أننا أكدنا به دليل الكتاب، ثم هي لازمة لكم، فنحن أوردناها إلزاماً لا استدلالاً، على أن الرأي عند «الطوفي» أن آية الأحزاب 33 (آية التطهير) ليست نصاً و لا قاطعاً في عصمة آل البيت، و إنما قصارها أنها ظاهرة في ذلك بطريق الاستدلال الذي حكيناه عنهم .

و لعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أننا سبق أن أشرنا من قبل إلى دخول أبناء فاطمة البيت في حكم آية التطهير (الأحزاب 33) من الغفران، فهم المطهرون اختصاصاً من الله، و عناية بهم لشرف محمد صلى الله عليه و آله و عناية الله به، و يذهب بعض العارفين إلى أن حكم هذه النسبة لأهل البيت تكون في الدر الآخرة فإنهم يحشرون مغفوراً لهم، قال تعالى: (جنا عن يدخلونها من صلح من آبائهم و أزواجهم و ذرياتهم (الرعد 24) قال سعيد بن جبيرة: يدخل الرجل الجنة فيقول أين أبي أين أمي أين زوجي، فيقال لهم لم يعملوا مثل عملك، فيقول كنت أعمل لي و لهم، فيقال لهم ادخلوا الجنة»، و يقول ابن عباس: إن الله تعالى جعل من ثواب المطيع سروره بما يراه في أهله، حيث بشره بدخول الجنة مع هؤلاء، فدل على أنهم يدخلونها كرامة للمطيع العامل، و لا فائدة للتبشير و الوعد إلا بهذا، إذ كل صلح في عمله قد وعد دخول الجنة، و يدهي أنه إذا جاز أن يكرم الله تعالى عبادة المؤمنين بالذين عملوا بطاعته، و نهوا أنفسهم عن مخالفته بأن يدخل معهم الجنة من أهاليهم و ذوي قرباهم من كان مومناً قد قصر في عبادة ربه، و خالف بعض ما نهى عنه، بطريق التبعية لهم، لا أنهم قد استحقوا تلك المنازل بما أسلفوا من الطاعات في الدنيا، فرسول الله صلى الله عليه و آله سيد المرسلين و أمام المتقين، لولى بهذه الكرامة أن يدخل الله تعالى عصاة ذريته الجنة، تبعاً له، و يرضي عنهم برضاه عنه صلى الله عليه و آله .

و روى ابن جرير في تفسيره عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله «إن الله ليرفع ذرية المؤمن إليه في درجته، و إن كانوا دونه في العمل لتقربهم عينه، ثم قرأ (و الذين آمنوا و اتبعناهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم و ما ألتناهم من عملهم من شيء) (الطور 21) قال: ما أنقصنا الآباء بما أعطيناهم للبين .»

و يستخلص المقريري من ذلك بأن الله تعالى إذا أكرم المؤمن لإيمانه، فجعل ذريته الذين لم يتسحقوا درجته معه في الجنة لتقصيرهم، فالمصطفى صلى الله عليه و آله أكرم على ربه تبارك و تعالى من أن يهين ذريته بإدخالهم النار في الآخرة، و هو عزوجل يقول في آل عمران (آية 192) (إنك من تدخل النار فقد أزيته)، بل من كمال شرفه صلى الله عليه و آله و رفيع قدره و عظيم منزلته عند الله عزوجل أن يقر الله عينه بالعمى عن جرائم ذريته، و يتجاوز عن معاصيهم، و مغفرة ذنوبهم، و أن يدخلهم الجنة من غير عذاب، كما يتسخلص المقريري كذلك من قوله تعالى في الآية 82 من الكهف (و أما الجدار فكان لفلانين يتيمين في المدينة و كان تحتها كنز لهما و كان أبوهما صالحاً)، أنه إذا صح أن الله سبحانه و تعالى قد حفظ غلامين بصلاح أبويهما و ما ذكر عنهما صلاحاً، رغم أن بينهما سبعة أو تسعة آباء، فيكون قد حفظ الأعباء برعاية الأسلاف، و أن طالبت الأقباب، و من ذلك ما جاء في الأثر من أن حمام الحرم من حمامتين عششتا على فم الغار الذي اختفي فيه الرسول صلى الله عليه و آله فلذلك حرم حمام الحرم، فإنما كان ذلك كذلك، فرسول الله صلى الله عليه و آله أحرى و أولى و أحق و أجدر، أن يحفظ الله تعالى ذريته، فإنه إمام الصلحاء و ما أصلح الله فساد خلقه إلا به، و من جملة حفظ الله تعالى لأولاد فاطمة أن لا يدخلهم النار، و قد روى الإمام أحمد و الطيالسي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه و آله خطب فقال «ما بال أقوام يزعمون أن رحمتي لا تنفع، و الذي نفسي بيده إن رحمتي لموصولة في الدنيا و الآخرة .»

## تحريم الصدقة على أهل البيت

بلغت كرامة أهل البيت عند الله تعالى أن حرم عليهم الصدقات، و إن أحل لهم الهدايا، شانهم في ذلك شأن جدهم المصطفى صلى الله عليه و آله، لأن الصدقات إردان الناس و أوزارهم، و هم، رضي الله عنهم، الطارهُون المطهرون، و قد أورد السيوطي في الخصائص الكبرى عدة أحاديث في هذا المعنى، منها ما أخرجه مسلم و أحمد عن المطلب أن ربيعة بن رسول الله صلى الله عليه و آله قال «إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس، و أنها لا تحل لمجد و لا آل محمد»، و أخرج ابن سعد عن الحسن عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال: «إن الله حرم على الصدقة و على أهل بيتي»، و أخرج الطبراني عن ابن عباس قال: استعمل النبي صلى الله عليه و آله الأرقام الزهري على السعابية (جمع الصدقات) فاستتبع أبارافع مولى رسول الله صلى الله عليه و آله، فأنتى النبي صلى الله عليه و آله فقال له: «يا أبارافع إن الصدقة حرام على محمد و على آل محمد» (أخرجه أحمد و ابن داود من حديث أبي رافع، و فيه قال: إن الصدقة لا تحل لنا، وإن مولى القوم من أنفسهم)، و أخرج ابن سعد عن عبد الملك بن المغيرة قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «يا بني عبدالمطلب: إن الصدقة أوساخ الناس، لا تأكلوها و لا تعملوا عليها»، و أخرج مسلم و ابن سعد عن المطلب بن ربيعة بن الحارث قال: «جئت أنا و الفضل ابن العباس، فقلنا يا رسول الله: جئنا لتؤمنا على هذه الصدقات، فسكت و رفع رأسه إلى سقف البيت حتى أردنا أن نكلمه، فأشارت إلينا زينب من وراء حجابها كأنها تنهانا عن كلامه و أقبل فقال: أن الصدقة لا تحل لمحمد و لا لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس»، و روى أحمد في منسده عن الحسن بن علي قال: أخذت تمره من تمر الصدقة فتركته في فمي، فنزعها صلى الله عليه و آله بلعابها، و قال: «إننا آل محمد لا تحل لنا الصدقة»، و في رواية أخرى عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه و آله قال: كخ كخ... إرم بها، «أما شعرت أنا لا تأكل الصدقة .»

و هكذا يحرض النبي صلى الله عليه و آله في هذين الحديثين الأخيرين على توجيه الحسن إلى التسامي بنفسه، كما حرص في الأحاديث السابقة على توجيه آل بيته، إلى المكانة اللائقة بأهل البيت الذين يذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً، فتكون أديهم هي العليا، يعطون و لا يأخذون، و يتصدقون و لا يتصدق عليهم، لأن مقام أهل البيت بالنسبة إلى غيرهم، مقام النجوم في السماء من أهل الأرض، و لا يليق بأهل البيت أن يأكلوا من الصدقات لأنها ملوثة بذنوب الناس. بها يتطهرون من هذه الذنوب، قال تعالى في الآية (103) من التوبة (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم و تزكيتهم بها .)

هذا و يقول العلماء لما كانت الصدقة أوساخ الناس، فقد نزه منصبه الشريف عن ذلك، و أنجز ذلك على آل صلى الله عليه و آله بسببه، هذا إلى أن الصدقة إنما تعطى على سبيل الترحم المبني على ذل الأخذ، و من ثم فقد أبدلوا عنها بالغنيمة المأخوذة بطريق العز و الشرف المبني عن عز الأخذ، و ذل المأخوذ منه .

و هذا و يجمع العلماء على أن الزكاة و صدقة التطوع لا تحل له صلى الله عليه و آله، و أما أهل البيت فتحرم عليهم الزكاة، و تحل لهم صدقة التطوع، و إن رأى بعض المالكية أنها تحرم عليهم كذلك و هو الأصح فيما نرى، و يذهب «الثوري» إلى أن الصدقة لا تحل لآل محمد، فرضها و نفلها، و كذا مواليتهم لأن مواليتهم من قوم منهم، و قال «مالك» تحل لمواليهم، و قال أبو يوسف، صاحب أبي حنيفة، لا تحل لآل محمد صدقة غيرهم، و تحل لهم صدقة بعضهم على بعض، هذا و قد ذهب الإمام أحمد إلى تحريم الصدقة على أزواج

النبى، دون مواليتهم، ولكنها تحرم على موالى آل محمد، لقوله صلى الله عليه وآله «مولى القوم منهم»، ذلك لأن تحريم الصدقة على أزواج النبى صلى الله عليه وآله ليس بطريق الإصالة، كآل النبى، وإنما حرمت عليهم تبعاً لتحريمها على النبى صلى الله عليه وآله، و التحريم على المولى فرع التحريم على سيده، ولما كان التحريم على أهل البيت أصلاً، استتبع ذلك التحريم على مواليتهم، ولما كان التحريم على أزواج النبى صلى الله عليه وآله تبعاً، لم تحرم على مواليتهم لأنه فرع عن فرع، وقد ثبت في الصحيح أن «بريرة» مولاة عائشة رضي الله عنها قد تصدق عليها بلحم فأكلته، ولم يحرمه النبى صلى الله عليه وآله عليها، بينما حرم صلى الله عليه وآله الصدقة على مولاة أبى رافع، وقال له: «إن الصدقة لا تحل لنا، وإن مولى القوم منهم.»

## حق أهل البيت في الغنائم

خص الله سبحانه وتعالى أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله عليه وآله بسهم في العنينة، قال تعالى في الآية (41) من الأنفال (و اعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسته ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) وقد اتفقت المذاهب الإسلامية على أن المراد بالقرىبى إنما هي قرابة النبى صلى الله عليه وآله، وإن اختلفوا فيمن يأخذه من قرابة النبى صلى الله عليه وآله عليه وآله فذهب فريق إلى أنه للإمام على وفاطمة الزهراء ولديهما لحديث ابن عباس قال قيل يا رسول الله: «من قرابتك الذين أمرنا بمودتهم، فقال: على وفاطمة وبناتها»، وقد جاء في تفسير البيضاوي مثل ذلك، على أن هناك من يرى أن سهم ذي القربى إنما يصرّف لكل بني هاشم، وكذا بني المطلب، الذين أزرأوا بني هاشم في الجاهلية وفي أول الإسلام، ودخلوا معهم في شعب أبى طالب، غضباً لرسول الله وحماية له، ففعل ذلك مسلمهم طاعة لله و لرسوله، وفعله كافرهم حمية للعشيرة، وطاعة لأبى طالب عم النبى صلى الله عليه وآله، وأما بنوعيد شمس ونوفل، وإن كانوا بني عمهم، فلم يوافقوهم على ذلك بل حاربوهم وبادوهم، وقال جبير بن مطعم بن عدي: مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلنا يا رسول الله: أعطيت بني المطلب من خمس خبير وتركنا، ونحن وهم منك بمنزلة واحدة (أي جميعهم أبناء عبد مناف) فقال صلى الله عليه وآله «إنما بنوهاشم وبنو المطلب شيء واحد»، رواه مسلم، وفي بعض روايات هذا الحديث «إنهم لم يوافقونا في جاهلية ولا إسلام، وفي رواية البخاري في صحيحه بسنده عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب: أن جبير بن مطعم أخبره قال: مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى النبى صلى الله عليه وآله فقلنا: أعطيت بني المطلب من خمس خبير وتركنا، ونحن بمنزلة واحدة منك، فقال: «إنما بنوهاشم وبنوالمطلب شيء واحد، قال جبير: ولم يقسم النبى صلى الله عليه وآله لىني عبد شمس وبنى نوفل شيئاً» وهذا قول جمهور العلماء: أنهم بنوهاشم وبنوالمطلب، وقال ابن جرير وآخرون إنما هم بنوهاشم، وروى عن مجاهد أنه قال: علم الله أن في بني هاشم فقراء، فجعل لهم الخمس مكان الصدقة، وفي رواية عنه أنه قال: هم قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله الذين لا تحل لهم الصدقة، وروى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «رغبت لكم عن غساله الأيدي، لأن لكم من خمس الخمس ما يغنيكم أو يكفيكم.» هذا وقد اختلف العلماء في الغنيمه، فهي عند السنة ما أخذه المسلمون من المشركين بالحرب والقتال، وهي عند الشيعة الإمامية ما أخذه المسلمون من المشركين الحرب والقتال والإغارة على بلاد الشرك، بل ويلحق بها المعادن التي يجدها الإنسان في أرضه والكنز المدفون لم يعرف صاحبه وما يستخرج من البحر، وكل ما يفضل عن مؤنة الإنسان، سواء اكتسبه بالصناعة أو الزراعة أو التجارة، كل ذلك يجب فيه الخمس عند الشيعة، هذا وقد ذهب أهل السنة إلى أن المراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من الناس، من بني هاشم أو غيرهم، وقال الشيعة تقتصر على الهاشميين، وذهب الشافعي وابن حنبل إلى أن الغنيمه تقسم إلى خمسة أسهم، سهم للرسول صلى الله عليه وآله وأهله و يصرّف على مصالح المسلمين، وسهم يعطى لذوي القربى، أغنياء كانوا أم فقراء، والباقي لليتامى والمساكين وابن السبيل، وذهب أبوحنيفة إلى أن سهم الرسول سقط بموته صلى الله عليه وآله، أما ذو القربى فهم كغيرهم من الفقراء يعطون فقرهم، لا لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله، وأما ذو القربى فالرأي عنده أن يرجع أمر الخمس إلى الإمام يقسمه حسب ما يراه من المصلحة، وأما الرأي عند الشيعة فإن الأسهم الثلاثة (سهم الله والرسول وذو القربى) فيفوض أمرها إلى الإمام أو نائبه يضعها حسب ما يراه من المصلحة، وأما الأسهم الثلاثة الباقية فتعطى لآيتام بني هاشم ومساكينهم وأبناء سبيلهم ولا يشاركونهم فيها غيرهم .

## الإمام الحجّة من أهل البيت

يقول عبدالرحمن بن الجوزي في «صيد الخاطر»: «إن الله لا يخلى الأرض من قائم له بالحجة، جامع بين العلم والعمل، عارف بحقوق الله تعالى، خائف منه، فذلك قطب الدنيا، ومتى مات أخلف الله عوضه، وربما لم يمّت حتى يركى من يصلح للنيابة عنه في كل نائبه، ومثل هذا لا تخلوا الأرض منه فهو بمقام النبى صلى الله عليه وآله في الأمة، وهذا الذي أصفه يكون قائماً بالأصول، حافظاً للحدود»، ولما كان أهل البيت، ورتة لأنبياء الله ورسله، على من القرون وكر العصور، في الدفاع عن شريعة الله، والحفاظ على ملته، من أعدائه الضالين المضلين، يدرون كل ضلالة، و يمحققون كل بدعة، ينادون الناس إلى السنن التي اندثرت، و يدعونهم إلى الآداب والفضائل التي هجرت، و يحفظون للإسلام قدسيته، فلقد أخرج المصنف في سيرته وابن حجر في صواعقه أنه صلى الله عليه وآله قال: في كل خلف من أمّتي عدول من أهل بيتي، ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين و انتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، ألا وإن ائمتكم و فدكم إلى الله عزوجل، فانظروا من تفدون»، وهذا وقد أوصى النبى صلى الله عليه وآله عليه وآله

بملازمة الهداة المهتدين من أئمة أهل البيت، والافتداء بهم، والأخذ عنهم، لأنهم يحكم فطرتهم السليمة كما يقول الأستاذ حسين يوسف، و سريان دم النبى صلى الله عليه وآله في دمايتهم، وروحه في أرواحهم، أقرب إلى التوفيق والسداد، وأبعد عن الغرض والهوى، ولذلك نهى الرسول عن إغفالهم أو إغفالهم عليهم، لأنهم الأعلى مقاماً، والأصفي إسلاماً وإيماناً، وفي نفس الوقت حذر من التخلف عنهم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله «إني تارك فيكم أمرين، لن تضلوا إن اتبعتموهما، وهما كتاب الله، وأهل بيتي عترتي، أنى سألت ذلك لهما، فلا تقدموهما فتهلكما، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم»، وقوله صلى الله عليه وآله «لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم» إشارة إلى أنهم بفطرتهم هداة مهتدون، بموجب كونهم الأطهر حسباً ونسباً، والأنقى روحاً وقلباً، والله تعالى يقول: (واتقوا الله و يعلمكم .)

وأخرج ابن عساکر من طريق عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: سمعت أبى بروج عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال: «إن الله يقيض في راس كل مائة سنة رجلاً من أهل بيتي يعلم أمّتي الدين»، وأخرج أبواسماعيل الهروي من طريق حميد بن زنجوية قال سمعت أحمد بن حنبل يقول: بروى في الحديث عن النبى صلى الله عليه وآله «أن الله يمن على أهل دينه في راس كل مائة سنة برجل من أهل بيتي يبين لهم أمور دينهم»، ويقول الحافظ السيوطي أن الرواية المقيدة بقوله «من أهل بيتي»، وأن كانت غير معروفة السند، فإن أحمد أوردها بغير اسناد ولم يوفف على أسنادها في شيء من الكتب ولا الأجزاء الحديثية، غير أنها في غاية الظهور من حيث المعنى، فإن القائم بهذا المنصب الشريف جدير بأن يكون من أهل البيت النبوي الشريف، ذلك لأن أهل البيت اتم حلالاً من سائر العباد المشاركين لهم في العبادة الظاهرة، وأحسن أخلاقاً وأزكى نفساً، وقد ذهب البعض إلى أن آل البيت محظوظون من الكائنات بعناية الله، فقد فطرتهم على حبه وحب طاعته، والناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام . وذهب قوم إلى أن القطب في كل عصر، لا بد وأن يكون من أهل البيت النبوي الشريف، وأن رأي أبوالعباس المرسى، كما نقل عنه تلميذه ابن عطاء، أن

القطب قد يكون من غيرهم، ولكن قطب الأقطاب لا يكون الا منهم، لأنهم أركى الناس أصلاً، و أوفرهم فضلاً، غير أن القطب من شأنه غالباً الخفاء و عدم الظهور، فإذا لم يوجد في الظاهر من أهل البيت من يصلح للإتصاف بالقطبية، حمل على أنه قام بذلك رجل منهم في الباطن، و أما القائم بتجديد الدين فلا بد أن يكون ظاهراً حتى يسير علمه في الأفاق، و ينتشر في الأقطار، و هنا يفترض «ابن أبي بكر الشلي» في كتابه «المشروع الروي» أن المناصب الثلاثة، و هي: الخلافة الظاهرة و هي القيام بأمر الإمامة، ثم اخلافة الباطنة و هي القطبية، ثم منصب تجديد الدين على رأس كل مائة سنة، لا يقوم بها الا رجل أهل البيت، ولكن ما المراد باهل البيت هنا، يجب ابن أبي بكر بانه أن اراد صلى الله عليه و آله بقوله «رجل من أهل بيتي» أي من سائر قريش، كما هو المراد بالخلافة الظاهرة، اتسع الأمر، و ربما اراد صلى الله عليه و آله بذلك ما هو أعم من أهل البيت بالنسب، فقد صح أن مولى القوم منهم، غير أن هناك من اشترط أن يكون القطب من ذرية الإمام الحسين على وجه الخصوص، و هنا ربما كان رأي أبي العباس المرسي من أن القطب قد يكون من غير آل البيت، على أن يكون قطب الأقطاب منهم، ربما كان مقبولاً إلى حد ما، و أن ربح ابن أبي بكر الشلي الاكتفاء بمطلق أهل البيت في القطبية أو أن يكون القطب من أهل البيت من جهة الأم .

## أهل البيت: أهل البلاء و الإصطفاء

كرم الله أهل البيت و طهرهم من الرجس و الأهواء و المطامع، و من ثم فقد اصطفاهم لحماية دينه و نشر هدايته، و في نفس الوقت فقد ارتضاهم محلاً لبائنه و هدفاً لقدره و فضائه ليضرب بهم للناس أروع المثل في التضحية، و الناس معادن، «خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا» و أهل البيت، رضوان الله عليهم، يحكم صلتهم بأشرف خلق الله، هم أصدق الناس إيماناً، و أرسخهم يقيناً، و أعرفهم أصلاً، و أشرفهم حسياً و نسبياً، و من ثم فهم أولى الناس بمواقف الشرف و الإباء، و البطولة و الفداء، و أجدرهم بالصدق عند اللقاء، و الصبر في البأساء والضراء، و لهذا كانوا أقرب الناس إلى البلاء، تخليداً لذكراهم، و إعلاء لشأنهم، و تلك سنة الله في خلقه، و روى البخاري و أحمد و الترمذي عن سعد بن أبي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأئمة فالأئمة، يتلى المرء على حسب دينه، فإن كان في دينه صلأ اشتد بلاؤه، و إن كان في دينه رقة ابتلى على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض و ما عليه خطيئة .»

و من ثم فقد كان تاريخ آل النبي الكرام البررة يفيض بالمآسي و الآلام بما تنفطر له القلوب و ترتجف له الأحلام، غير أن ذلك لم يزدهم إلا مكانة عندالله، وحباً عند الناس، حتى أصبح ذلك الحجب هو الفطرة التي فطر الله عليها عباده المؤمنين، لأنه حب في الله، و لله، الذي بعث جدهم صلى الله عليه و آله نبياً و رسولاً، و بعثه للناس كافة هادياً و مبشراً و نذيراً، فأحبه المسلمون و أحبوا أهل بيته، عملاً بوصيته صلى الله عليه و آله، فلقد أخرج ابن سعد و الملا في سيرته و المحب الطبري في الدخائر «استوصوا أهل بيتي خيراً، فإني أخاصمكم عنهم غدا، و من أكن خصمه أخصمه، و من أخصمه دخل النار»، و أخرج الخطيب في التاريخ عن علي بن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال: شفعايتي لأمتي من أحب أهل بيتي»، و روى الديلمي عن علي بن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال «أثبتكم علي الصراط، أشدكم حباً لأهل بيتي»، و في نفس الوقت حذر النبي صلى الله عليه و آله أمته من كراهية أهل بيته و إيدائهم، فلقد أخرج الديلمي عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه و آله قال: «إشتد غضب الله على أذاني في عترتي»،

و روى أحمد و الطبراني عن أبي هريرة قال: نظر رسول الله صلى الله عليه و آله إلى علي و الحسن و الحسين و فاطمة، صلوات الله عليهم، فقال: «أنا حرب لمن حاربكم، سلم لمن سالمكم»، و أخرج الإمام أحمد مرفوعاً: «من أبغض أهل البيت فهو منافق»، و أخرج ابن عساکر من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه و آله قال: «لا يحب أهل البيت إلا مؤمن، و لا يبغضهم إلا منافق»، و أخرج الحاكم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله «لا يبغضنا أهل البيت أحد، إلا أدخله الله النار»، و أخرج القاضي عياض في الشفاء ما حصله «من سب أبا أحد من ذريته صلى الله عليه و آله و لم تقم قرينة على إخراجها صلى الله عليه و آله قتل .»

و روى أن الإمام الحسن رضي الله عنه خطب في أيامه في أحد مقاماته فقال، كما جاء في تاريخ المسعودي، «نحن حزب الله المفلحون، و عتره رسول الله صلى الله عليه و آله الأقربون، و أهل... هرون الطيبون، و أحد الثقلين اللذين خلقهما رسول الله صلى الله عليه و آله و الثاني: كتاب الله فيه تفصيل كل شيء لا ياتيه الباطل من بين يديه، و لا من خلفه، و المعول عليه في كل شيء، لا يخطئنا تأويله، بل نتيقن حقايقه، فأطيعونا، فإن طاعتنا مفروضة، إذ كانت بطاعة الله و الرسول و أولى الأمر مقرونة (فإن تنازعتم في شئ فرددوه إلى الله و الرسول... و لو ردوه إلى الرسول و إلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم)، و أذركم الإغواء لهتاف الشيطان إنه لكم عدو مبين، فيتكئون كأولياءه الذين قال لهم (لا غالب لكم اليوم من الناس فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه و قال إني بريء منكم أني أرى ما لا ترون) «فتلقون للرماح أزرأ، و للسيوف جزراً، و للعمد خطأ، و للسهم غرضاً، ثم لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، و الله أعلم .»

و روى أن الإمام علي، كرم الله وجهه في الجنة، اعتل فأمر ابنه الحسن رضي الله عنه أن يصلي بالناس يوم الجمعة، فصعد المنبر فحمد الله و أشنى عليه ثم قال :

إن الله لم يبعث نبياً إلا اختار له نقيباً و رهطاً و بيتاً، فوالذي بعث محمداً بالحق نبياً لا ينتقص من حقناً أحد، إلا نقصه الله من عمله مثله، و لا تكون علينا دولة، إلا و تكون لنا العاقبة، و لتعلمن نبأه بعد حين .»

و مع ذلك كله و غيره، فإن كتب التاريخ إنما تمتلىء بقصص محن أهل البيت التي بدأت في أعقاب عهد الخلافة الراشدة، و منذ بداية عهد الأمويين، و يحدثنا المؤرخون و أصحاب السير، أنه في أثناء حكم معاوية و ولده يزيد، و في ولاية الحجاج على العراق، كان سبيل من يتهم بحب آل البيت القتل أو الضرب أو السجن أو التشريد، حتى أتى على الناس حين من الدهر، يقال فيه للرجل إنه زنديق أو كافر، أحب إليه من أن يقال له شيعي، و رغم ذلك فقد ازداد الناس إيماناً و تمسكاً بحبهم و ولائهم للعترة الطاهرة، و يحكي المؤرخون أن معاوية بن أبي سفيان قتل خلقاً كثيراً ممن أبي أن يعين الإمام على كرم الله وجهه و رضي الله عنه، أو يتبرأ منه أو عارض مبدأ اللعن و البراءة نفسه، و أكبر الظن أن الإمام علي كان علم بما يلحق شيعته بعد وفاته، فقال لهم: ستدعون إلى سبي فسيوني، ثم تدعون إلى البراءة مني، فلا تتبرأوا مني، فإني لعلي دين محمد صلى الله عليه و آله و سلم .»

و مع ذلك فقد فضل جماعة القتل على سب الإمام و البراءة منه، بل فضلوا القتل على سماع المس بمقام الإمام، منهم عمرو بن الحمق الصحابي الجليل، فقتله معاوية و بعث برأسه إلى امرأته فوضعت الرأس في حجرها، و قالت لرسول معاوية سترتموه عنى طويلاً، و أهدبتموه لي قتيلاً، فأهلاً و سهلاً من هدية غير قالية و لا بمقلية و روى يعقوبي في تاريخه أن الصحابي الجليل عمرو بن الحمق الخزاعي كان من أصحاب حجر بن عدي الذين لا يسكتون على سب الإمام علي على منبر الكوفة، فأمر معاوية عامله زياد بن أبيه أن يقبض عليهم و يشخصهم إليه في دمشق، فهرب عمر ابن الحمق و عده معه إلى الموصل، و بلغ عبدالرحمن بن أم الحكم، و كان عامل معاوية على الموصل، مكان عمرو بن الحمق، فوافقه و رفاة بن شداد، فوجه في طلبهما، فخرجا هاربين، و عمرو بن الحمق شديد العلة، فلما كان في بعض الطريق لدعت عمراً حية، فقال: الله أكبر، قال لي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم «أله يا عمرو، ليشترك في قتلك الجن و الإنس، ثم قال لرفاعة: إمض لشأنك فإني مأخوذ و مقتول، و لحقته رسل عبدالرحمن بن أم الحكم، فأخذوه و ضربت عنقه، و نصبت رأسه على رمح، و طيف به، فكان أول رأس طيف به في الإسلام، و قد كان معاوية حبس امرأته بدمشق، فلما أتى رأسه بعث به، فوضع في حجرها، فقالت للرسول: أبلغ معاوية ما أقول: طالبه الله بدمه، و عجل له الويل من نعمه، فقد أتى امرأاً فرياً، و قتل برأ نقياً، و كان أول من حبس النساء بجرائر الرجال .»

و منهم «حجر بن عدي» أو «حجر الخير»، كما كان يدعى، و كان صحابياً جليلاً، كثير الصلاة و الصيام، زاهداً محباً لآل بيت النبي صلى الله عليه و آله، ساءه أن يشتم و الي لكوفة الإمام علي على المنبر فكان يرد عليه، فقبض عليه زياد و أرسله إلى معاوية، و هناك في مرج عذراء، على مبعدة 20 كيلاً من دمشق، وصل رسول معاوية،

و كان أعوراً، فقال لاجر: «إن أمير المؤمنين أمرني بقتلك يا رأس الضلال و معدن الكفر و الطغيان، و المتولي لأبي تراب (و هو لقب أطلقه رسول الله صلى الله عليه و آله على علي، و كان أحب الأسماء إلى علي) و قتل أصحابك، إلا أن ترجعوا عن كفركم و تلعنوا صاحبكم (أي الإمام علي )

إروى الإمام أحمد في المسند و الفضائل و الحاكم في المستدرک و الهيثمي في مجمع الزوائد و الطبراني في الثلاثة و أبويعلى و النسائي في الخصائص عن أبي عبد الله الجدلي قال: دخلت على أم سلمة فقالت لي: أيسب رسول الله صلى الله عليه و آله فيكم، فقلت سبحان الله أو معاذ الله، قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: «من سب علياً فقد سبني». [ و تتبرأوا منه، فقال حجر و جماعة من أصحابه: إن الصبر على حد السيف لأيسر علينا مما تدعوننا إليه ثم القدوم على الله و على نبيه و على وصيه، أحب إلينا من دخول النار، و أحب نصف أصحابه إلى البراءة من علي، و قتل حجر و الحق به من وافقه على قوله من أصحابه] و كان حجر أول من قتل صبياً في الإسلام، و قد هال قتل حجر بن عدي الكثير من الناس، و على رأسهم السيدة عائشة رضي الله عنها و حين اجتمعت بمعاوية قالت له: يا معاوية: أقتل حجراً و أصحابه فأبى عرب حلمك عنيم، أما أبي سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول «يقتل بمرج عذراء نفر بغضب لهم أهل السماوات»، و كان محمد بن سيرين بعد ذلك إذا سئل عن الشهيد يغسل، حدثهم حديث حجر، مما يشير إلى أن المسلمين كانوا يرون في حجر: المسلم الصادق الأمر بالمعروف و الناهي عن المنكر، قضى شهيداً في سبيل الجهر بالحق ما خلع طاعة و ما فارق جماعة، و إنما أنكروا على الولاة لعنهم خيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله، و قد روي أن حجراً أوصى عنه قتل الولاة لعنهم خيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله، و قد روي أن حجراً أوصى عنه قتله «لا تطلقوا عني حديداً و لا تغسلوا عني دماً، فإني الأقي معاوية عدواً على الجادة» و قيل إن معاوية لما حضرته الوفاة جعل يقول «يومي منك يا حجر طويل» (ثلاث مرات)، ولكن الناس على الإساءة يحيون، فإذا ما ماتوا انتبهوا، و قيل إن الناس كانوا يقولون: إن أول ذل دخل الكوفة موت الحسن بن علي، و قتل حجر بن عدي، و دعوة زياد، و روى عن الحسن البصري أنه قال، فيما بروي الطبري، «أربع خصال كن في معاوية، لو لم يكن فيه منهن واحدة، لكانت موبقة: إنتراؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم، و فيهم بقايا الصحابة و ذو الفضيلة، و استخلافه ابنه بعده سكيراً خميراً، يلبس الحرير و يضرب بالطناير، و ادعاؤه زياداً، و قد قال رسول الله صلى الله عليه و آله: الولد للفراس و للعاهر الحجر، و قتله حجراً، و بلاء له من حجر، و بلاء له من حجر».

و يروي ابن أبي الحديد في أول الجزء الثالث من شرح نهج البلاغة ما ملخصه: أن معاوية بن أبي سفيان كتب إلى عماله: «برئت الذمة ممن يروي شيئاً في فضائل علي و أهل بيته، و أن لا يجيزوا لأحد من الشيعة شهادة، و أن يمحوا كل شعبي من ديوان العطاء و ينكوهوا و يهدموا داره، و امتثل العمال أمر سيدهم فقتلوا الشيعة و شردوهم و قطعوا الأيدي و الأرجل و سملوا الأعين و صلبوهم على جذوع النخل»، و لعل من أقسى ولاة معاوية زياد ابن أبيه، و عامله على البصرة سمرة ابن جندب، و الذي يروي المؤرخون كالطبري و ابن الأثير أنه قتل أكثر من ثمانية آلاف، و لما سأله زياد: أتخاف أن تكون قتلت بريئاً؟ فقال: لو قتلت معهم مثلهم ما خشيت و قال أبو السوار العدوي: قتل سمرة من قومي في غداة واحدة سبعة و أربعين كلهم قد جمع القرآن.» و استمر معاوية حتى آخر أيامه يحاول جاهداً طمس فضائل آل البيت بعامة، و الإمام علي بخاصة، فقد روي أن معاوية قال لعبد الله بن عباس- حبر الأمة و ترجمان القرآن و ابن عم النبي صلى الله عليه و آله- قد كتبنا إلى الأفاق نهي عن ذكر مناقب علي، فكف لسانك، فقال ابن عباس: أنتهانا يا معاوية أن نقرأ القرآن، قال معاوية: لا، قال ابن عباس: أنتهانا عن تأويله (أي تفسيره)، قال معاوية نعم، قال ابن عباس: أنقرأه و لا نسأل عما أراد الله بكلامه، و أيهما أوجب علينا، قراءة القرآن أو العمل به، فقال معاوية: العمل به، قال ابن عباس: كيف تعمل به و نحن لا نعلم ما عني الله، قال معاوية: سل عن تفسيره غيرك و غير آل بيتك، قال ابن عباس: نزل القرآن على أهل بيتي، فبئسأ عنه آل أبي سفيان، أنتهانا يا معاوية أن تعبد الله بالقرآن بما فيه من جلال و حرام، أن الأمة إذا لم تسال عن القرآن و تعمل به هلكت، قال معاوية: إقرأوا القرآن و فسروه، ولكن لا ترووا شيئاً مما أنزل الله فيكم، و ارووا ما سوى ذلك، قال ابن عباس: إن الله يقول (يريدون أن يطعنوا

نور الله بأفواههم و يأبى الله إلا أن يتم نوره و لو كره الكافرون) قال معاوية: «يا ابن عباس إربع على نفسك، و كف لسانك، و إن كنت لا بد فاعلاً فليكن ذلك سرراً لا يسمعه أحد علانية»، ثم رجع معاوية إلى بيته و بعث إلى ابن عباس بمائة ألف درهم، و نادى مناديه «أن برئت الذمة ممن روي حديثاً في مناقب علي و أهل بيته.»

و زاد الطين بلة، أن ابتدع معاوية بدعة خسيصة دينية، حيث أقام هو و خلفاؤه من بعده من بني أمية منابر يتناوب عليها الخطباء في سب سيدنا الإمام علي، كرم الله وجهه في الجنة، و آل البيت الطاهرين المطهرين، و في افتراء الأباطيل للنيل من الإمام و الزرابة عليه، و ظلوا على ذلك طيلة عهد دولتهم، إلا أيام عمر بن عبد العزيز، فما نالوا من ذلك منالاً، و لا حولوا أحداً عن حب الإمام علي و آل بيت النبي صلى الله عليه و آله، و على تعاقب الزمان و اختلاف العصور، يقول أبو جعفر الاسكافي في «نقض رسائل العثمانية للجاحظ»، فكان الأمويون لا يألون جهداً في طول ملكهم أن يخدموا ذكر علي، عليه السلام، و ولده، و يطعنوا نوره، و يكتموا فضائلهم و مناقبهم و سوابقهم، يخلمون الناس على سيهم و لعنهم على المنابر، و العياذ بالله، فلم يزل السيف يقطر من دماثهم، مع قلة عددهم و كثرة عدوهم، فكانوا بين قتيل وأسير و شريد و هارب و مستخف، و خائف مرتقب، حتى أن الفقيه و المحدث و القاص و المتكلم، ليتقدم إليه، و يتوعد بغاية الإبعاد و أشد العقوبة، ألا يذكر شيئاً من خصائصهم، و لا يرخصوا لأحد أن يطيف بهم، و حتى بلغ من تقية المحدث إذا ذكر حديثاً عن علي بن أبي طالب عليه السلام، كنى عن ذكره فقال: قال رجل من قريش، و فقل رجل من قريش، و لا يذكر علياً عليه السلام، و لا يتفوه باسمه.

و من ذلك- مثلاً- ما يرويه الحاكم في المستدرک عن مالك بن دينار قال: سألت سعيد بن جبير فقلت: يا أبا عبد الله من كان حامل راية رسول الله صلى الله عليه و آله؟ قال فنظر إلي و قال: كأنك رخي البال، ففضبت و شكوته لإخوانه من القراء فقلت ألا تعجبون من سعيد: أي سألته من كان حامل راية رسول الله صلى الله عليه و آله فقال لي: إنك لرخي البال، قالوا: إنك سألته و هو خائف من الحجاج، و قد لاذ بالبيت فسله الآن، فسألته فقال: كان حاملها علي رضي الله عنه، هكذا سمعته من عبد الله بن عباس.

و يبدو لي في أكبر الظن، أن معاوية لم يعد يأبه بأحد في تناوله على الإمام علي و أهل البيت الطاهرين، حتى أعرف الناس به و بالإمام علي من أكابر الصحابة، روي أن معاوية حج فمر بالمدينة فدعا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه- أحد العشرة المبشرين بالجنة و بقية أصحاب الشورى، و كان قد اعتزل الفتية، و لم يبايع علياً- للخروج معه، فلبى سعد الدعوة، و لما انتهت أعمال الحج انصرفوا إلى دار الندوة، و أخذوا بأطراف الحديث، و غر معاوية إقبال سعد عليه، فشرع في سب الإمام علي، و قال لسعد: ما يمنعك أن تسب أبا تراب، فبان الغضب في وجه سعد، و قال في حدة: أجلستني على سيربرك و شرعت في سب علي، والله لأن يكون لي خصله واحدة من خصال كانت لعلي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، والله أن أكون صهراً للنبي صلى الله عليه و آله لي من الولد ما لعلي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، والله لأن يكون النبي صلى الله عليه و آله قال لي ما قال له يوم خير:

لأعطين الراية عدداً رجلاً يحبه الله و رسوله و يحب الله و رسوله، ليس بفرار يفتح الله على يديه، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، و الله لأن يكون النبي صلى الله عليه و آله قال لي ما قاله يوم غزوة تبوك: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي»، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، لا أدخل عليك داراً بعد اليوم، ثم رفض سعد رداء و خرج.» و روى الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسب أبا التراب (يعني الإمام علي) فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله صلى الله عليه و آله فلن أسبه، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول له خصله في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله خلفتني مع النساء و الصبيان، فقال له رسول الله صلى الله عليه و آله: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه

لا نبوة بعدي، و سمعته يقول يوم خير: لأعطين الراية رجلاً يحب الله و رسوله، و يحبه الله و رسوله، قال فتناولنا لها، فقال ادعوا لي علياً، فأتى به رمد فيصق في عينه، و دفع الراية إليه ففتح الله عليه، و لما نزلت هذا الآية: فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم، دعا رسول الله صلى الله عليه و آله علياً و فاطمة و حسناً و حسيناً، فقال: «اللهم هولاء أهلي.»

و زاد الضغط أضعافاً بعد معاوية، حيث حدثت في عهد ولده يزيد كارثة كربلاء، فكانت كارثة الكوارث، و وصمة العار الأبدية في جبين الأمة الإسلامية، و قتل فيها من أهل البيت الطاهر المطهر ثمانية عشر شاباً، بخلاف سيد شباب أهل الجنة و سبط الرسول صلى الله عليه و آله، سيدنا و مولانا الإمام الحسين، عليه السلام، و كلهم من بناء فاطمة الزهراء، بضعة رسول الله صلى الله عليه و آله، ما على وجه الأرض يومئذ لهم شبيهه، و كاد نسل النبي صلى الله عليه و آله في ذرية الحسين يستأصل، لولا نجاة الإمام علي زين العابدين، من القتل، غير أن عدالة السماء اقتضت أن ترد كيد ابن معاوية في نحره، فانقرضت ذرية يزيد، و لم يبق له عقب، رغم أنه كان له من البنين خمسة عشر، و من البنات خمس، و من المؤلم أنه ما تكاد الكارثة المروعة تنتهي، بل ما يزال الإمام الحسين سيد الشهداء بالعراء صريعاً و بنات رسول الله صلى الله عليه و آله سبايا، و ذريته مقتلة، حتى يصعد ابن الدعي، عبيدالله بن زياد منبر الكوفة فخطب فقال مقتله، حتى يصعد ابن الدعي، عبيدالله بن زياد منبر الكوفة فخطب فقال «الحمد لله الذي أظهر الحق و أهله، و نصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية و حزبه، و قتل الكذاب بن الكذاب، الحسين بن علي شيعته، فلم يفرغ من كلمته هذا حتى و ثب إليه عبدالله بن عفيف الأزدي، فقال له: يا ابن مرجانة، أن الكذاب بن الكذاب أنت و أبوك و الذي ولاك و أبوه، يا ابن مرجانة، أنتقلون أبناء النبيين و تتكلمون بكلام الصديقين فقال عبيدالله: من المتكلم، قال ابن عفيف: أنا يا عدو الله، أنتقلون الذرية الطاهرة التي أذهب الله عنها الرجس و تزعم أنك على دين الإسلام، و اغوثاه، أين أولاد المهاجرين و الأنصار ينتقمون من هذا اللعين بن اللعين، فقال ابن زياد للشرطة: علي به، غير أن قومه حالوا بينه و بين الشرطة و أوصلوه إلى داره، ولكن الشرطة افتحمت عليه داره، و لم يكن فيها إلا

الرجل و ابنته الصغيرة، فلما أحست بهم صاحت: يا أباه أذاك القوم، فقال لها: ناوليني سيفي، و كان قد فقد عينيه مع الإمام علي، الواحدة يوم الجمل، و الأخرى يوم صفين، فأخذ السيف يذب عن نفسه و يهوي به بقوة على الحركة، حتى قبض عليه و أخذ إلى ابن زياد الذي سأله: ما تقول في عثمان، فقال له: ما أنت و عثمان، سلني عنك و عن أبيك و عن يزيد و أبيه، فقال ابن زياد: لتذوقن الموت غصة غصة فقال: الحمد لله الذي رزقني الشهادة على يد ألعي خلقه بعد ما بنتت منها .» و أرسل ابن زياد بالرؤوس و السبايا من آل محمد صلى الله عليه و آله من النساء و الأطفال بغير وطاء في ذل و انكسار و الرؤوس على الرماح، إلى يزيد بن معاوية في دمشق، و روى أنهم لما دخلوا دمشق برأس الإمام الحسين أخرجت زينب بنت الحسين رأسها من الخباء، و هي تقول :

• ماذا تقولون إن قال النبي لكم بعترتي و باهلي بعد مفتقدتي ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحم

• ماذا فعلتم و أنتم آخر الأمم منهم أسارى و منهم ضرجوا بدم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحم أن تخلفوني بسوء في

ذوي رحم  
و لما دخلوا على يزيد، أقبل قاتل الحسين، و وضع الرأس الشريف بين يدي يزيد في طست فجعل يركه على ثناياه بالقضيب، روى أن ابن زياد قد فعل ذلك في الكوفة، و سواء فعل ذلك أحدهما أو كلاهما، فكلا الرجلين أسوأ من الآخر، و كل منهما فوق الآخر في جريمته النكراء، و أن يوم كربلاء، و العاشر من محرم عام 61 هـ (10 أكتوبر 680 م) سوف يظل يوماً أسوداً لا في تاريخ الدولة الاموية فحسب، بل في تاريخ المسلمين قاطبة، و أن نتائجه كانت أخطر مما تصور المعاصرون، و قد حدث أثناء لقاء يزيد بالسبايا من آل البيت ما بدلنا إلى أي درك أسفل من الانحطاط و الجهالة بالدين وصل القوم ذلك أن رجلاً لثيماً من جلساء يزيد عندما رأى السيدة فاطمة بنت الإمام علي قام إلى يزيد فقال يا أمير المؤمنين هب لي هذه، و كانت ذات جمال و جلال، فأرعدت السيدة فاطمة، و طظت أن ذلك جائز له، و أخذت بثياب أختها العقيلة الطاهرة السيدة زينب، و كانت من العقل و الفقه ما تعلم أن ذلك لا يجوز شرعاً، فقالت: «كذبت و الله ولومت، ما ذلك

لك و له، فضضب يزيد، و قال إن ذلك لي، و لو شئت أن أفعله لفعلت، قالت كلا والله، ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا، و تدب بغير ديننا، فضضب يزيد و استطار، ثم قال: إياي تستقبلين بهذا، إنما خرج من الدين أبوك و أخوك، فقالت زينب، بدين الله و دين أبي و دين أخي وجدتي، اهتديت أنت و أبوك وجدك، قال: كذبت يا عدوه الله، قالت أنت أمير مسلط تشتم ظالمًا و تقهر بسطانتك»، و هكذا يبدو واضحاً مدى علم من وضعته الأقدار على رأس المسلمين و بطانته، فهما لا يعلمان أن طلبهما لا يفقره الإسلام، و يزيد خليفة المسلمين يكفر الإمام علي و الإمام الحسين و الأول بشره النبي صلى الله عليه و آله بالجنة مرات، و الثاني سيد شباب أهل الجنة، ثم تأخذه العزة بالإثم فيتناول علي العقيلة الطاهرة و يصفها بالكذب و بأنها عدوه الله، و هي بضعة رسول الله صلى الله عليه و آله و ابنه بنته فاطمة الزهراء التي فطمها الله و ولدها و من أحبه من النار، ولكن ماذا تقول و هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .

هذا و يكاد كثير من الباحثين يجمعون على أن الأمويين قد نكلوا بالبيت أخذاً بثارات بدر و أحد، لأن الإمام علي قتل في هاتين الغزوتين شيوخ بني أميه و ساداتهم، و يستشهدون علي ذلك بقول يزيد عندما قتل الإمام الحسين و وضعت رأسه الشريف بين يديه :

• ليت أشياخي ببدر شهدوا لأهلوا و استهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا شتل  
• جذع الخرج من وقع الأسل ثم قالوا يا يزيد لا شتل ثم قالوا يا يزيد لا شتل

و ليس بعيد أن يتذكر يزيد الحفاظ و الحروب القديمة بين الرسول صلى الله عليه و آله جد الحسين، و جده أبي سفيان و بين الإمام علي ابن الحسين و بين أبيه معاوية، و أن ينطق بكلمة التشفيع و الحقد، ولكن الباعث الأول علي الفجعة هو نظام الجور و عهد الأب للابن بالخلافة و جوبها حقاً موروثاً، فها هو ذا معاوية لا يكتفي باغتصاب الخلافة، ثم لا يرغب، و هو علي و شك لقاء ربه في التكفير عن خطئه، تاركاً أمر المسلمين للمسلمين، بل يمعن في تحويل الإسلام إلي ملك غرض و إلى مزرعة أموية، فيأخذ البيعة ليزيد بالذهب و السيف، قال بعض من ندبه معاوية لهذا الأمر: أيها الناس، أمير المؤمنين هذا (مشيراً إلى معاوية) فإن مات فهذا (مشيراً إلى يزيد) فمن أبي فهذا (مشيراً إلى السيف)، و هكذا يتربع يزيد على عرش أبيه بعد وفاته، فيهمل أمر المسلمين و يعكف على اللهو بفهوده و قروده حتى يلقب «يزيد القرد» ثم يسلط من قواده و رجاله من ينزلون بالعباد و البلاد، من الهول ما يخجل الشيطان نفسه من اقترافه، فابن زياد في الكوفة و البصرة يحز رأس كل من تسول له نفسه أن يقول «لم» ثم يقتل أبناء الرسول و أحفاده و آل بيته في كربلاء قتلاً يزيد إلى المدينة المنورة، دار الهجرة، و وطن الأنصار، و عاصمة الإسلام يصنع بها و بأهلها من الوحشية و الجريمة ما يتعاطم كل وصف، فقتل من الصحابة و من غيرهم خلق كثير، و نهبت المدينة و استبيحت ثلاثة أيام، و افتضت فيها ألف عذراء فيما يقولون، و قد قال رسول الله صلى الله عليه و آله «من أخاف أهل المدينة أخافه الله، و عليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين» (رواه مسلم)، و حتى مكة بمسجدها الحرام يرسل إليها «يزيد القرد» من يستبيحها، و يستبيح البيت الحرام، ثم حين يختفي بيت أبي سفيان بموت يزيد، و يسطو على الخلافة بيت مروان، و هو شعبة أخرى، و امتداد آخر للأمويين، يظهر الحجاج لينشر الخراب و الدمار و القتل في كل مكان باسم الأمويين، و في سبيل دعم ملكهم .

و هكذا قتل الحجاج علي حب أهل البيت أوف الرجل، و فيهم الصحابي و التابعي و الفقيه و الزاهد و المحدث، منهم علي سبيل المثال الفقيه الزاهد سعيد بن جبير، فلقد قال له الحجاج يوماً: أعلي في الجنة أم في النار؟ فلم يجب سعيد بغير البكاء، فأمر الحجاج بإحضار الذهب و الفضة و قال لسعيد: أنتحب أن لك شيئاً منه، قال سعيد: لا أحب مالا يحبه الله، و لما نيس الحجاج من أن يستميله بالمال أمر بقتله، فقال سعيد: أشهدك يا حجاج أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله، قال الحجاج أقتلوه، فضحك سعيد، فقال الحجاج ما يضحكك، قال: جراتك علي الله و حلمه عليك، و لما قتل سعيد، قال الحسن البصري: و الله لو اشتراك أهل المشرك و المغرب في قتله لأكبهم الله على وجوههم في النار، و كان الحجاج يرى سعيد في المقام قابضاً على تلابيبه و يقول يا عدو الله: فيما قتلني، فيستيقظ مذعوراً و يصيح مالي و لسعيد»، و بروي الشعبي أنه كان بواسط فحضر صلاة العيد مع الحجاج فدعا و قال له: هذا يوم أضحي و قد أردت أن أضحي بـرجل من العراق و أحب أن تسمع لقوله لتعلم أنني أضحي الرأي فيما أفعل، فقلت أيها الأمير كان رسول الله صلى الله عليه و آله يضحي بكيش فاستن أنت بسنته، قال: إذا سمعت ما يقول صوت رأبي، فلما أحضره، فإذا هو «يحيى بن يعمر» فاغتمت غمماً شديداً، ثم قال له الحجاج: أنت فقيه أهل العراق، قال يحيى أنا من فقهاءهم، قال الحجاج: كيف زعمت أن الحسن و الحسين من ذرية رسول الله صلى الله عليه و آله قال يحيى: ما أنا بزعم ذلك،

بل قائله بحق، قال الحجاج وأي حق، قال يحيى: كتاب الله نطق بذلك، قال لعلك تريد قوله (فمن حاكك من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا يدع أبناءكم وبناتكم ونساءكم وبناتكم ونساءكم، و أنفسنا و أنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنه الله على الكاذبين) (آية المباهلة) و أن رسول الله صلى الله عليه و آله خرج للمباهلة و معه علي و الحسن و الحسين و فاطمة، قال يحيى و إنها و الله لحجة بليغة، ولكني مع ذلك لا أحتج بها، قال إن جنت بغيرها من كتاب الله فلك عشر ألف درهم، و إلا قتلتك و كنت في حل من دمك، قال يحيى نعم، و تلا الآية 84- 85 من الأنعام (و من ذريته داود و سليمان و أيوب و يوسف و هارون و كذلك نجزي المحسنين، و زكريا و يحيى ... و إلياس كل من الصالحين) (فترك كلمة «وعيسى») فقال الحجاج (و من عجب أنه كان حافظاً للقرآن) و أين ترك «عيسى» قال يحيى: و من أين كان عيسى من ذرية إبراهيم و لا أب له، قال الحجاج من قبل أمه مريم، قال يحيى: أليكون عيسى من ذرية إبراهيم بواسطة أمه مريم، و بيننا و بينه ما تعلم من الأجداد (ما يقرب من عشرين قرناً فيما نرى و لا يكون الحسن و الحسين من ذرية رسول الله صلى الله عليه و آله بواسطة أمهما فاطمة و هي ابنته بلا واسطة، و كأنما أقم الحجاج حجراً، فقال: أعطوه عشرة آلاف درهم لا يبارك الله له فيها .

و هناك رواية أخرى للقصة، روى الحاكم في المستدرک عن عاصم بن بهدلة قال: اجتمعوا عند الحجاج فذكر الحسين بن علي، فلقال الحجاج: لم يكن من ذرية النبي صلى الله عليه و آله و عنده «يحيى بن يعمر» فقال له: كذبت أيها الأمير، فقال: لتأينيني على ما قلت ببينة و مصداق من كتاب الله عزوجل أو لا قتلتك قتلاً، فقال (و من ذريته داود و سليمان و أيوب و يوسف و موسى ... إلى قوله تعالي عزوجل: (و زكريا و يحيى و عيسى و إلياس) (الأنعام آية 84- 85)، فأخبر الله عزوجل أن عيسى من ذرية آدم بأمه، و الحسين بن علي من ذرية محمد صلى الله عليه و آله بأمه، قال: صدقت، قال: لما حملك علي تكذيتني في مجلسي، قال: ما أخذ الله على الأنبياء لبيئته للناس و لا يكتُمونه، قال الله عزوجل: (فنبذوه وراء ظهورهم و اشتروا به ثمناً قليلاً . )

فنفاه إلى خراسان .

و لتعرف أي نوع من الناس كان ينال الحظوة عند أمراء المسلمين من عمال بني أمية، فلنقرأ قصة الحجاج مع عبدالله بن هاني ء، و هو من أود، حي من اليمن- كما رواها المسعودي- شهد مع الحجاج كل حروبه حتى تحرقه البيت الحرام، و كان من أنصاره و شيعته، فأراد الحجاج أن يكافأه فزوجه من بنت أسماء بن خارجة الفزاري و بنت سعيد بن قيس الهمداني رئيس اليمانية، رغم أنف أبويهما، فقال له الحجاج «يا عبدالله قد زوجتك بنت سيد بني فزارة و بنت سيد همدان و عظيم كهلان، و ما أود هنالك، فقال عبدالله: لا تقل لأصلح الله الأمير ذلك، فإن لنا مناقب ما هي لأحد من العرب، قال و ما هي: قال: ما سب أميرالمؤمنين عثمان في نادلنا قط، قال و الله هذه منقبة (و نحن نقول ذلك) و شهد منا صفين مع أميرالمؤمنين معاوية سبعون رجلاً، و ما شهدها مع أبي تراب إلا رجل واحد، و كان الله ما علمته امرأ سوء، قال و هذه والله منقبة، قال و ما منا رجل عرض عليه شتم أبي تراب و لعنه إلا فعل، و قال و أزيدكم ابنه الحسن و الحسين و أمهما فاطمة، قال و هذه والله منقبة، قال و ما أحد من العرب له من الملاحه و الصياحة مالنا ثم صحك و كان دميماً شديد الأدمه مجدوراً في رأسه أعرج مائل

الشدق أحول قبيح الوجه وحش المنظر»، هذا و قد استمر الحجاج في إيذاء أهل البيت و التنكيل بمحببهم حتى كتب له عبدالملك بن مروان «جنيني دماء آل أبي طالب، فإني رأيت الملك استوحش من آل حرب (معاوية و ولده) حين سفكوا دماءهم»، فكان الحجاج يتجنبها خوفاً من زوال الملك عنهم، لاختوفاً من الخالق عزوجل .

و بروي المسعودي في قتل الأمويين لآل البيت أن بنات مروان بن محمد (آخر خلفاء بني أمية) دخلن علي «صالح بن علي العباسي» يطلبن العفو عنهم، فقال صالح: إنا لن نستفيق منكم أحداً رجلاً و لا امرأة، ألم يقتل أبوك بالأمسن ابن أخي إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس في محبسه في حران، ألم يقتل هشام بن عبدالملك زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب و صلبه في كناسة الكوفة، و قتل امرأة زيد بالحيرة، على يدي يوسف بن عمر الثقفي، ألم يقتل الوليد بن يزيد بن عبدالملك، يحيى بن زيد و صلبه في خراسان، ألم يقتل عبدالله بن زياد الدعي، مسلم بن عقيل بن أبي طالب، علي يدي عمر بن سعد مع من قتل بين يديه من أهل بيته، ألم يخرج محرم رسول الله صلى الله عليه و آله سبائاً حتى ورد بهن على يزيد بن معاوية، و قبل مقدمهن بعث إليه برأس الحسين بن علي، قد ثقب دماغه على رأس رمح يطاف به كور الشام و مدائنها حتى قدموا به على يزيد في دمشق، كأنما بعث إليه برأس رجل من المشركين، ثم أوقف حرم رسول الله صلى الله عليه و آله موقف السبي يتصفحهن جنود أهل الشام الجفاة الطغام، و يطلبون منه أن يهب لهم حرم رسول الله صلى الله عليه و آله استخفاً بحقه صلى الله عليه و آله و جرأة على الله عزوجل، و كفرةً لأنعمه، فما الذي استيقمتم منا أهل البيت، لو عدلتم فيه علينا . »

و من عجب فإن العباسيين لم يكونوا أقل قسوة و تنكيلاً بالبيت من ولد الحسن و الحسين من الأمويين، فلقد لقي أبناء علي بن أبي طالب من بني عمومتهم العباسيين امرأ نكرة، و إن كان بعضهم كانوا علي غير ذلك كالمأمون و المطيع، كما أن بني العباس، و هم من بني هاشم، لم ينزلوا إلى الدرك الأسفل الذي نزل إليه بنوأمية حين لعنوا الإمام علي كرم الله وجهه و رضي الله عنه، و لعنوا بنه الطاهرين المطهرين بني الزهراء، بضعة رسول الله صلى الله عليه و آله، الأمر الذي فعله الأمويين جميعاً، حاشا عمر بن عبدالعزيز و يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان .

و بروي ابن الأثير قصة ترك عمر بن عبدالعزيز سب الإمام في الجزء الخامس من الكامل فيقول: كان بنوأمية يسبون أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب، عليه السلام، إلى أن ولي عمر بن العزيز الخلافة، فترك ذلك و كتب إلى العمال في الأفاق بتركه، و كان سب محبته علياً أنه قال: كنت بالمدينة أتعلم العلم، و كنت أزم عبدالله بن عبدالله ابن عتبة بن مسعود، فبلغني عني شيء من ذلك، فأتيته يوماً و هو يصلي، فأطال الصلاة، فقعدت أنتظر فراغه، فلما فرغ من صلاته التفت إلي فقال لي: متى علمت أن الله غضب علي أهل بدر وبيعة الرضوان، بعد أن رضي عنهم، قلت: لم أسمع ذلك، قال: فما الذي بلغني عنك من علي، قلت معذرة إلى الله و اليك، و تركت ما كنت عليه، و كان أبي إذا خطب فتال من علي رضي الله عنه، تلجلج، فقلت: يا أبا إنك تمضي في خطبتك، فإذا أتيت على ذكر علي عرفت منك تقصيراً، قال: أو فطنت لذلك، قلت نعم، فقال: يا بني إن الذين حولنا لو يعلمون من علي ما نعلم، تفرقوا عنا إلى أولادهم، فلما ولي عمر الخلافة لم يكن عنده من الرغبة في الدنيا ما يرتكب هذا الأمر العظيم لأجلها، فترك ذلك، و كتب بتركه، و قرأ عوضه (إن الله يأمر بالعدل و الإحسان و إيتاء ذي القربى و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البيغي يعظكم لعلمكم تذكرون)، فحل هذا الفعل عند الناس محلاً حسناً، و أكثروا مدحه بسببه، فمن ذلك قول كثير عزه :

• وليت فلم تشتم علياً و لم تخف تكلمت بالحق المبين و إنما و صدقت معروف الذي قلت بالذي ألا إنما يكفي الفتى بعد ريفه من الأود البادي ثقاف المقوم

• برياً و لم تتبع مقالة مجرم تبين آيات الهدى بالتكلم فعلت فأضحى راضياً كل مسلم من الأود البادي ثقاف المقوم من الأود البادي ثقاف المقوم

فقال عمر، حين أنشد هذا الشعر: أفلحنا إذا

## المهدي المنتظر من أهل البيت

شاءت إرادة الله سبحانه و تعالى، أنه كما كانت نجاة العالم من ظلمات الجاهلية علي يد سيد أهل البيت سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه و آله، و كان وجود أهل البيت في الأمة أماناً لهم من الخسف و النسف، فإن صلاح العالم في آخر الزمان إنما سيكون بإذن الله علي يد «المهدي» الذي يصفطيه الله من أهل البيت النبي الطاهرين المطهرين، و الذي تواترت الأحاديث و استفاضت عن خروجه في آخر الزمان، ليملا الأرض عدلاً، كما ملئت ظلاماً و جوراً، قال صلى الله عليه و آله: «المهدي منا، يختم الدين بنا، كما فتح بنا» (رواه المحب الطبري في الصواعق المحرقة عن الطبراني) و قال صلى الله عليه و آله «المهدي من عترتي من ولد فاطمة» (رواه أبوداود و ابن ماجه و الحاكم من حديث أم المؤمنين أم سلمة) و روى عن الإمام علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه في الجنة، أنه قال: «المهدي من ولد أبي هذا»، و أشار إلى الحسن .

و روى الحافظ الذهبي في المنتقى عن المهدي: و عن علي أنه نظر إلى الحسن فقال: يسخر من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم، يشبهه في الخلق، و لا يشبهه في الخلق، يملأ الأرض قسطاً.»

و يقول الإمام ابن تيمية: و قول أمير المؤمنين (الإمام علي، كرم الله وجهه في الجنة) في أنه حسني، لا حسيني صريح، ذلك لأن الحسن والحسين مشبهان من بعض بإسماعيل وإسحاق، و إن لم يكونا نبين و لهذا كان النبي صلى الله عليه و آله «أعزكم بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، و من كل عين لامة»، و يقول: «إن إبراهيم كاد يعود بهما إسماعيل وإسحاق»، و كان إسماعيل هو الأكبر والأحلم، و لهذا قال النبي صلى الله عليه و آله، و هو يخاطب علي المنبر، و الحسن معه علي المنبر: «إن ابني هذا سيد، و سيطر الله به بين فئتين من السملين»، فكما أن غالب الأنبياء كانوا من ذرية إسحاق، فهكذا كان غالب السادة الأئمة من ذرية الحسين، و كما أن خاتم الأنبياء، الذي طبق أمره مشارق الأرض و مغاربها، كان من ذرية إسماعيل، فكذلك الخليفة الرشيد المهدي، الذي هو آخر الخلفاء، يكون من ذرية الحسن.

هذا و يقول ابن تيمية في رسالة «فضل أهل البيت و حقوقهم»: فأما المهدي الذي بشر به النبي صلى الله عليه و آله فقد رواه أهل العلم العالمون بأخبار النبي صلى الله عليه و آله، الخافظون لها، الباحثون عنها و عن روايتها، مثل أبي داود و الترمذي و غيرهما، و رواه الإمام أحمد في مسنده، فعن عبدالله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم، حتى يعث الله رجلاً من أهل بيتي، يوطئ اسمه اسمي، و اسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً» (أخرجه أبوداود، و مثله عنده، و عند الإمام أحمد عن الإمام علي)، و عن أبي سعيد قال قال صلى الله عليه و آله: «المهدي مني، أجلي الجبهة، أفنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً و ظلماً، يملك سبع سنين» (عود المعبود بشرح سنن أبي داود).

و عن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه و آله قال: «يكون في أممي المهدي، إن قصر فسبح، و إلا فتسع، فتعمر فيه أممي نعمه لم ينعموا مثلها قط، توتي أكلها و لا تترك منه شيئاً، و المال يومئذ كدوس (أي مجموع كثير) يقول الرجل فيقول: يا مهدي اعطني، فيقول: خذ» (رواه ابن ماجه)، و قال صلى الله عليه و آله: «يكون في آخر الزمان خليفة يحثو المال حثوا» (رواه أحمد و مسلم عن جابر و أبي سعيد).

## حفظ ذرية النبي في أهل البيت

إقتضت حكمه الله تعالى في خلقه، و رحمته بعباده، كما يقول الأستاذ حسين يوسف، أن تستمر بأهل البيت ذرية سيد الأنبياء و المرسلين صلى الله عليه و آله إلى يوم الدين، تشع بضائها على العالمين، و ترشد بهدائها الضالين، روى ابن عساکر من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال «كل نسب و صهر ينقطع يوم القيامة إلا نسبي و صهري»، هذا و كما كانت بعثته صلى الله عليه و آله رحمة للعالمين، بهداية الطائعين إلى سواء السبيل، و إثابهم علي ذلك، و تأخير العقاب عن العصاة و المكذبين، فكذلك، فإن بقاء أهل البيت الطاهرين المطهرين رحمة للعالمين، لأن نورهم من نوره صلى الله عليه و آله و بركتهم من بركته، و كما أن الله تعالى قد اختص رسوله صلى الله عليه و آله بأن لا يعذب أمته ما دام فيهم، فقال تعالى في الأنفال) و ما كان الله ليعذبهم و أنت فيهم،) فكذلك فإن الله تعالى، ببركة أهل بيت المصطفى صلى الله عليه و آله لن يعذب الأمة الإسلامية عذاب الاستئصال، ما دام فيهم أهل البيت، فهم الشموع المنيرة في الظلمات، و الحصون التي يركن إليها في الملتمات، يجيرون كل من لاذ بحماهم، و يكرمون كل من نزل بساحتهم، و قد جاء في تفسير القرطبي عن ابن عباس أنه قال: «لم يعذب أهل قرية حتى يخرجوا النبي صلى الله عليه و آله منها و المؤمنون، و يلحقوا بحيث أمروا»، فإذا كان وجود المؤمنين بقرية ما سبب رحمة لها، فكيف بوجود أهل البيت، و هم من خاصة المؤمنين و خيارهم، و أفرهم إلى الله و رسوله، و قد قال صلى الله عليه و آله، فيما بروى الطبراني و أبويعلی من حديث سلمة ابن الأكوع، «النجوم أمان لاهل السماء، و أهل بيتي أمان لأمتي.»

هذا و قد أجمع المسلمون على أن الإمامين الحسن و الحسين، أبناء السيدة فاطمة من الإمام علي، و ذريتهما، رضي الله عنهم أجمعين، إنما هم، كما يقول ابن قيم الجوزية في جلاء الأفهام، ذرية النبي صلى الله عليه و آله المطلوب لهم من الله الصلاة و ذلك لأن أحداً من بناته لم يعقب غيرها، فمن انتسب إلى النبي صلى الله عليه و آله من أولاد بناته إنما هم من أولاد السيدة فاطمة الزهراء، و هكذا أكرم الله تعالى الزهراء، عليها السلام، بأن حفظ ذرية نبيه صلى الله عليه و آله في ذريتها، و أبقى عقبه في عقبها، فهي وحدها دون بناته و بنيه، أم السلالة الطاهرة، و العترة الخيرة، و الصفة المختارة من عباد الله من أمته صلى الله عليه و آله، ذلك لأن أبناء النبي الذكور ماتوا جميعاً، و هم أطفال لم يشبوا عن الطوق، و لم يبلغوا الحلم بعد، و أما بناته صلى الله عليه و آله فلم يتركن وراءهن أطفالاً، ما عدا السيدة زينب، رضي الله عنها، التي لم تنجب سوى الذي مات صغيراً، و أمامة التي تزوجها الإمام علي بعد الزهراء البتول، و قد أنجبت من الإمام علي، الحسن و الحسين (و محسن الذي مات صغيراً) و أم كلثوم و زينب الكبرى، الشهيرة بعقيلة بني هاشم، رضي الله عنهم أجمعين، و لم يكن لسيدتنا رسول الله صلى الله عليه و آله عقب إلا من الزهراء، و أعظم بها مفخرة، و هكذا كان من ذرية الزهراء، و من أبناء الحسن و الحسين، جميع السادة الأشراف، ذرية سيدنا و مولانا وجدنا رسول الله صلى الله عليه و آله.

و روى الطبراني و الخطيب عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله «لم يعث الله نبياً قط، إلا جعل ذريته من صلبه غيري، فإن الله جعل ذريتي من صلب علي، رضي الله عنه»، و روى الإمام أحمد و الطبراني و أبويعلی و المحب الطبري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه أم كلثوم، فاعتل علي بصغرها، فقال: إنني لم أرد الباه، ولكنني سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: «كل سبب و نسب منقطع يوم القيامة، ما خلا سببي و نسبي، و كل ولد أب فإن عصبتهم لأبيهم، ما خلا ولد فاطمة، فأنأ أبوهم و عصبتهم»، و أخرج الطبراني عن عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه و آله: «كل بني إنثى فإن عصبتهم لأبيهم، ما خلا ولد فاطمة، فأنأ أبوهم، و أنا أبوهم»، و عن فاطمة عليها السلام عن النبي صلى الله عليه و آله: «لكل بني إنثى عصبه ينتمون إليه، إلا ولد فاطمة، فأنأ وليهم و أنا عصبتهم»، و روى الحاكم عن جابر أنه صلى الله عليه و آله قال: لكل بني أم عصبية، إلا ابني فاطمة، فأنأ وليهم و عصبتهم.»

و عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «خلق الناس من أشجار شتى، و خلقت أنا و علي بن أبي طالب من شجرة واحدة، فما قولكم في شجره، أنا أصلها، و فاطمة فرعها، و علي لقاحها، و الحسن والحسين ثمرتها، و شيعتنا أوراقها، فمن تعلق بغصن من أغصانها ساقه إلى الجنة، و من تركها هوى إلى النار»، و في رواية: «أنا شجرة، و فاطمة فرعها، و علي لقاحها، و الحسن و الحسين ثمرتها، و شيعتنا ورقها، فالشجرة أصلها في جنة عدن، و الأصل و الفرع و اللقاح و الثمر و الورق في الجنة»، وهكذا كان سل فاطمة و علي نسلاً مباركاً للنبي صلى الله عليه و آله.

ثم إن النبي صلى الله عليه و آله إنما كان يدعو الحسن و الحسين ابنيه، فيقول صلى الله عليه و آله في الحسن: «إن ابني هذا سيد»، و أخرج الترمذي عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه و آله قال: «أدعي ابني فيشمهما و يضمهما إليه»، و روى الإمام أحمد و الحاكم و أبونعيم و الطبراني أن النبي صلى الله عليه و آله قال: «حسين مني، و أنا من حسين أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط»، هذا فضلاً عن أنه لما نزلت آية المباهلة (آل عمران 61) دعا النبي صلى الله عليه و آله و آله علياً و فاطمة و الحسن و الحسين و خرج للمباهلة، و قد أشرنا من قبل إلى قصة الفقيه «يحيى بن يعمر» مع الحجاج الثقفي، كما جاءت عن الشعبي، و كما رواها الحاكم في المستدرک عن عاصم بن بهدلة، و كيف أنث يحيى للحجاج من الأيتيمين 84، 85 من الأتعام، أن الحسن و الحسين من ذرية النبي صلى الله عليه و آله عن طريق أمهما فاطمة الزهراء، كما أن عيسى بن مريم من ذرية إبراهيم، عن طريق أمه مريم ابنة عمران، صلوات الله و سلامه عليهم جميعاً.



## القِسْمُ الثَّانِي (السَّيِّدَةُ قَاطِمَةُ الزَّهْرَاءِ )

قال النبي صلى الله عليه وآله: فاطمة سيِّدة أهل الجنَّة (رواه البخاري )  
و قال صلى الله عليه وآله (لفاطمة): أما ترضين أن تكوني سيِّدة نساء أهل الجنَّة  
أو نساء المؤمنين. (رواه البخاري )  
و قال صلى الله عليه وآله فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها فقد أغضبني (رواه البخاري ).

## في رحاب النبي

### مولد الزهراء

رزق النبي صلى الله عليه وآله و زوجته الطاهرة خديجة رضي الله عنها في مكة المكرمة بالزهراء في يوم الجمعة العشرين من جمادى الآخرة، و قريش تبني الكعبة، و ذلك قبل البعثة بخمس سنين، فيما يرى كبار كتاب السيرة من أمثال ابن إسحاق و ابن هشام و الطبري، و هي أصغر بنات النبي صلى الله عليه وآله، فإذا كانت قريش قد أعادت بناء الكعبة حوالي عام 606 م، فهذا يعني أن الزهراء قد ولدت عام 606 م (18 قبل الهجرة)، على أن هناك من يرى أنها ولدت قبل البعثة بستة أشهر، و هناك وجه آخر للنظر يذهب إلى أن الزهراء إنما ولدت على أيام النبوة، و ليس قبلها، فلقد روى الحاكم في المستدرک و ابن عبد البر في الاستيعاب أنها ولدت سنة إحدى و أربعين من مولد النبي صلى الله عليه وآله، أي بعد البعثة بسنة (عام 612 / 611 م)، بل إن الشيخ الطوسي إنما يذهب في مصباح المتعبد إلى أنها ولدت بعد المبعث بستين، بل إن هناك رواية تنسب إلى الإمام الباقر، تذهب إلى أن مولد الزهراء، عليها السلام، إنما كان في العام الخامس من بعثة النبي صلى الله عليه وآله (عام 614 / 615 م)، و هكذا اختلف العلماء في مولد الزهراء، و بالتالي فقد اختلفوا في سننها يوم زفت إلى الإمام علي، و في سننها يوم أن انتقلت إلى الرقيق الأعلى في الثالث من رمضان عام 11 هـ (أخريات عام 632 م)، على أن أكثر العلماء من أهل البيت يرون أنها ولدت قبل البعثة بخمس سنين، و قد روى أن العباس دخل على علي و فاطمة، رضي الله عنهما، و أحدهما يقول للآخر: أينا أكبر، فقال العباس: ولدت يا علي قبل بناء قريش البيت بسنوات و ولدت أنت يا فاطمة، و قريش تبني البيت .  
و هكذا كان مولد الزهراء عليها السلام، بشير سلام و أمن لقريش جميعاً، ذلك لأن مولدها إنما وافق اجتماع قريش لبناء الكعبة، و يحدثنا التاريخ أن القوم كادوا يقتتلون على من يجوز شرف إعادة الحجر الأسود إلى مكانه، لولا حكمه سيد الأولين و الآخرين، سيدنا و مولانا وجدنا. محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، و ذلك بأن وضع الحجر في ثوب، ثم أمر بأن تأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم رفعوه جميعاً، فلما بلغوا موضعه، وضعه بيده الشريفة ثم بنى عليه، و هكذا استبشر النبي صلى الله عليه وآله و آله بمولد الزهراء، إذ اقترن مولدها بإقامة البيت الحرام و تجديده، دون أن تختصم قريش، و دون أن تتفرق كلمتها، و إنما جمع الله شملها علي يد أبي الزهراء في أيام مولد الزهراء، هذا و قد كان النبي صلى الله عليه وآله و آله قد بشر بمولدها قبل أن تولد، روى أنه صلى الله عليه وآله و آله قال لزوجته خديجة: «يا خديجة، هذا جبريل يبشركي أنها أنثى، و أنها النسمة الطاهرة الميمونة، و ان الله سيجعل نسلي منها، و سيجعل من نسليها أئمة من الأمة، و يجعلهم خلفاء في أرضه»، و وضعت خديجة فاطمة طاهرة مطهرة، فلما سقطت إلى الأرض اشرف فيه ذلك النور، و ما أن عرف رسول الله صلى الله عليه وآله و آله بولادتها حتى سجد شكرًا لله تعالى، و قد أُمهم بأنه سيكون منها سلالته و عترته، فكانت أحب ولده إليه، و أقرهم لعينه .

## أسماء الزهراء

حملت فاطمة الزهراء عليها السلام، تسعة أسماء هن: فاطمة و الصديقة و المباركة و الطاهرة و الزكية و الراضية و المرضية و المحدثة و الزهراء كما كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله و آله يلقبها ب «أم أبيها» لحنانها عليه وحبها الدائم، و أما اسمها الأول «فاطمة» فهو اسم لم يكن غريباً عند العرب، فقد كانت زوج أبي طالب و أم الإمام علي تسمى فاطمة، و كان الرسول صلى الله عليه وآله و آله يتناديها «يا أماه» و هناك فاطمة بنت حمزة سيد الشهداء، و اسد الله و رسوله، و هناك فاطمة بنت عتبة و غيرها، غير أن اسم فاطمة للزهراء إنما كان له معنى خاصاً، روى المحب الطبري في «ذخائر العقبى» في مناقب ذوي القربى» فقال: أخرج الحافظ الدمشقي عن الإمام علي، كرم الله وجهه في الجنة، قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله و آله لفاطمة: يا فاطمة، أتدريين لم سميت فاطمة؟ قال علي: يا رسول الله لم سميت فاطمة؟ قال إن الله عزوجل قد فطمها و ذريتها من النار يوم القيامة»، و عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله و آله: «إن ابنتي فاطمة حوراء إذ لم تحض و لم تطمت، و إنما سماها فاطمة لأن الله عزوجل فطمها و محببها من النار .»  
و أما لقب «الزهراء» فلأنها، كما يقول الأستاذ أبو علم، بيضاء اللون، و روى عن الإمام جعفر الصادق عن أبيه الإمام محمد الباقر عن أبيه الإمام علي زين العابدين قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام (أي مولانا الإمام الحسين) عن فاطمة، لم سميت الزهراء؟ فقال: لأنها كانت إذا قامت في محرابها يزهو نورها لأهل السماء كما يزهو نور الكواكب لأهل الأرض»، و روى أنها، عليها السلام، سميت الزهراء لأن الله عزوجل خلقها من نور عظمته، و قيل إنها حين وضعها السيدة خديجة، رضي الله عنها، حدث في السماء نور زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك اليوم، و بذلك لقبت بالزهراء، و قل إنها سميت الزهراء، لأنها كانت لا تحيض، و كانت إذا ولدت طهرت من نفاسها بعد ساعة حتى لا تفوتها صلاة .

و أما لقب المحدثة فلأن الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها، كما كانت تنادي مريم ابنة عمران، عليهما السلام، و يحدثها روح القدس، و أما القاب الصديقة و المباركة و الطاهرة و الزكية و الراضية و المرضية، فهي آيات على ما اتسمت به الزهراء، رضي الله عنها، من الصدق و البركة و الطهارة و الرضى و الطمأنينة .

و أما لقب «البتول» فذلك لإنقطاعها عن نساء زمانها فضلاً و ديناً و حسباً، و قيل لانقطاعها عن الدنيا إلى الله تعالى، و في تاج العروس للزبيدي، لقبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله و آله بالبتول تشبيهاً لها بمريم في المنزلة عند الله تعالى، و أما

تعلب فالرأي عنده أنها سميت بالبتول لانقطاعها عن نساء زمانها، و عن نساء الأمة، فضلاً و ديناً، و حسباً و عفافاً، و هي سيِّدة نساء العالمين، و قيل البتول من النساء المنطقه عن الدنيا إلى الله تعالى، و به لقبت فاطمة، رضي الله عنها، و عن عمر بن علي رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وآله و آله سئل عن البتول، و قد قيل له: سمعتك يا رسول الله تقول: مريم بتول، و فاطمة بتول، فما ذاك، فقال صلى الله عليه وآله و آله: «البتول التي لم ترحمرة قط» أي لم تحض، فإن الحيض مكروه في بنات الأنبياء، عليهم الصلاة و السلام، و في الواقع فقد كانت فاطمة الزهراء، عليها السلام، إلى جانب إنسانيتها، تحمل صفات الملائكة و صفات الحور العين، كانت إنسانة، و كانت حوراء، أو هي «حوراء انسية .»

## حياة الزهراء في مكة المكرمة

ولدت الزهراء ونشأت في بيت ربه محمد، وربته خديجة، وأي أب في تاريخ الإنسانية كلها، أعظم وأنبل، وأكرم وأشرف من محمد صلى الله عليه وآله، وأي أم أرفق وأحن .

وأشفق من خديجة رضي الله عنه، ثم سرعان ما أصبح هذا البيت، بيت النبوة والرسالة، ومهبط الوحي والتنزيل، وهكذا تأدبت الزهراء بأدب أبيها النبي، الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه، ومن ثم فقد كانت سيدتنا فاطمة الزهراء، المثل الأعلى في الخلق الكريم والطبع السليم، وقد عنى بها رسول الله صلى الله عليه وآله عناية تامة، فكان يتفقها ثقافة إسلامية، ويروضها على الهدى النبوي، والصراف المستقيم، ومن ثم فقد نشأت الزهراء نشأة كانت المثل الأعلى في الكمال والجلال، فهي إنما تمثل أشرف ما في المرأة من إنسانية وكرامة وشفقة وقداوة ورعاية إلى ما كانت عليه من ذكاء وقاد، وفطنة حادة، وعلم واسع، وكفاها فخراً أنها تربت في مدرسة النبوة، وتخرجت في معهد الرسالة، وتلقّت عن أبيها الرسول الأمين صلى الله عليه وآله ما تلقاه عن رب العالمين، وبدهي أن الزهراء تعلمت في دار أبيها، ما لم تتعلمه طفلة غيرها في مكة، بل وفي الدنيا كلها، وصدقت أم المؤمنين أم سلمة حيث تقول «تزوجني رسول الله صلى الله عليه وآله و فوض أمر ابنته إلي، فكانت أؤديها وأدلبها، وكانت والله أدب مني، وأعرف بالأشياء كلها»، أو ليست هي يا أم المؤمنين بضعة رسول الله

أوليس هي «أم أبيها» كما كان يسميها سيد المرسلين، أوليست هي التي اصطفاها الله لتكون التيار الذي يحمل نور النبي صلى الله عليه وآله عبر أسلاك الزمن، والتضاء البشرية بعد ذلك من هذا النور الفياض، وصدق الأستاذ العقاد، حيث يقول «في كل دين صورة للأئمة الكاملة المقدسة، يتخضع بتقديسها المؤمنون، كأنما هي آية الله فيما خلق من ذكر وانثى، فإذا تقديست في المسيحية صورة مريم العذراء، ففي الإسلام، لا حرم، تقديس صورة فاطمة البتول .»

كانت الزهراء عليها السلام، أصغر بنات النبي صلى الله عليه وآله، ومن ثم فما أن انتقلت السيدة خديجة، رضي الله عنها الي جوار ربها الكريم، راضية مرضية، حتى أصبحت الطفلة الصغيرة، فاطمة الزهراء، مسؤولة عن رعاية أبيها والسهر عليه، ولكنه لم يكن أباً عادياً، وإنما هو رسول الله الذي أرسله للناس كافة، ومن ثم فقد كان علي الزهراء، وهي ما تزال صغيرة لا تكاد تتحمل مسؤولية بيت و رعاية أسرة، فضلاً عن أن يكون هذا البيت وتلك الأسرة، بيت محمد صلى الله عليه وآله، تأخذ نصيبها من أعباء الدعوة، وأثقال الرسالة، وسوف يكون لها ولزوجها، ولا بناتها وبناتها من بعدها، النصيب الأوفر، فلقد أخذت حتى الآن نصيبها من الحصار الرهيب في شعب أبي طالب، حيث حصر أهلها من بني هاشم، ولمدة سنوات ثلاث، إلا أن يسلموا أبأها فتقتله قريش، و سوف تأخذ نصيبها من أحداث الهجرة، وتنال حظها من خطوب «أحد» والأحزاب، وسوف تشارك أبأها كل ما يلاقيه من أذى قريش، وتقاسمه كل همومه، بقدر ما نالته من الحظوة عنده، والمكانة لديه .

## حياة الزهراء في المدينة المنورة

هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة ثم تبعته الزهراء وأم كلثوم، وهناك روايتان عن هجرتهم، تذهب الأولى إلى أن النبي صلى الله عليه وآله قد بعث زيد بن حارثة وأبارافع، وأعطاهما بعيرين وخمسة درهم إلى مكة، فقدمتا عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتيه، وسودة بنت زمعة زوجته، وأسامة بن زيد، وأمة أم أيمن، وتذهب الرواية الثانية إلى أن النبي صلى الله عليه وآله وأمه لما هاجر إلى المدينة نزل في بني عمرو بن عوف قباء، ومن هناك كتب إلى علي، رضي الله عنه، مع أبي واقد الليثي، يأمره بالقدوم إليه، فخرج علي بالفواطم (فاطمة الزهراء وفاطمة بنت أسد أم علي، وفاطمة بنت الزبير بن عبدالمطلب) وأم كلثوم، ومع أم أيمن ابن أم أيمن مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وآله وأبو واقد الليثي، وسار الركب، وب علي راسه فتى الإسلام علي بن أبي طالب، حتى إذا ما كانوا علي مقربة من «ضحنان» (وهي حرة بمكة على مبعدة 54 كيلاً في طريق المدينة تعرف اليوم بحرة المحسنية) أدركهم الطلب، وهم ثمانية فرسان ملثمون، ومعهم مولى لحرب بن أمية يدعى جناح، فقال علي لأيمن وأبي واقد: أتيخا الإبل واعقلها، وتقدم فأنزل النسوة، ودنا القوم، فاستقبلهم الإمام، فقالوا: ظننت أنك يا غدار ناج بالنسوة، إرجع لا أبأ لك، قال علي: فإن لم أفعل، قالوا لترجعن راغماً، أو لترجعن بأكثرك شعراً (أي رأسك) وأهون بك من هالك، ودنا الفوارس من المطايا ليثيروها، فجال علي بينهم وبينها، فأهوى له جناح بسيفه، فراغ علي عن ضربته، و ضربه ضربة على عاتقه ففده نصفين حتى وصل السيف إلى كتف فرسه، و شد على أصحابه، وهو على قدميه، فتفرقوا، ثم سار ظافراً حتى نزل منزلاً بعد ضحنان، فبات فيه يومه وليله، ولحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين، فيهم أم أيمن مولدة رسول الله صلى الله عليه وآله وآله، ثم ساروا في طريقهم نحو المدينة حتى وصلوها بعد أيام، وفرح رسول الله صلى الله عليه وآله وآله بوصول أهل بيته، و انزل الزهراء وأم كلثوم معه منزلاً كريماً على أم أيوب الأنصارية الخزرجية امرأة أبي أيوب الأنصاري (خالد بن زيد النجاري) وهو ممن شهد العقبة و بدرأ وأحد والخندق وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وآله، وكان مع الإمام علي، ومن خاصته، وشهد معه الجمل و صفين و كان علي مقدمته يوم النهروان .

وبقيت الزهراء مع أبيها النبي صلى الله عليه وآله وآله في بيت أبي أيوب، حتى إذا ما تزوج الرسول صلى الله عليه وآله وآله وسودة بنت زمعة القريشية بعد خديجة، واتخذ لها داراً بالمدينة، فانتقلوا جميعاً إلى تلك الدار، فكانت سودة تتولى الزهراء وتقوم بحاجتها، ثم تزوج نبي الله أم سلمة بنت أمية المخزومية، فانتقلت الزهراء إلى بيت أم سلمة رضي الله عنها وهي صاحبة القول المشهور «تزوجني رسول الله صلى الله عليه وآله وآله و فوض إلي أمر ابنته فاطمة، فكانت أؤديها وأدلبها، و كانت والله أدب مني، وأعرف بالأشياء كلها»، إلى أن بنى بها علي رضي الله عنه فانتقل بها الي بيت مستقل في موضع الزور، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وآله، وقد كان السلف الصالح و من اقتدى بهم لا ينسون حظهم من الصلاة الي الاسطوانات التي خلف الاسطوانات المواجهة للزور، فإنها كانت باب فاطمة التي كان يدخل اليها علي منها، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وآله يأتيه و يأخذ بعضادتي الباب، ويقول «السلام عليكم أهل البيت، و الصلاة الصلاة (ثلاث مرات) ثم يقرأ (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا) .

## مشابهة الزهراء النبي

روى الحاكم في المستدرک بسنده عن أنس بن مالك انه قال: سألت أمي عن صفة فاطمة، رضي الله عنها، فقالت: «كانت أشد الناس سبها برسول الله صلى الله عليه وآله وآله بيضاء مشربة بحمرة، لها شعر أسود يتعفر لها»، و أخرج الإمام أحمد في مسنده عن أنس بن مالك قال: «لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله وآله من الحسن ابن علي، وفاطمة، صلوات الله عليهم أجمعين». و أخرج الترمذي عن عائشة أم المؤمنين قالت: «ما رايت أحداً أشبه سمياً ودلاً وهدياً برسول الله صلى الله عليه وآله وآله في قيامها و قعودها من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وآله، و كانت إذا دخلت علي رسول الله صلى الله عليه وآله وآله قام اليها فقبلها و اجلسها في مجلسه، و كان النبي صلى الله عليه وآله وآله إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته و اجلسته في مجلسها»، و أخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى عن أم سلمة قالت: كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وآله و آله أشبه الناس وها برسول الله صلى الله عليه وآله وآله، و روى أنها عندما وضعتها السيدة خديجة، و رات في وليدتها الزهراء أنها صورة من أبيها النبي الأعظم، سرها ذلك الشبه، و رآته بركة من بركاة الله عليها و علي آل البيت الكرام .

و روى البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة، رضي الله عنها، قالت : «أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي صلى الله عليه وآله وآله، فقال النبي صلى الله عليه وآله وآله: مرحباً بابنتي، ثم جلسها عن يمينه أو شماله... الحديث» و روى الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن عائشة قالت: «كن أزواج النبي صلى الله عليه وآله وآله و آله عنده لم يغادر منهن واحدة، فأقبلت فاطمة تمشي ما تمشيها من مشيتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وآله و آله شيئاً، فلما رآها رحب بها، فقال: مرحباً بابنتي، ثم اجلسها عن يمينه أو عن شماله... الحديث .»

## مَعَ الإِمَامِ عَلِيٍّ

### زواج الزهراء بالإمام علي

يروى أن أبابكر وعمر، رضي الله عنهما، خطبا الزهراء من رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لكل منهما: انتظر بها القضاء، أو قال: إنها صغيرة، كما جاء في سنن النسائي عن بريدة رضي الله عنها قال: خطب أبوبكر وعمر فاطمة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنها صغيرة، فخطبها علي فزوجها منه»، وروى ابن الأثير في «أسد الغابة» أن الرسول صلى الله عليه وآله لما رفض زواجها لأبي بكر وعمر، قال عمر: أنت لها يا علي، قال علي: فقلت: أجر دائي فرحاً بما نهيت إليه، حتى أتيت النبي صلى الله عليه وآله فقلت: تزوجني فاطمة، قال: أو عندك شيء، قلت: فرسي وبندي، أي درعه، قال: أما فرسك فلا بد منها، وأما بدنك فبعها، فبعتها لعثمان بن عفان بأربعمائة درهم وثمانين، قال الزرقاني: ثم إن عثمان رد الدرع إلى علي، فجاء بالدرع والدرهم إلى المصطفى صلى الله عليه وآله فباعها له فباعها فاطمة، و لما جاء علي بالدرهم إلى النبي صلى الله عليه وآله فباعها له فباعها فاطمة، فباعها فاطمة، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: ما تصدقها، قال: ما عندي ما أصدقها، قال: فأين درعك الحطمية التي كنت منحتك، قال: عندي، قال أصدقها إياها، قال: فأصدقها وتزوجها، وجاء في أنساب الأشراف للبلاذري:

فباع عبيراً ومتاعاً فبلغ من ذلك أربعمائة درهم وثمانين، ويقال أربعمائة درهم، فأمره أن يجعل ثلثها في الطيب، وثلثها في المتاع، ففعل . وروى ابن عساکر عن أنس أنه قال: خطب علي فاطمة، بعد أن خطبها أبوبكر وعمر، فقال صلى الله عليه وآله لعلي: «قد أمرني ربي أن أزوجه منك»، وروى الطبراني مرفوعاً برجال ثقات: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله أمرني أن أزوجه فاطمة من علي»، وفي طبقات ابن سعد: أن أبابكر وعمر لما خطبا فاطمة، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «هي لك يا علي لست بدجال» يعني لست بكذاب، لأنه كان قد وعد علياً بها قبل أن يخطبها .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله فغشيه الوحي، فلما أفاق قال لي: يا أنس أتدري ما جاء به جبريل عليه السلام من صاحب العرش عروجل، قلت بأبي أنت وأمي، ما جاء به جبريل، قال، قال لي: إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تزوجه فاطمة من علي» ثم أن النبي صلى الله عليه وآله قال له: انطلق وادع لي أبابكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير، وبعدهم من الأنصار قال فانطلقت فدعوتهم، فلما أخذوا مجالسهم، قال صلى الله عليه وآله عليه وآله بعد أن حمد الله وأثنى عليه «أن الله جعل المصاهرة سبباً لاحقاً، وأمرأ مفترضاً، أوشج به الأرحام، وألزم الأنام، فلقال عز من قائل: (و هو الذي جعل من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً، وكان ربك قديراً)، فأمر الله تعالى يجري الي قضائه، وقضاه يجري الي قدرة، ولكل قدر أجل، ولكل أجل كتاب «بمحو الله ما يشاء وينبت وعند أم الكتاب، ثم أن الله تعالى أمرني أن أزوجه فاطمة بنت خديجة من علي بن أبي طالب، فاشهدوا علي أني زوجته علي أربعمائة مثقال فضة، إن رضي بذلك علي السنة القائمة والغريضة الواجبة، فجمع الله شملهما، وأطال نسلهما، وحل نسلهما مفاتيح الرحمة، ومعادن الحكمة وأمن الأمة، أقول قولني هذا وأستغفر الله لي ولكم .»

قال أنس: و كان علي، عليه السلام، غائياً في حاجة لرسول الله صلى الله عليه وآله فبعثه فيها، ثم أمر لنا بطبق فيه تمر، فوضع في أيدينا، فقال صلى الله عليه وآله: انتبهوا، فبينما نحن كذلك، إذ أقبل علي، فتبسم له رسول الله صلى الله عليه وآله وأله و قال: يا علي، إن الله أمرني أن

أزوجه فاطمة و إنني زوجتكها علي أربعمائة مثقال فضة، فقال علي: رضيت يا رسول الله، ثم إن علياً خرّ ساجداً شاكراً لله، فلما رفع رأسه، قال الرسول صلى الله عليه وآله: «بارك الله لكما و عليكما، وأسعد جدكما، وأخرج منكما الكثير الطيب»، قال أنس «و الله لقد أخرج منهما الكثير الطيب، و روى الطبراني و الخطيب عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لم يبعث الله نبياً قط، إلا جعل ذريته من صلبه غيري فإن الله جعل ذريتي من صلب علي رضي الله عنه .»

و أرحم الأقوال أن هذا الزواج كان بعد الهجرة وقبل غزوة بدر، كان في رمضان (و ربما في محرم أو صفر أو رجب) من السنة الثانية للهجرة، و مضى على هذا القرآن شهرين ثلاثة، حتى إذا كانوا ذو الحجة من السنة نفسها، دخل علي بها، و كان جهاز فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله و آله سريراً من الخوص مشدوداً بالحبال و وسادتين حشوهما ليف، و بساط صوف، و جلد كبش يقلب علي صوفه فيصير فراشاً و إناء به سمن جاف يطبخ به، و قربه للماء، و جره و كوزاً، و رملاً ميسوياً و رخاءً أو رخاءين، و خفت بعض نساء الأنصار الثريات فأهدين الزهراء رداً من جميلين للزفاف، و بعض حقائق من الطيب و العطور، و أقرضتها بعض الحلبي . و يروي ابن شهاب الزهري في المغازي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «يا علي، إنه لا بد للعروس من وليمة» فقال أحد أغنياء الأَنْصار: عندي كبش، فأعده صاحبه، و دعا علي رهطاً من المهاجرين و الأنصار و أحضروا الطيب و الزبيب و التمر قطعوا، و يروي الأستاذ أبوعمير أنه في ليلة الزفاف هذه، أتى الرسول صلى الله عليه وآله و آله ببعلة الشهباء، و تنى عليها قطيفة، و قال لفاطمة: إركبي فأركها، و أمر سلمان أن يقود بها، و مشى صلى الله عليه وآله و آله خلفها، و معه حمزة و بنوهاشم مشهريين سيوفهم، و أمر بنات عبد المطلب و نساء المهاجرين و الأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة، و أن يفرحن ويرجزن و يكبرون و يحمدن، و لا يقلن مالا يرضي الله، و نساء النبي صلى الله عليه وآله و آله معها، حتى أوصلنها إلى بيت علي .

و اوصى رسول الله صلى الله عليه وآله و آله علياً، ألا يحدث شيئاً حتى يأتيه، ثم جاءت العروس الطاهرة البتول، مع أم أيمن بركة الحشيشية مولاة النبي صلى الله عليه وآله و آله، و فعدت فاطمة في جانب من البيت، و قعد علي في الجانب الآخر، ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وآله و آله فقال: «أها هنا أخي، فقالت أم أيمن: بأبي أنت و أمي يا رسول الله، أخوك، قال: علي بن أبي طالب، قالت و كيف يكون أخاك و قد زوجته ابنتك، قال: هو ذاك يا أم أيمن، و في رواية قال نعم، أي هو كاختي في المنزلة و المواخاة، فلا يمتنع علي تزويجي إياه ابنتي»، هذا و كانت النساء قد انصرفن بعد الوليمة، غير أن النبي صلى الله عليه وآله و آله وجد امرأة مع الزهراء، فسألها الرسول صلى الله عليه وآله و آله عما بيغيها، قالت: أنا التي أحرس ابنتك، إن الفتاة ليلة بناتها (زفافها) لا بد لها من امرأة قريبة منها، إنني عرضت لها حاجة أو أرادت أمراً أفضت إليها بذلك، فقال صلى الله عليه وآله و آله للمرأة، و هي أسماء بنت عميس، فإني أسأل إلهي أن يحرسك من بين يديك و من خلفك و عن يمينك و عن شمالك من الشيطان الرجيم»، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله و آله بماء فغسل فيه يديه، ثم دعا علياً فجلس بين يديه فنضح عليه صدره من ذلك الماء و بين كتفيه، ثم دعا فاطمة فجاءت بغير خمار تعثر في ثوبها، ثم نضح عليها من ذلك الماء، ثم قال: أدخل بأهلك باسم الله و البركة، و في روايه أنه صلى الله عليه وآله و آله توضع في إناء ثم أفرغه علي و فاطمة، ثم قال: اللهم بارك فيهما، و بارك لهما في شملهما، و في رواية، و في شليلهما، و الشليل ولد الأسد، فيكون ذلك كشفاً و اطلاعاً منه صلى الله عليه وآله و آله علي أن الزهراء تلد الحسن و الحسين، فأطلق عليهما شليلين .

هذا و قد روى أن السيدة الزهراء بكت تلك الليلة، ربما لعلها تذكرت أمها الراحلة السيدة الطاهرة أم المؤمنين خديجة، رضي الله عنها، فتمنت لو أنها كانت معها في تلك الليلة الفريدة من العمر، و أراد النبي صلى الله عليه وآله و آله أن يطيب خاطرها، فأقسم لها أنه لم يأل جهداً ليختار لها أصح الأزواج، و ما اختار لها إلا خير فتيان بني هاشم، وأضاف «و الذي نفسي بيده بقدر زوجتك فتى سعيداً في الدنيا، و إنه في الآخرة لمن الصالحين» و في رواية للحاكم في المستدرک: فقد أنكحتك أحب أهل بيتي إلي، و في رواية ثالثة «لقد زوجتك سيداً في الدنيا و الآخرة، و إنه لأول أصحابي إسلاماً، وأكثرهم علماً، و أعظمهم حليماً» و عن ابن عباس قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله و آله إذ أقبلت فاطمة و هي تبكي، فقال صلى الله عليه وآله و آله ما

بيكيك يا فاطمة، قالت: يا رسول الله، عبرتني نساء قريش أنفأ، زعمن أنك زوجتني رجلاً معدماً، لا مال له، قال صلى الله عليه و آله «لا تبكي يا فاطمة، فوالله ما زوجتك حتى زوجك الله تعالى من فوق عرشه، وأشهد علي ذلك جبريل وميكائيل»، و عن بلال بن حمامة قال: «طلع علينا النبي صلى الله عليه و آله ذات يوم ووجهه مشرق كدارة القمر، فقال عبد الرحمن ابن عوف فقال يا رسول الله: ما هذا نور، فقال صلى الله عليه و آله بشارة أنتني من ربي في أخي و ابن عمي و ابنتي، فإن الله زوج علياً من فاطمة، و أمر رضوان خازن الجنان، فزه شجرة طوبى فجملت رقاعاً، يعني صحكاً، بعد محبى أهل بيتي، و أنشأ تحتها ملائكة من نور، و دفع إلى كل ملك صكاً، فإذا استوت القيامة بأهلها، نادى الملائكة في الخلائق، فلا تلقى محباً لنا أهل البيت، إلا دفعت له صكاً فيه فكاكه من النار، فأخي و ابن عمي و ابنتي بهم فكاك رقاب رجال و نساء من أمتي من النار.»

و لعل سائلاً يتساءل: ما في هذا الزواج من الزهراء ابنة رسول الله صلى الله عليه و آله يختص به الإمام وحده، دون صحابة رسول الله صلى الله عليه و آله، و دون غيره ممن تزوجوا من بنات النبي صلى الله عليه و آله؟  
من البدهي أن الصهر لرسول الله صلى الله عليه و آله شرف عظيم، و قد تزوج عثمان ابن عفان رضي الله عنه بابنتي رسول الله صلى الله عليه و آله (رقية و أم كلثوم) فاكنتسب بذلك لقب «ذي النورين»، كما تزوج أبو العاص بن الربيع من زينب بنت النبي صلى الله عليه و آله غير أن الزواج من الزهراء أمر آخر، ذلك لأن الزهراء قد اختصت من بين أخواتها بهذه الدرجة التي رفعها الله إليها، فوصفها رسول الله بأنها «سيدة نساء المؤمنين»، و بأنها «سيدة نساء العالمين»، هذا فضلاً عن أن فاطمة وحدها من دون بنات النبي و أبائته، هي التي كان منها سبطا رسول الله صلى الله عليه و آله الحسن و الحسين، و هما إنا علي، و هكذا يصبح النبي صلى الله عليه و آله لا يرى له ولداً غير ولد فاطمة

و علي، و لا نسلاً متصلاً إلا من كان من فاطمة و علي، فإذا ما تذكرنا كذلك، أنه ما من أمر كان يعني النبي صلى الله عليه و آله في شخصه، و في خاصة نفسه، إلا و كان الإمام علي هو الذي يندب للقيام بهذا الأمر، و ليحل محل الرسول صلى الله عليه و آله فيه، و ليأخذ مكانه الذي تركه وراء، فمببت علي في برد النبي صلى الله عليه و آله و علي فراشه ليلة الهجرة، و قراءته ما نزل من سورة براءة على أهل الموسم من المسلمين و المشركين، و خلافته للرسول على آل البيت من غزوه توك، أفلا يسوغ لنا ذلك كله، كما يفوق الأستاذ الخطيب، أن نذكر معه، خلافة علي بن أبي طالب للرسول صلى الله عليه و آله في أن يكون منه نسل النبي، و أن يكون ولد علي و فاطمة، نسلاً مباركاً للنبي و لعلي معاً، صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين، ثم أن النبي صلى الله عليه و آله كان يدعو الحسن و الحسين ابنه فيقول صلى الله عليه و آله في الحسن «أن ابني هذا سيد» و أنه صلى الله عليه و آله كان يقول في الحسين: «حسين مني، و أنا من حسين»، و أخرج الترمذي عن انس بن مالك أن النبي صلى الله عليه و آله كان يقول لفاطمة: ادعي ابني فيشتمهما و يضمهما إليه .»

بقيت الإشارة إلى سن الزهراء وقت الزواج، و في الواقع أن هذا متوقف علي معرفة تاريخ ميلادها، و هو أمر قد اختلف فيه المؤرخون، بين أن يكون قبيل البعثة أو بعديها، و من ثم فهناك من رأى أن الزهراء قد تزوجت، و هي في الثامنة عشرة من عمرها، بينما ذهب آخرون إلى أنها كانت في الخامسة عشرة و خمسة أشهر أو سنته، بل اننا لو اخذنا بوجهه النظر التي ذهبت الي أنها قد ولدت بعد البعثة بخمس سنين، لكان عمرها يوم زواجها في السنة الثانية من الهجرة، لا يعدو سنوات عشر، علي أن أرحح الآراء أن الزهراء كانت فيما بين الخامس عشرة و الثامن عشر من عمرها يوم زفت إلى الإمام علي .

و من عجب أن يزعم المستشرق اليسوعي الأب هنري لامانس، أن الزهراء لم تتزوج قبل الثامنة عشرة لأنها كانت محرومة من الجمال، و لم تصدق أن أحداً يخطبها بعد تلك السن، و عندما خطبها علي سكتت هنيئة، ثم تكلمت فشكت من أن يخطبها رجل فقير، و في الواقع ما كنا نظن أن ينزلق الأب هنري، و هو رجل دين و علم، إلى هذا المستوى في كراهيته للإسلام و نبى الإسلام و آل بيته الكرام،

و كنا نحب له أن يقرأ النصوص جيداً، و أن يقارن بينها، لا أن يأخذ منها ما يتفق و هو، ثم يفسر هذا الذي أخذه بهواه، مرة أخرى فضميع منه الحقائق بين هواه و هواه، و لو كان السند الذي استند إليه هذا المستشرق، كما يقول الأستاذ العقاد، واضحاً لمزماً، لقلنا إنها أمانة العلم، و لا حيلة للعالم في الأمانة العلمية، لكن السند كله قائم علي أن الزهراء قد تزوجت في الثامنة عشرة من عمرها، و تقابله أسانيد أخرى تنقضه، و تتراءى للمستشرق حينما نظر حوله، و لكنه لا يحب أن يراها، لأنه يحب أن يرى ما يعيب، و لا يحب أن يرى ما لا يعيب فيه .

و على أي حال، فإن تقويض رأي لامانس سهل لأسباب كثيرة، منها (أولاً) أن المشهور المتواتر، كما رأينا من قبل، أن السيدة فاطمة الزهراء ولدت لأبوين جميلين، و أن أخواتها تزوجن من ذوي غنى و جاه، كأبي العاص من الربيع و عثمان بن عفان، و ليس من المألوف أن يكون الأيوان و الأخوات موصوفين بالجمال، و أن تحرم منه إحدى البنات و منها (ثانياً) أن السيدة الزهراء، كما هو مشهور، قد بلغت سن الزواج، و الدعوة المحمدية في إبانها، و المسلمون بين مهاجر أو مقيم غير آمن، و الحال قد تبدلت بعد الدعوة المحمدية فأصبحت خطبة المسلمين مقصورة عن المسلمين، و هم قلة منهم المتزوج و منهم من لا طاقه له بالزواج، و منها (ثالثاً) ما أشرنا إليه من أن هناك الكثير من الآراء التي لا تجعل الزهراء تبلغ الثامنة عشرة، يوم بنيت بالإمام، و منها (رابعاً) أننا لا نستطيع أن نستبعد أن النبي صلى الله عليه و آله كان يخص بها ربيبه و ابن عمه علي بن أبي طالب (و هو أرحح الأسباب في رأينا) و ينتظر بها يوم البت في هذا الأمر، و ذلك حين تهدأ الحال، و يستعد ابن عمه للزواج، و لعل مما يعضد هذه الفكرة ما رويناها من قبل، من أن الصديق و الفاروق قد خطبا الزهراء قبل الإمام علي، و أن رد النبي صلى الله عليه و آله عليهما قوله لكل منهما «انتظر بها القضاء» أو قال «إنها صغيرة» .

و منها (خامساً) أن الأب لامانس تجاهل كثيراً من النصوص التي تشير إلى أن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، إنما كانت تتمتع بقسط وافر من الجمال، من ذلك ما رواه انس بن مالك عن أمه: أن فاطمة كانت كأنها القمر ليلة البدر، و منها ما رواه الحاكم في المستدرک بسنده عن انس بن مالك قال: سألت أمي عن صفة فاطمة، رضي الله عنها، فقالت كانت أشد الناس شبهاً برسول الله صلى الله عليه و آله، بيضاء، مشربة بحمرة، لها شعر أسود يتعفر لها، و أن الروايات كلها مجمعة على أن السيدة الزهراء كانت أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه و آله و صفات رسول الله صلى الله عليه و آله موجودة في كتب السيرة، و قد قرأها لامانس، و كلها تشير بوضوح إلى ما كان يتمتع به سيدنا رسول الله صلى الله عليه و آله من جمال الخلق و الخلق، و منها (سادساً) أن السيدات اللواتي لا يكرن إلى الزواج في المجتمع الإسلامي إنما هن من اللواتي يتنعمن بالجمال الرائع، و الحذق البارع، و الذكاء الحاد، و شرف المحتد، و شغف الوالدين بهن و الضن بهن، و كان هذا أمر الزهراء الي حد كبير، هذا إذا افترضنا جلاً أن الزواج في سن الثامنة عشرة، إنما هو سن متأخره لزواج الفتاه، فما بالك إذا لم يكن الأمر كذلك، فضلاً عن أن كثيراً من الروايات تحدد سن الزهراء يوم زواجها بالخامسة عشرة، و روايات أخرى تنزل بها إلي سن أقل من ذلك .

و منها (سابعاً) ما تذهب إليه الدكتور عائشة عبد الرحمن في كتابها «بنات النبي» من أن تأخر زواجها إنما كان عن تهيب لها، فلقد بعث أبوها صلى الله عليه و آله، و هي وحدها التي لم تتزوج، إذ كان عمرها خمس سنوات، و الناس بعد المبعث أحد رجلين، إما كافر بنو محمد صلى الله عليه و آله، و هيها أن يفكر في مصاهرته، و إما مسلم يؤمن بنو محمد صلى الله عليه و آله و يصدق برسالته، و قد عرفنا موقف المسلمين من نبيهم، و الي أي مدى كانوا يجلونه و يعظمونه و يفتدونه بالمهج و الارواح، فقير مستغرب إلا يروا انفسهم كفتا لمصاهرته، و أن يفضوا الطرف عن «أم أبيها، الزهراء»، اجلالاً و تهييباً، و لا يرد علي هذا بان «عثمان بن عفان» رأي في نفسه كفتا لرقبه، فلقد قل في اصحاب الرسول صلى الله عليه و آله - بل في قريش بعامة- مثل عثمان ثراء و شرفاً وجهاً، و هو بعد قد طعم من الزواج من بنت النبي صلى الله عليه و آله بعد أن طلقها ابن أبي لهب كيداً و حقداً، و ليس الأمر كذلك مع الزهراء، و نحن- حتى يومنا هذا- نرى بنات الأسر الكريمة يتأخرن زواجهن في انتظار الأكفاء، و هم عادة القلة، إذ القاعده المضطردة هي أنه كلما تميزت الفتاه لعلمها أو ثرائها أو عزتها، قل أكفاؤها .

و مع ذلك، فلم يكن «علي» أول من طمخ في الزواج من «فاطمة»، بعد تهيب و تردد. فقد تسامى إلي ذلك الشرف قبله، صاحباً رسول الله صلى الله عليه و آله أبوبكر و عمر، علي ما روى البلاذري في «أنساب الأشراف» فردهما أبوها رداً كريماً .

## بيت الزهراء

كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحب الزهراء و يحنو عليها حنواً كبيراً، و ما يكاد يطيق فراقها فلما زفت إلى الإمام علي، و تحولت إلى بيته، لم تفض سوى أيام معدودة، فكلم حارثة بن النعمان أن يتحول عني، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آله قد تحول حارثة ابن النعمان عنا حتى استحيت منه، فبلغ ذلك حارثة، و جاء النبي فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تحول فاطمة إليك، و هذا منازلي، و هي أسبق بيوت بني النجار إليك، و إنما أنا و مالي لله و لرسوله، و الله يا رسول الله، لئلك الذي تأخذ مني أحب إلي من المال الذي تدع، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آله: صدقت، بارك الله عليك، فحولها رسول الله إلي بيت حارثة، و هكذا اتخذ النبي صلى الله عليه وآله للزهراء و الإمام بيتاً وسط بيوته، و كانا يسكنانه كل إمام علي و فاطمة، ثم كل إمام الإمام علي في المدينة، ثم سكنه من بعده أولاده و أحفاده إلى أيام عبدالملك بن مروان، فاغتاظ من وجوده و أراد هدمه بحجة توسع المسجد، و كان يسكنه الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، فطلبوا منه أن يخرج فرفض و قال: لا أخرج و لا أمكن من هدمه، فحضر بالسياط، و أخرج قهراً، و هدم الدار، و زيد في المسجد .

هذا و يذهب السموهوي في «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى» إلى أن بيت فاطمة، رضي الله عنها إنما هو في الزور الذي في القبر، بينه و بين بيت النبي صلى الله عليه وآله و آله و خوخه، و كانت فيه كوه الي بيت عائشة رضي الله عنها فكان رسول الله صلى الله عليه وآله و آله إذا قام اطلع من الكوه الي فاطمة، فعلم خبرهم، و أن فاطمة، رضي الله عنها، قالت لعلي يوماً: إن ابني أمسيا عليين، فلو نظرت لنا إذا نستصبح به، فخرج علي إلى السوق فاشترى لهم إدماً، وجاء به إلى فاطمة فاستصحت به فأبصرت عائشة

المصباح عندهم في جوف الليل و ذكر كلاً ما وقع بينهما، فلما أصبحوا سألت فاطمة النبي صلى الله عليه وآله و آله أن يسد الكوة، فسدها، هنا و قد روى السموهوي أن بيت فاطمة على زمانه (844- 911 هـ) كان حوله مقصورة، و فيه محراب خلف حجرة النبي صلى الله عليه وآله .

و علي أية حال فالثابت المؤكد أن بيت الزهراء و الإمام علي إنما كان أوسط بيوت النبي صلى الله عليه وآله و آله، روى البخاري في صحيحه عن سعد بن عبيدة قال: جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن عثمان فذكر عن محاسن عمله، قال: لعل ذلك بسوءك قال نعم، قال فارغم الله بأنفك، ثم سألته عن علي فذكر محاسن عمله قال: هو ذلك بيته أوسط بيوت صلى الله عليه وآله و آله ثم قال: لعل ذلك بسوءك، قال اجل، قال: فارغم الله بأنفك، أطلق فاجهد علي جهداً .»

و لعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن النبي صلى الله عليه وآله و آله قد أمر بسد الأبواب الشارعة في المسجد، إلا باب علي و فاطمة، روى النسائي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله و آله أمر بابواب المسجد فسدت إلا باب علي، رضي الله عنه، و في رواية «و سد أبواب المسجد غير باب علي، رضي الله عنه، فكان يدخل المسجد، و هو جنب، و هو طريق غيره»، و روى ابن عساکر عن أم سلمة قالت: خرج النبي صلى الله عليه وآله و آله في مرضه حتى انتهى إلى صرحه المسجد فنادى بأعلى صوته: إنه لا يحل المسجد لجنب ولا لعائض، إلا لمحمد و أزواجه، و علي و فاطمة بنت محمد محمد، ألا هل بيت لكم الأسماء أن تزلوا، و أخرج الترمذي و البيهقي و البزار عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله و آله لعلني لا يحل لجنب و لا لعائض، إلا للنبي و أزواجه، و فاطمة بنت محمد و علي، ألا بينت لكم أن تزلوا، و أخرج أبويعلي عن عمر بن الخطاب قال: لقد أعطني علي ثلاث خصال، لأن تكون لي خصلة منها أحب إلي من أن أعطي جمر النعم، تزويجه فاطمة، و سكناه المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وآله و آله، لا يحل لي فيه ما يحل له، و الراية يوم خيبر. و أخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن أبي حازم

الأشجعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله و آله أن الله أمر موسى أن يبني مسجداً طاهراً لا يسكنه إلا هو و هارون، و أن الله أمرني أن أبني مسجداً طاهراً لا يسكنه إلا أنا، و علي، و ابنا علي، و روى النسائي عن إبراهيم بعد سعد بن أبي وقاص عن ابنة قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وآله و آله و عنده قوم جلوس، فدخل علي كرم الله وجهه، فلما دخل خرجوا، فلما خرجوا تلاوموا فقالوا: والله ما أخرجنا إذ أدخله، فرجعوا فدخلوا، فقال: والله ما أنا أدخلته و اخرجتكم، بل الله أدخله و أخرجكم» (و ذكره الهيثمي في مجمعهم، و قال: رواه البزار و رجاله ثقات .)

هذا و روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله و آله قرأ (في بيوت أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه يسبح فيها بالغدو و الآصال) فقال إليه رجل و قال: أي بيوت هذه يا رسول الله، فقال: بيوت الأنبياء، فقال إليه أبو بكر، و قال: يا رسول الله هذا البيت منها و أشار إلى بيت علي و فاطمة، فقال الرسول: نعم من أفضلها .»

## حياة الزهراء الزوجية

عاشت الزهراء في كنف النبي صلى الله عليه وآله و آله و تحت رعايته، يختصها هي و زوجها و ولدها بمحبتته، و بصطفيةهم بمودته، و كان من عاداته صلى الله عليه وآله و آله أن يبني عندهم حيناً بعد حين، و يتولي خدمه الأطفال بنفسه، و أبواهم قاعدان، و في إحدى هذا الليالي سمع الحسن يستسقي، فقال صلى الله عليه وآله و آله إلى قربه فجعل يعصرها في القدر ثم جعل يعميه، فتناول الحسن فمئعه وبدأ بالحسن، فقالت فاطمة كأنه أحب إليك، قال إنما استسقي أولاً، و كان أحياناً يلفهم جميعاً في برد واحد، و يقول لهم «أنا و أنتم يوم القيامة في مكان واحد»، و كان رسول الله صلى الله عليه وآله و آله إذا سافر كان آخر الناس عهداً به فاطمة، و إذا قدم من سفر كان أول الناس عهداً به فاطمة، رضي الله تعالى عنها، روى الحاكم في المستدرک بسنده عن أبي ثعلبة الخشبي قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله و آله، إذا رجع من سفر أو غزاة أتى المسجد فصلى فيه ركعتين ثم ثنى بفاطمة، ثم يأتي أزواجه .»

و في ظل الرسول صلى الله عليه وآله و آله انتظمت حياة الإمام و الزهراء عيشه كفاف، و خدمة يتعاون عليها رب البيت و ربه فقد كان رزق الإمام من وظيفة الجندي و عطائه من فيء الجهاد، لكنه، رغم ذلك، لم يكن بقادر على أن يستاجر للزهراء خادماً تعينها أو تقوم عنها بالعمل الشاق، فكان الإمام هو الذي يعينها، روى أن النبي صلى الله عليه وآله و آله دخل عليها البيت كعادته فوجد علياً و فاطمة يطحنان، فقال أيكما أعيا (تعب) فقال علي: فاطمة يا رسول الله، فقال لها: قومي يا بنية، فقامت، و جلس يطحن مع علي، و هكذا كانا يعيشان عيشة الكفاف، و كثيراً ما كان يجن الليل فيرفدان على فراشهما الخشن، و يحاولان النوم فلا يجدان إليه سبيلاً، لفرط ما يشعران به من البرد، و يقبل عليهما النبي صلى الله عليه وآله و آله و قد انكمشا في غطاءهما مقررين، إذا غطيا رأسيهما بدت أقدامهما، و إذا غطيا أقدامهما انكشفت رأسيهما، روى المتقي الهندي في كنز العمال عن جابر، أن رسول الله صلى الله عليه وآله و آله رأى على فاطمة سلام الله عليها كساء من أوبار الأبل، و هي تطحن، فبكى و قال: يا فاطمة اصبري على مرارة الدنيا لتعيم الآخرة غداً، و نزلت «و لسوف يعطيك ربك فترضي». (قال: أخرجه ابن لال و ابن مردويه و ابن النجار و الدلمي، و ذكره السيوطي في الدر المنثور، و قال: أخرجه العسكري في المواعظ) و كان رسول الله صلى الله عليه وآله و آله ينصحهما بقوله «كلمات علميهن جبريل، تسبحان الله في دبر كل صلاة عشرراً، و تحمدان عشرراً، و تكبران عشرراً، و إذا أويتما إلى فراشكما تسبحان ثلاثاً و ثلاثين، و تحمدان ثلاثاً و ثلاثين، و تكبران ثلاثاً و ثلاثين»، و يقول الإمام علي «و الله ما تركتهن منذ علمنيهن .»

و روى الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن الحكم، سمعت ابن أبي ليلى قال: حدثنا علي أن فاطمة عليها السلام شكت ما تلقى من أثر الرجا، فأتى النبي صلى الله عليه وآله و آله سبى، فانطلقت فلم تجده، فوجدت عائشة فاخبرتها، فلما جاء النبي صلى الله عليه وآله و آله أخبرته عائشة بمجيء فاطمة، فجاء النبي صلى الله عليه وآله و آله إليها، و قد أخذنا مضاجعنا، فذهبت لاقوم، فقال: علي مكانكما، ففقد بيننا، حتى وجدت برد قدميه علي صدري، و قال: ألا أعلمكما خيراً مما سألتما، إذا أخذتما مضاجعكما، تكبرا أربعاً و ثلاثين، و تسبحان ثلاثاً و ثلاثين، و تحمدان ثلاثاً و ثلاثين فهو خير لكما من خادم .»

و روى أبو داود بسنده عن أبي الورد بن ثمامة، قال على عليه السلام لابن

أعيد: إلا أحدثك عني وعن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت أحب أهله إليه، وكانت عندي، فحجرت بالرحى حتى أثرت بيدها، واستقت بالقربه حتى أثرت في نحرها، وقيمت البيت حتى أغبرت ثيابها، وأوقدت القدر حتى دكنت ثيابها، وأصابها من ذلك ضرر، فسمعنا أن رقيقاً أتى بهم النبي صلى الله عليه وآله فقلت: لو أتيت أبك فسلتنيه خادماً بكيفك فانتبه فوجدت حدائثاً فاستحيت فرجعت، فعدا علينا ونحن في لفاعنا (الملحفة أو الكساء) فجلس عند رأسها، فأدخلت رأسها في اللعاع حياء من أبيها، فقال: ما كان حاجتك أمس إلى آل محمد، فسكت مرتين، فقلت: أنا والله أحدثك يا رسول الله، أن هذه جرت عندي بالرحى حتى أثرت في يدها، واستقت بالقربه حتى أثرت في نحرها، وكسحت البيت حتى أغبرت ثيابها، وبلغنا أنه أنك رقيق أو خدم فقلت لها: سيئه خادماً، قال أبو داود: فذكر معنى حديث حكم، ويعني بحديث حكم ما تقدم أنفاً عن البخاري ومسلم من قوله صلى الله عليه وآله: إلا اعلمكما خيراً مما سألتماني- إلى آخره (و رواه أيضاً أبو نعيم في حلية الأولياء .)

على أن البيت سرعان ما سعد بالذرية الصالحة، فلقد رزق الأيونان نصيباً طيباً طاهراً من البنين والبنات، الحسن والحسين ومحمد وزينب وأم كلثوم، وقد دعا النبي لكل منهما عند مولده «اللهم إني أعيد بك وذريته من الشيطان الرجيم»، وعق عن كل منهما بكبش، وأمر بخلق شعره والتصدق بوزنه فضة، ثم ختنهما لسبعة أيام من المولد، وقد عاشوا جميعاً، من عدا محسن فقد مات صغيراً .

وبدهي أن حياة هذه الأسرة الطاهرة المطهرة لم تخل من ساعات خلاف، وما خلت حياة آدمي قط من ساعات خلاف، وساعات شكاية، وكان الأب الأكبر يتولى صلحهما، وربما ترك صلى الله عليه وآله عليه وآله مجلسه بين أصحابه ليدخل إلى الزوجين المتخاصمين فيرفع ما بينهما من حياء، والصحابة الذين يتبعون في وجه النبي كل خلجة من خوالج نفسه، ويتحون لأنفسهم أن يسألوه، لأنه لا يملك من ضميره من يرض به على المتعلم والمتبصر، يجرون معه على عاداتهم كلما دخل البيت مهموماً، وخرج منه منطلق الأسارى، فيسألونه فيجيب، ولم لا، وقد أصلحت بين أحب الناس إلي، يروي أنه صلى الله عليه وآله رؤي ذات مساء وهو يسعى إلى دار فاطمة بأدي الهم والقلق، فأمدى وقتاً هناك، ثم خرج ووجهه الكريم يفيض بشراً، فقال قائل من الصحابة: يا رسول الله دخلت وأنت على حال، وخرجت ونحن نرى البشر في وجهك، فأجاب صلى الله عليه وآله «و لم لا، وقد أصلحت بين أحب الناس إلي»، وأخرج ابن سعد في الطبقات عن حبيب بن أبي ثابت قال: كان بين علي وفاطمة كلام، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله فالتقى إليه مثلاً فاضطجع عليه، فجاءت فاطمة فاضطجعت من جانب، وجاء علي فاضطجع من جانب، فأخذ رسول الله بيد علي فوضعهما على سرتيه، وأخذ بيد فاطمة فوضعهما على سرتيه، ولم يزل حتى أصلح بينهما، ثم خرج، قال، فقيل له: «دخلت وأنت على حال، وخرجت ونحن نرى البشر في وجهك، فقال: وما يمعني، وقد أصلحت بين أحب اثنين إلي»، وأخرج ابن سعد في الطبقات عن عمرو ابن سعيد، قال: قال في علي شدة علي فاطمة، فقالت: والله لا شكونك إلى رسول الله، فانطلقت وانطلق علي بأثرها، فقال حيث يسمع كلامها، فشكت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله غلظ علي وشدته عليها، فقال: يا بني اسمعي واستمعي واعقلي، إنه لا امرأة بامرأة لا تأتي هوى زوجها، وهو ساكت، فقال علي: فكففت عما كنت أصنع وقلت والله لا أتى شيئاً تكرهينه أبداً .»

على أن هناك ساعات خلاف كانت جد شديدة، وشكايات، لا شك أنها إنما كانت أكثر من شكاية بالنسبة للمرأة حتى وإن كانت بنت المصطفى صلى الله عليه وآله، ومن ثم فقد بلغ العتاب بين الزوجين ما يبلغه من خصومة بين زوجين وذلك حين نما إلى الزهراء أن الإمام بهم بخطبة «جويرية بنت عمرو هشام بن المغيرة، المعروف بابي جهل، وفي حسين الإمام علي أنه يجري على مألوف عادة قومه في الجمع بين زوجتين وأكثر، ويفعل ما أباحه له الإسلام من تعدد الزوجات، بدون أن يخطر بباله أن هذا ما تنكره بنت نبي الإسلام، وربما كانت هذه الخطبة غصبة من غضبات الإمام، على أنفه من أنفات الزهراء، أو لعلها نازعة بين نوازع النفس البشرية لم يكن في الدين ما يابها، وإن أباه العرف في حالة المودة والصفاء، ومن ناحية أخرى، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله يعلم حق علي في الزواج، ولكن الرسول في أوتوه الرحيمه يؤديه أن تزوج أحب بناته بضره، ويشفق عليها من تجربة قاسية

كهنه يعلم أنها لا قيل لها باحتمالها ثم إن علياً أراد أن يتزوج بنت أبي جهل، فهل يرضى الله أن يجمع بيت الإمام علي بين بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وبين بنت عدو الله ورسوله، وكتب السيرة مليئة بمواقفه المخزية ضد الإسلام ورسول الإسلام، ولعل هذا هو السبب الذي من أجله ناز رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله لأنه من غير المعقول أن تكون ابنة هذا الرجل بالذات، ضرة للزهراء بنت نبي الله ورسوله، ولم يكن من المعقول، بل من المستحيل على وجه اليقين، أن يستبدل رسول الله صلى الله عليه وآله وأهله بأبجهم بن هشام صهره، وليس علي بالذات هو الذي يؤدي نبيه وأباه وابن عمه في أحب بناته إليه . هذا ويروي عتن يحيى بن سعيد القطان قال: ذكرت عبد الله بن داود الحرثي قول النبي صلى الله عليه وآله «لا أذن إلا أن تحب علي بن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم، قال ابن داود: حرم الله علي أن ينكح علي فاطمة في حياتها لقوله تعالى: (وما أتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا)، فلما قال النبي: لا أذن، لم يكن يحل لعلي أن ينكح علي فاطمة، إلا أن يأذن رسول الله، قال وسمعت عمر بن داود يقول: لما قال الرسول فاطمة بضعة مني بريئتي ما رايها، ويؤذيني ما أذاها، حرم الله علي أن ينكح علي فاطمة، إذ أنه بنكاحه عليها يؤذي الرسول، والله تعالى يقول: (لما كان لكم أن تؤذوا رسول الله)، و أضاف الشيخ دجلان في السيرة وألحق بعضهم أخواتها بها، وإن رأى احتمال اختصاص الزهراء بذلك، وهذا ما نرجحه ونميل إلى الأخذ به، والله أعلم .

وأما قصة تلك الخطبة، فقد روى ابن إسحاق في السيرة، أن علي بن أبي طالب خطب ابنة أبي جهل من عمها الحارث، واستأمر النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله فقال له: «عن أي شأنها تسألني، عن حسبها، قال: لا، ولكن تأمرني بها، فقال صلى الله عليه وآله عليه وآله فاطمة بضعة مني، ولا أحب أن تجزع، فقال علي: لا أتى شيئاً تكرهه»، وأخرج الإمام أحمد عن الشعبي قال: «خطب علي، عليه السلام، بنت أبي جهل إلى عمها الحارث بن هشام، فاستنشر النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله فيها، فقال: أعن حسبها تسألني، قال علي: قد أعلم ما حسبها، ولكن تأمرني بها، فقال: لا، فاطمة مضعة مني، ولا أحب أن تجزع أو تجزع، فقال علي، عليه السلام، لا أتى شيئاً تكرهه»، وروي البخاري في صحيحه عن المسور بن مخرمة قال: إن علياً خطب بنت أبي جهل، فسمعت بذلك فاطمة فأتت رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح علي بنت أبي جهل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله فسمعت حين تشهد يقول «أما بعد، أنكجت أبا العاص بن الربيع فحدثني وصدقني، وأن فاطمة بضعة مني، وإني أكره أن يسوءها والله لا تجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله وبنت عدو الله عند رجل واحد، فترك علي الخطبة» وفي رواية للشيخين عن المسور أيضاً: فإن ابنتي بضعة مني بريئتي ما رايها، ويؤذيني ما أذاها»، وفي رواية جاء في منهاج السنة لابن تيمية، والمنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي: أنه صلى الله عليه وآله عليه وآله قال: أن، بنى هشام بن المغيرة استأذوني أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، وأني لا أذن ثم لا أذن، ثم لا أذن، إنما فاطمة بضعة مني بريئتي ما رايها، ويؤذيني ما أذاها، إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي، وينكح ابنتهم»، وفي روايه «أني أخاف أن تفتن في دينها... وأني لست أحل حراماً، ولا أحرم حلالاً، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد أبداً .»

وروي مسلم في صحيحه بسنده عن محمد بن عمرو بن حلحلة الدؤلي أن ابن شهاب حدثه أن علي بن الحسين حدثه: أنهم حين قدموا المدينة من عند يزيد بن معاوية مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما، لقيه المسور بن مخرمة فقال له هل لك إلى من حازه تأمرني بها، قال فقلت له لا، قال له هل أنت معطي سيف رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله، فأني أخاف أن يغلبك القوم عليه، وإيم الله لئن أعطيتني لا يخلص اليه أبداً حتى تبلغ نفسي، أن علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل علي فاطمة، فسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله وهو يخطب الناس في ذلك علي منبره هذا، وأنا يومئذ محتلم، فقال: إن فاطمة منى وأني أخوف أن تفتن في دينها، قال ثم ذكر صهره له ابن بني عبد شمس، فأثنى عليه في مصاهرته إياه فاحسن قال حدثني فصدقني، وعدني فأوفي لي، وأني لست أحرم حلالاً، ولا أحل حراماً، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله، وبنت عدو الله، مكاناً واحداً أبداً» وقال النووي

في شرح صحيح مسلم، قال العلماء: في هذا الحديث تحريم إيذاء النبي صلى الله عليه وآله بكل حال، وعلى كل وجه، وإن تولد الإيذاء مما كان أصله مباحاً، وهو حي، وهذا بخلاف غيره، قالوا: وقد أعلم صلى الله عليه وآله بإباحة نكاح بنت أبي جهل لعلي، بقوله صلى الله عليه وآله: لست أحرم حلالاً، ولكن نهى عن الجمع بينهما لعلتين منصوصتين إحداهما أن ذلك يؤدي إلى أذى فاطمة، فيتأذى حينئذ النبي صلى الله عليه وآله فيهلك من أذاه، فنهى عن ذلك لكامل شفقتة على علي، وعلى فاطمة، والثانية خوف الفتنه عليها بسبب الغيرة، وقيل ليس المراد به النهي عن جمعهما، بل معناه أعلم من فضل الله أنهما لا يجتمعان، كما قال أنس: والله لا تكسر ثنية الربيع، ويحتمل أن المراد تحريم جمعهما، ويكون معنى: لا أحرم حلالاً، أي لا أقول شيئاً يخالف حكم الله، فإذا أحل شيئاً لم أحرمه وإذا حرمه لم أحلله ولم أسكت عن تحريمه، لأن سكوتي تحليل له، ويكون من جملة محرمات النكاح، الجمع بين بنت نبي الله وبنت عدو الله .

على أن هناك وجهاً آخر للنظر، ينكر قصة الخطبة من أساس، ويرى أنها رواية لم يعرفها المؤرخون، وأن الإمام علي بالذات لا يمكن أن يقف من النبي صلى الله عليه وآله ومن بضعة الزهراء، وهذا الموقف، و بروى الأستاذ أبوعلم، نقلاً عن الأستاذ محمد صادق الصدر، أن ما نقله المسور عن الرسول صلى الله عليه وآله لا يمكن تصوره، والزهراء على قيد الحياة، ثم إن سيرة المسور، كما في الاستيعاب والإصابة، تشير إلى أنه لم يكن من أصحاب الإمام، وأن الخوارج كانت تغشاه، وأنه كان من أنصار الزبير .

غير أن قصة الخطبة إنما جاءت في أكثر من كتاب من كتب الحديث، وأخرجها أكثر من واحد، كما أنها رويت من غير المسور بن محرمة، كما في رواية للإمام أحمد عن عبد الله بن الزبير، وعلى أية حال، فلقد حدثت، في أغلب الظن، في مستهل حياة الإمام والزهراء الزوجية، حيث لم تكن الزهراء قد ألفت بعد شدة الإمام وصرامته، ولم يروض هو نفسه باحتمال ما كانت تبرز حزن لفقد أمها، وشجو لفراق بيتها الأول، ومن ثم ربما كانت الحادثه في العام الثاني من الهجرة، وقيل أن يأتيها العام الثالث بأولى الثمرات المباركة للزوج، وأعني بعد، الإمام الحسن، رضي الله عنه .

وعلى أية حال، فلقد انقضت السحابة التي ظلت أفق الزهراء حيناً من الدهر، لا نستطيع تحديده على وجه أبين، وعاد البيت أصفي جواً مما كان قبل أن يمتحن بتلك التجربة القاسية، ومضت الحياة تسير بالزوجين الكريمين على ما يرجوان من تعاون ومودة .

## الزهراء و وفاة النبي

لقد أحببت الزهراء أباه النبي حباً جماً، فقد كان بالنسبة لها النبع المتدفق بالحنان، كان لها طوال حياتها الأب الجنون، ثم كان لها بعد وفاه أمها، الأب الشفوق والأم الرؤوم ثم كان لها بعد البعثة أباً و نبياً، والدّاً ورسولاً، فكانت تحبه حب البنت البارة بأبيها، و حب المسلمة الصادقة لنبينا، فهو الأب، وهو النبي، ومن ثم فقد بكنه، حين انتقل إلى الرفيق الأعلى، بقدر تحبه لها، وحزنت عليه بقدر تعلقها به، وزرفت عليه من الدموع الحارة على قدر ما كان يهديها من حب أبي صادق وحنان ملائكي رحيم، حتى أن الزهراء، عليها السلام، لم تضحك قط بعد وفاه أبيها النبي صلى الله عليه وآله، وروي عن الباقر أنه قال: «ما رؤيت فاطمة ضاحكة قط، منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله حتى قبضت»، وفي الواقع لولا أن الأب النبي صلى الله عليه وآله وأله أخبرها بموته، وهو حي، لقمضت نحبها حزناً عليه، ولصدمتها الفاجعة المروعة، الكارثة الموحجة، والخطب الأليم، فقد كانت الزهراء تنظن، وكان أباه لا يموت، ولا يموت وهي على قيد الحياة، وكان الرسول صلى الله عليه وآله وأله يدرك مكانته عندها، ويعلم منزلته في قلبها، ويحس مبلغ ما سوف تقاسيه عند فقده، ومن ثم فقد أخبرها بموته وهو حي، وعزاها عن فراقه وهو موجود، وبشرها بلقائه القريب في رحاب الله، و روى البخاري عن عائشة قالت: دعا النبي صلى الله عليه وآله وأله فاطمة ابنته في شكواه الذي قبض فيه، فسارها بشيء فيك، ثم دعاها فسارها فضحكت، قالت فسألته عن ذلك، فقالت: «سارني النبي صلى الله عليه وآله وأله فأخبرني أنه يقبض في وجهه الذي توفي فيه فيكيت، ثم سارني فأخبرني أنني أول أهل بيته أتبعه فضحكت» «أخرج مثله مسلم و أحمد و ابن سعد و ابن ماجه و ابن راهويه .)

و أخذت الزهراء تهديء من روعها، وتمسح دموعها، حتى لا يراها والدها النبي صلى الله عليه وآله وأله فيحزنه جزعها، ولكن أتت لها ذلك، وهي أمام هول عظيم، فهذا أبوها وحببها رسول الله صلى الله عليه وآله وأله قد تغل عليه مرضه، وفتحت له أبواب السماء، وأقبلت عليه ملائكة الله عزوجل بروح من الله ورضوانه، تبشره بلقاء ربه عزوجل، وما أعدله من الوسيلة والدرجة العظيمة والمقام المحمود، وما يلقاه في الخلد من نعيم مقيم، فلم يلبث أن صعدت روحه الكريمة الطاهرة المطهرة الراضية المرضية إلى ملئها الأعلى، وإلى جوار رب العالمين، فيكث الزهراء، عليها السلام، ونعشاهما الأسي والاكنتاب، ولذعها الجوى، وتولتها غصة و فجيعة، أخرج البخاري عن انس قال: لما ثقل النبي صلى الله عليه وآله وأله جعل يتغشاه، فقالت فاطمة، عليها السلام، و اكره أباه، فقال لها: ليس على أبيك كرب بعد اليوم فلما مات قالت: يا ابتاه، أجاب رب دعاه، يا ابتاه، من جنة الفردوس مأوره، يا ابتاه، إلى جبريل نغاه، فلما دفن قالت فاطمة، عليها السلام، يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثو على رسول الله صلى الله عليه وآله وأله التراب، و أخرج الإمام أحمد عن أنس قال: لما قالت فاطمة ذلك، يعني، لما وجد رسول الله صلى الله عليه وآله وأله في كرب الموت ما وجد، قالت فاطمة: قال ربه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وأله: «يا بنيه أنه قد حضر بأبيك وليس الله تبارك منه أحد الموافاة يوم القيامة»، و روى أن الزهراء أخذت قبضة من تراب القبر الشريف فجعلتها على عينها ووجهها ثم أنشأت تقول :

• ماذا على من شم ته احمد صبت على مصالب لو أنها صبت على الأيام عدن لياليا

• ألا يشم مدى الزمان غواليا صبت على الأيام عدن لياليا صبت على الأيام عدن لياليا

و قالت على قبره الشريف

• إنا فقدناك فقد الأرض وأبلها فليت قبلك كان الموت صادقا لما نعتت وحالت دونك الكتب

• وغاب مذ غبت عنا الوحي والكتب لما نعتت وحالت دونك الكتب لما نعتت وحالت دونك الكتب

• وروى ابن حجر في فتح الباري عن الطبراني أنه روى عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وأله قال لفاطمة: أن جبريل أخبرني أنه ليس امرأة من نساء المسلمين أعظم رزية منك، فلا تكوني أدنى امرأة منهن صبراً .

و روي أنه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وأله امتنع بلال عن الأذان و قال: لا أؤذن لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وأله و أن فاطمة، رضي الله عنها، قالت ذات يوم: اشتهدى أن اسمع صوت مؤذن أبي بالأذان، فبلغ ذلك بلالاً رضي الله عنه فأخذ يؤذن، فلما قال: الله أكبر الله أكبر، ذكرت أباه وأيامه، فلم تتمالك نفسها من البكاء، فلما بلغ قوله «و أشهد أن محمداً رسول الله» شهقت فاطمة رضي الله عنها، وسقطت لوجهها، وغشي عليها، فقيل لبلال: أمسك، قد فارقت ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وأله الحياة الدنيا، ووطنوا أنها قد ماتت، فلم يتم الأذان فأفاقت، فسألته إتمامه، فلم يفعل و قال لها يا سيدة النساء: إني أخشى عليها، مما تنزليه بنفسك إذا سمعت صوتي بالأذان، فأعفته من ذلك»، وعن الإمام علي قال: «غسلت النبي صلى الله عليه وآله وأله في قميصه فكانت فاطمة رضي الله عنهم تقول: أرني القميص، فإذا شمته غشي عليها، فلما رأيت ذلك منها غيبتة .» هذا وقد اعتادت الزهراء، رضي الله عنها، أن تزور الروضة الشريفة، كما اعتادت أن تزور قبر والدتها لسيدة خديجة رضي الله عنها، في مكة، و روي عن الباقر، رضي الله عنه، أنه قال: إن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وأله كانت تزور قبر حمزة، رضي الله عنه، و قد علمته بحجر، و عن زرين قال الإمام أبو جعفر محمد الباقر، مضى الله عنه، إن فاطمة رضي الله عنها كانت تزور قبول الشهداء بين اليومين، الثلاثة، فتصلي هناك وتدعو وتبكي، و روى الحاكم في المستدرک عن علي رضي الله عنه قال: إن فاطمة كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة، فتصلي وتبكي عنده .»

## موقف الزهراء من الخلافة و ميراث الرسول

### الزهراء و الخلافة

من المعروف أن الإمام علي و آل البيت الكرام قد انشغلوا بعد انتقال الرسول صلى الله عليه و آله إلى الرفيق الأعلى، مباشرة، بتجهيزه صلى الله عليه و آله و كان علي، و هو مشغول بالجهاز، تقيض دموعه على وجهه في صمت و هو يتمتم «بأبي أنت و أمي يا رسول الله، طيب حياً و ميتاً، و لولا أنك أمرت بالصبر و نهيت عن الجرع، بأبي أنت و أمي، إن الصبر لجميل، إلا عنك، و إن الجرع لقبيح إلا عليك، أذكرنا عند ربك، و اجعلنا من همك»، و في هذه الأثناء، و قبل أن تشيع جنازة الرسول صلى الله عليه و آله، و هو ما يزال بعد مسجى في فراشه، و قد أغلق أهله دونه الباب، حدث أمر جد و هو ما يزال خطير، فلقد اجتمع الخرج بقيادة سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، و خف إليهم رجال الأوس، ليختاروا من بينهم رجلاً يكون علي رأس المسلمين، باد رسول الله صلى الله عليه و آله، فلقد اعتقد الأنصار أنها أولى بهذا الأمر، بعد أن أوى الإسلام إليهم، و أذن الله لرسوله بالهجرة إليهم، ليتخذ مدينتهم موطناً له، و منطلقاً لرسالته، فأتى الخبر أبابكر، فأسرع و معه عمر، ثم لقياً أبا عبيدة، فانطلقوا جميعاً لرسالته، فأتى الخبر أبابكر، فأسرع و معه عمر، ثم لقياً أبا عبيدة، فانطلقوا جميعاً إلى سقيفة بني ساعدة، و بعد جدال طال و لم يستطع، انتهى المجتمعون إلى اختيار الصديق خليفه للمسلمين .

و كان الإمام علي في تلك الساعات العصيبة بجوار الجثمان الطاهر السمجي في حجرته، و من ثم فلم يحضر هو و بنوهاشم هذا الاجتماع، و لو شهد الإمام علي اجتماع سقيفة هذا، لكان له فيه مقال، و ربما أخذت الأمور في هذا اليوم اتجاهاً آخر، غير اتجاهها الذي سارت فيه، و عندما علمت الزهراء، عليها السلام، بما حدث في اجتماع سقيفة بني ساعدة، و أبوها سيد المرسلين لم يدفن بعد، بكت بكاء جاراً، حتى أنه لما جاءها بعض الصحابة، و فيهم أبوبكر و عمر أبو عبيدة، و معزين، قالت «تركتهم رسول الله صلى الله عليه و آله جنازة بين أيدينا، و قطعتم أمركم بينكم و لم تسيئتمونا»، فيكي أبوبكر حتى علا نسيجه، و بكى من كان في الدار من المهاجرين الذين كانوا يساعدون علياً في تجهيز رسول الله صلى الله عليه و آله، و فيهم سلمان و أبوذر و المقداد و الزبير و عمار، و من ثم فقد خاصمت أبابكر و عمر لأنهما أخذوا البيعة لأبي بكر في وقت انشغال زوجها بتجهيز أبيها المتوفى صلى الله عليه و آله، و من ثم فقد استأخرت يمين الإمام علي عن البيعة للصديق، و تذهب الروايات في تفسير ذلك مذاهب شتى، لسنا الآن بصد مناقشتها، فمجال ذلك أن شاء الله، كتابنا عن «الإمام علي بن أبي طالب، و إن كان هذا لا ينعنا من الإشارة إلى أن الإمام علي إنما كان يعتقد، أنه ما دام الرسول صلى الله عليه و آله لم يعهد بالخلافة إلى أحد بذاته، فإن البيت الذي اختارته السماء ليكون منه النبي المصطفى، هو البيت الذي يختار المسلمون منه خليفهم، ما دام في هذا البيت من يتمتع بالكفاية الكاملة لشغل منصب الخلافة أو كما قال الإمام في حوار مع الصحابة، و على رأسهم أبوبكر و عمر»، إنكم تدفعون آل محمد عن مقامه و مقامهم في الناس، أما والله لنحن أحق منكم بالأمر، ما دام فينا الغارء لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله المصطلع بأمر الرعية، القاسم بينهم بالسوية .»

هذا و قد كانت الزهراء، عليها السلام، ترى أن زوجها الإمام علي، كرم الله وجهه في الجنة، أحق الناس بالخلافة، فهو ربيب النبي صلى الله عليه و آله و بان عمه و زوج ابنته، و أبوسيطيه الحسن و الحسين، و أول الناس إسلاماً، و أطولهم في الجهاد باعاً، و هو فنى قريش شجاعه و علماً و فضلاً، و كان النبي صلى الله عليه و آله يحبه أشد الحب، يؤثره أعظم الإثارة، استخلفه حين هاجر علي ما كان عنده من الودائع حتى ردها

إلى أصحابها، و أمره فنام في مضجعه ليلة إتمرت قريش بقتله، فكان أول من شرى نفسه في سبيل الله، ثم هاجر حتى لحق بالنبي صلى الله عليه و آله في المدينة، فأخى النبي بينه و بين نفسه، ثم شهد مع النبي صلى الله عليه و آله مشاهدته كلها، و كان صاحب رايته في أيام الباس، و قال النبي صلى الله عليه و آله يوم خيبر «لأعطين الراية غدار رجلاً يحب الله و رسوله، و يحبه الله و رسوله»، فتطلع إليها كبار الصحابة، غير أن النبي صلى الله عليه و آله دفعها إلى علي و قال له النبي صلى الله عليه و آله يوم استخلفه على المدينة و على أهله، عندما سار إلى غزوة تبوك «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي»، و أعطاه سورة براءة ليقرأها على أهل الموسم، فلما قيل له لو بعثت بها لأبي بكر، قال «لا يؤد عني إلا رجل من أهل بيتي»، و قال النبي صلى الله عليه و آله للمسلمين و هو في طريقه إلى المدينة بعد حجة الوداع «من كنت مولاه، فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه .»

و هكذا كانت الزهراء، كما كان بنوهاشم جميعاً، و جمهرة من أهل المدينة، يرون أن الإمام علي أحق الناس بخلافة رسول الله صلى الله عليه و آله، و من ثم فقد خرج الإمام يحمل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و آله على دابة ليلاً، في مجالس الأنصار، تسألهم النصرة، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله صلى الله عليه و آله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، و لو أن زوجك و ابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به، فيقول علي، كرم الله وجهه في الجنة، «أكنت أدع رسول الله صلى الله عليه و آله لما أذفنه، و أخرج أنارح الناس سلطانه، فقالت فاطمة: ما صنع أبوالحسن إلا ما كان ينبغي له، و لقد صنعوا ما الله حسيهم عليه»، هذا و قد روى أن أبابكر قام على المنبر يخطب، فما هو إلا أن حمدالله، و أخذ في خطبته، حتى سمع و سمع الحاضرون صوتاً نحيلاً يهتف «ليس هذا منبر أبيك، إنزل عن منبر أبي»، و التفتوا فإذا بالصائح هو الحسن بن علي، و لما يبلغ الثامنة، فابتسم الصديق، و قال، و الحنو يشع في نفسه، «ابن بنت رسول الله، صدقت والله، ما كان لأبي منبر، و إنه لمنبر أبيك»، فلما سمع الإمام بالخبر أرسل إلى أبي بكر يقول له «إغفر ما كان من الغلام فإنه حدث و لم نامره»، فقال أبوبكر «أني أعلم، و ما اتهمت يا أباالحسن .»

و ظلت الزهراء متمسكة برايتها، و ما كانت، رضي الله عنها، لتتزعج عن رأي اقتنعت به، و رأتها صواباً، و كان رأيها الذي لا تحيد عنه أن علياً أحق بالخلافة في غيره، و من هنا ذهب البعض إلى أن الإمام توقف عن البيعة للصديق مجاملة للزهراء، فلما انتقلت إلى جوار ربها، راضية مرضيا عنها، بايع الإمام الصديق، و ذهب آخرون أن تلك البيعة لم تكن الأولى، و إنما كانت تجديداً لها، غير أن ما قاله الإمام للصديق تدل على أنها الأولى، حيث استدعاه في بيته و حوله بنوهاشم ثم قال له «يا أبابكر إنه لم ينعنا أن نبايعك إنكاراً لفضلك، و لا نفاسة عليك لخبر ساقه الله إليك، ولكننا كنا نرى أن لنا في هذا الأمر حقاً أخذتموه»، و هكذا بايع الإمام الصديق، و فاعت نفسه إلى الرضا، خاصة و قد سار أبوبكر في خلافته تلك السيرة الراشدة، و قام في المسلمين هذا المقام المحمود،: متأسياً برسول الله صلى الله عليه و آله متبهاً هديه، مقتفياً أثره، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

### الزهراء و ميراث الرسول

كان ميراث الزهراء في الرسول صلى الله عليه و آله يتضمن ميراثها فيما تركه رسول الله صلى الله عليه و آله ثم فدك التي نحلها إياها رسول الله صلى الله عليه و آله ثم نصيبها في سهم ذوي القربى، أما الميراث فلقد طلبت الزهراء ميراثها من أبيها رسول الله صلى الله عليه و آله، فروى أبوبكر عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة، و أنبي و الله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله صلى الله عليه و آله عن حالها التي كانت عليها»، و أخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: جاءت فاطمة إلى أبي بكر فقالت: من برئك، قال: أهلي و ولدي، قالت: فما لي لا أرث أبي، فقال أبوبكر: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول «لا نورث، ولكني أعول من كان رسول الله صلى الله عليه و آله يعوله، و أنفق على من كان رسول الله صلى الله عليه و آله ينفق عليه .»



و روى البلاذري في فتوح البلدان بسنده عن أم هانئ ء، أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أتت أبابكر، رضي الله عنه، فقالت له: «من يرتك إذا مات، قال: ولدي وأهلي، قالت: فما بالك ورثت رسول الله صلى الله عليه وآله دوننا، فقالت: يا بنت رسول الله، والله ما ورثت أبك ذهباً ولا فضة ولا كذا ولا كذا، فقالت: سهماً بخير، وصدقنا فدك، ويا بنت الرسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنما هي طعمة أطمعنيها الله عزوجل حياتي، فإذا مات فهي بين المسلمين»، و أخرج البخاري عن عائشة، أن فاطمة سألت أبابكر الصديق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله و آلها مما أفاء الله عليه، فقال لها أبوبكر: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا نورث ما تركناه صدقة، فغضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آلها فهاجرت إليه فلم تزل مهاجرة حتى توفيت، و عاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ستة أشهر، قالت: و كانت فاطمة تسأل أبابكر نصيبها مما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آلها من خبير و فدك و صدقته بالمدينة فأبى أبوبكر عليها ذلك و قال: لست تاركاً شيئاً كان رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آلها يعمل به إلا عملت به، فأبى أحشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ، فأما صدقته بالمدينة فدفعتها عمر إلى علي و العباس، و أما فدك و خبير فأمسكها عمر، و قال: هما صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آلها كانت لحقوقه التي تعروه و نوائبه و أمرهما إلى من ولي الأمر، قال: فهما على ذلك إلى اليوم.»

و أما «فدك» فهي أرض يهودية في شمال الحجاز، فلما كانت السنة السابعة من الهجرة، و حدثت غزوة خيبر، قذف الله في قلوب أهل فدك الرعب، فصالحوا رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آلها على النصف منها، و روى أنه صالحهم عليها كلها، و من هنا بدأ تاريخها الإسلامي، فكانت ملكاً لرسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آلها لأنها لم يوجف عليها بخيل و لا ركاب، ثم عرس فيها رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آلها بعض النخيل، ثم وهبها لابنته الزهراء و بقيت عندها حتى توفي الرسول صلى الله عليه وآله عليه و آلها فكانت هي التي تتصرف فيها، و كانت تتصدق بكل خراجها، بعد أن تستبقي ما يسد حاجة الإمام، و رأى أبوبكر أن تكون فدك بيد ولي الأمر، أي بيده هو، يوزع خراجها على الناس، و احتج أبوبكر لرأيه بأنه سمع النبي صلى الله عليه وآله عليه و آلها يقول «إنا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة»، و أفتى الإمام علي بأن الأنبياء يورثون، و استشهد بقوله تعالى «وورث داود سليمان، و قوله تعالى علي لسان زكريا «فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب» و احتج علي بأن الحديث الشريف الذي يرويه أبوبكر هو من أحاديث الأحاد التي ينفرد بروايتها واحد فحسب من الصحابة، و أحاديث الأحاد لا تقيد حكماً أطلقه القران، و لو أن رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آلها أراد أن يخصص أو يقيد هذا الحكم القرآني، لأخبر ورثته أنهم لن يرثوه.»

ثم إن الزهراء قالت إن أباه صلى الله عليه وآله عليه و آلها وهبها أرض فدك، فهي إن لم تكن إرثاً فهي هبة روى السيوطي في تفسيره الدر المنثور (5/ 273- 274) أخرج البزار و أبويعلی و ابن أبي حاتم و ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية (وأت ذا القربى حقه) (الإسراء آية 26) دعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آلها فاطمة فأعطاهما فدك . و أخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما نزلت (وأت ذا القربى حقه) أقطع رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آلها فاطمة فدكاً، و روى الهيثمي في مجمععه عن أبي سعيد قال: لما نزلت «وأت ذا القربى حقه»، دعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آلها فاطمة فأعطاهما فدكاً، قال: رواه الطبراني، و ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال، و صححه المتقي في كنز العمال عن أبي سعيد قال: لما نزلت (وات ذا القربى حقه) قال النبي صلى الله عليه وآله عليه و آلها يا فاطمة لك فدك، قال أخرجه الحاكم في تاريخه و ابن النجار (و انظر: فضائل الخمسة 3/ 136).

و من هذا المنطلق الأخير طلبت الزهراء فدك من الصديق، على أنها هبة لها من أبيها صلى الله عليه وآله عليه و آلها، فلقد جاء في شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة أن الزهراء قالت لأبي بكر: إن فدك وهبها لي رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آلها، قال فمن يشهد بذلك، فجاء علي ابن أبي طالب فشهد بذلك، و جاءت أم أيمن فشهدت أيضاً، فجاء عمر بن الخطاب و عبدالرحمن بن عوف فشهدا أن رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آلها كان يقسمها، فقال أبوبكر: صدقت يا ابنة رسول الله و صدق علي، و صدقت أم أيمن، و صدق عمر و صدق عبدالرحمن، و ذلك أن مالك لأبيك، كان رسول الله يأخذ من فدك قوتكم و يقسم الباقي و يحمل منه في سبيل الله، فما تصنعين بها، قالت: أصنع بها كما كان يصنع بها أبي، قال: فلك علي أن أصنع كما كان يصنع كما كان يصنع أبوك، قالت: الله لتفعلن، قال: الله لأفعلن، قالت: اللهم فاشهد»، على أن رواية أخرى تذهب إلى أن فاطمة طلبت نخلتها من رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آلها، و قالت إنه نخلها فدك، فطلب منها البيعة، فشهد لها علي و أم أيمن

إقال القاضي عياض في تفسير صدقات النبي صلى الله عليه وآله عليه و آلها المذكورة في هذه الأحاديث أنها صارت إليه بثلاثة حقوق، أحدها، ما وهب له صلى الله عليه وآله عليه و آلها و ذلك وصية مخيريق اليهودي بعد إسلامه يوم أحد، و كانت سبعة حوائط في بني النضير، و ما أعطاه الأنصار من أرضهم، و هو ما يبلغه الماء، و كان هذا ملكاً له صلى الله عليه وآله عليه و آلها، و الثاني: حقه من الفيء في أرض بني النضير حين إجلائهم، كانت له خاصة، لأنها لم يوجف عليها المسلمون بخيل و لا ركاب، و أما منقولات بني النضير فحملوا منها ما حملته الإبل غير السلاح، كما صالحهم، ثم قسم صلى الله عليه وآله عليه و آلها الباقي علي المسلمين، و كان خالصاً له، و كذلك ثلث أرض وادي القرى، أخذ في الصلح حين صالح أهلها اليهود، و كذلك حصنات من حصون خيبر، و هما الوطيط و السلام أخذها صلحاً، و الثالث: سهمه من خمس خيبر، و ما افتتح فيها عنوة، فكانت هذه كلها ملكاً لرسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آلها خاصة لاحق فيها لأحد غيره، لكنه صلى الله عليه وآله عليه و آلها كان لا يستأثر بها، بل ينفيها على أهله، و المسلمين و للمصالح العامة، و كل هذه صدقات محرمات التملك بعده، رضي الله عنهم، فقال أبوبكر رضي الله عنه قد علمت يا بنت رسول الله، أنه لا يجوز إلا شهادة رجلين أو رجل وامرأتين، و أفتى الإمام علي بأن الشهادة تصح برجل و امرأة واحدة، مع حلف اليمين، بل يشاهد واحد و يمين، ولكن أبابكر رد هذا الرأي، و نزع فدك من تحت يدي فاطمة، و استشار في ذلك عمر فأبده و أما اعتمادنا في فتوى الإمام علي، فكان علي ما رواه الإمام أحمد من الفضائل و الترمذي في الجامع الصحيح و ابن ماجة و البيهقي و الدار قطني في السنن عن جابر ابن عبد الله: أن النبي صلى الله عليه وآله عليه و آلها قضى بالشاهد مع اليمين في الحجاز، و قضى به علي في الكوفة.»

و لم تدع الزهراء لرأي الصديق، و بقيت مصرة في طلب الميراث و النخلة، أخرج مسلم في صحيحه عن عائشة، أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آلها أرسلت إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آلها مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك و ما بقي من خمس خيبر

و في إحدى الروايات أن الذي شهد أم أيمن و رباح مولى النبي صلى الله عليه وآله عليه و آلها كما في فتوح البلدان، فقال أبوبكر: إن رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آلها قال: لا نورث ما تركناه صدقة، إنما يأكل آل محمد صلى الله عليه وآله عليه و آلها من هذا المال، و إنني و آلها لا أعير شيئاً من صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آلها عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آلها و لأععلن فيها بما عمل بها رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آلها فأبى أبوبكر أن يدفع إلى فاطمة شيئاً، فوجدت فاطمة علي أبي بكر في ذلك، قال: فهجرت فلم تكلمه حتى توفيت، و عاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آلها ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها علي بن أبي طالب ليلاً، و لم يؤذن بها أبابكر، و صلى عليها علي.»

و روى الإمام زيد به علي زين العابدين بن الحسين عن أبيه قالوا: لما بلغ فاطمة، رضي الله عنها، إجماع أبي بكر علي منعها فدكاً، و انصراف عاملها منها، أقبلت في لمة من حفدتها و نساء قومها تطأ أذيالها، و دخلت علي أبي بكر رضي الله عنه، و قد حفل حوله المهاجرون و الأنصار، فنيطت دونها ملاءة، فأنت أنة إجهش لها القوم بالبكاء ثم أمهلت حتى هدأت فورتهم، و سكنت روعتهم، ثم افتتحت الكلام، فحمدت الله، و شهدت أن لا إله إلا الله، و أن محمداً رسول الله، و قالت كلاماً طويلاً، ذكرت فيه الصديق و من حوله من المهاجرين و الأنصار بنفسها و بأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آلها، و طبقاً لرواية الإمام أبو الفضل أحمد بن طاهر في كتاب «بلاغت النساء»، ثم قالت، عليها السلام، «أيتها الناس، إعلموا أنني فاطمة، و أبي محمد صلى الله عليه وآله عليه و آلها، أقول عوداً وبدءاً، و لا يقول ما يقول غلطاً، و لا يفعل ما يفعل شيطناً ( لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)، فإن تعزوه و تعرفوه تجدوه أبي دون نساءكم، و أبا ابن عمي دون رجالكم، و لنعم المعزى إليه، فبلغ الرسالة، صادعاً بالذنار، مائلاً عن مدرجة المشركين، ضارباً بتجهم، أخذاً بكظمهم، داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة و الموعدة

الحسنة، يكسر الأصنام، وينكت الهام، حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، حتى تفرى الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه، و نطق زعيم الدين، وخرست شفتان الشيطان، وطاح و شبط النفاق، و انحلث عقدة الكفر والشقاق، و فهم بكلمه الإخلاص، في نفر من البيض الخماص، و كنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب، و نهزة الطامع، و قبسة العجلان، و موطىء الأقدام، تشرىبون الطرق، و تقتاتون القد، أذلة خاسئين، تخافون أن يتخطكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك و تعالی بأبي محمد صلى الله عليه و آله. بعد اللتيا و التي، و بعد أن منى بهم الرجال و ذؤبان العرب، و مردة أهل الكتاب «كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله.»

ثم قالت «هذا كتاب الله بين أظهركم، أمره ظاهرة، و أحكامه زاهرة، و أعلمها باهرة، و زواجه لائحة، و أوامره واضحة، قد خلفتموه وراءكم ظهرياً، أرعية عنه تدبرون، أم بغيره تحكمون (بنس للظالمين بدلاً، و من يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه و هو في الآخرة من الخاسرين)، و أنتم الآن ترعون أن لا أرث لي) أفحكم الجاهلية پیعون، و من أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون)، أفلا تعلمون، بلى قد تجلى لكم كالشمس الصاحبة إنى ابنته، أيها المسلمین، أغلب علي إرثي يا ابن أبي قحافة، أفي كتاب الله أن ترث أباك، و لا أرث أبي، لقد جئت شيئاً فريباً، أفعلی عمد تركتم كتاب الله و نذتموه وراء ظهوركم، إذ يقول (و رث سليمان داود)، و قال فيما اخص من خبر يحيى بن زكريا، عليهما السلام، (رب هب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب) و قال (و أولوا الأرحام بعضهم أولى بعض في كتاب الله) و قال (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) و قال (إن ترك خيراً الوصية للوالدين و الأقربين بالمعروف حقاً علي المتقين)، و زعمتم الا حظوة لي، و لا أرث من أبي، و لا رحم بيننا، أفخصكم الله بأية أخرج أبي صلى الله عليه و آله أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثان، أولست أنا و أبي من أهل ملة واحدة، أم أنتم أعلم بخصوص القرآن و عمومه، من أبي و أمي و عمي، فدونكما مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرک، فعم الحكم الله، و الزعيم محمد، و الموعد القيامة، و عند الساعة يخسر المبطلون، و لا ينفعكم إذ تندمون (لكل نأ مستقر و سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه و يحل عليه عذاب مقيم)، فإن تكفروا أنتم و من في الأرض جميعاً، فإن الله لغني حميد)، ألا و قد قلت ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم، و العدة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس، و بئته الصد، و نغمة الغيط، و تقدمه الحجة، فدونكموها فاستبقوها دبرة الظهر، بقية الخف، باقية العار، موسومة بغضب الله و شنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع علي الأفتدة فيعين الله ما تفعلون (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)، و أنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد، (فاعملوا أنا عاملون، و انتظروا إنا منتظرون .)

و عندما انتهت الزهراء، عليها السلام، من كلامها، قام الصديق، رضي الله عنه، فحمد الله و أنى عليه، و صلى علي رسوله، ثم قال «يا خيرة النساء، و ابنة خير الآباء، والله ما عدوت رأي رسول الله صلى الله عليه و آله و ما عملت إلا بأمره، و إن الرائد لا يكذب أهله، و قد قلت فأبلغت، و أغلظت فأهجرت، ففقر الله لنا ولك، أما بعد، فقد دفعت آله رسول الله صلى الله عليه و آله و دابته و حذاه الي علي، رضي الله عنه، و أما ما سوى ذلك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: «إنا معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً و لا فضة و لا أرضاً و لا عقاراً و لا داراً، ولكننا نورث الإيمان و الحكمة و العلم و السنة»، فقد عملت بما أمرني، و نصحت له، و ما توفيقى إلا بالله عليه توكلت و إليه أئيب.»

و لم تأت المناقشات بين الصديق و الزهراء بنتيجة، و كفت السيدة فاطمة عن طلبها عزوفة، و لم تشد السيدة الزهراء في طلبها إلا لاعتقادها أنها على حق و ما كانت لتضمر للصديق إلا الخير، و إن اختلفت معه في وجهة نظرها، و قد هدأت ثائرتها، و قد ثبت في نفس ذريتها ألا يكون في نفس واحد منهم بالنسبة لأبي بكر شيء، و أخذت الزهراء على نفسها ألا تكلم الصديق في ذلك المال أو تطلب ما طلبته، و تركت لقاءه في مدتها القصيرة التي اشتغلت فيها بحزنها ثم مرضها، و الحق أن كلاً من الزهراء و الصديق إنما كان مجتهداً فيما يراه صواباً، و ما أصدق الأستاذ العقاد حيث يقول: «إن الزهراء أجل من أن تطلب ما ليس لها بحق، و إن لصديق أجل من أن يسلبها حقها الذي تقوم البينة عليه»، بل إن الشيخ أبوزهرة إنما يرى أن الخلاف على تركه النبي علي فيك كان على إدارتها، و لم يكن كما صوره بعض المؤرخين على ملكيتها، ثم صرفها في مصارفها، فكانت الزهراء ترى إدارتها بيد علي، و رفض الصديق ذلك، ثم وافق عمر في خلافته على أن تكون الإدارة بين علي و العباس، و ما ميراث النبي الحقيقي فهو شريعته، و إن كانت النصوص فلا تعضد وجهة الشيخ الفاضل .

و يرى الحفاظ ابن كثير أن أبابكر ترضى فاطمة في مرضها فرضيت، و إذا لم يكن مثل أبي بكر يتوَدّد آل البيت الطاهر و بالأخص فاطمة، فلا يرجي من غيره ذلك، فإن فضل الزهراء لا ينكر، و أخرج ابن سعد في الطبقات عن عامر قال: جاء أبوبكر إلى فاطمة حين مرضت فاستأذن، فقال علي: هذا أبوبكر علي الباب،

فإن شئت أن تأذني له، قالت: و ذلك أحب إليك، قال: نعم، فدخل إليها و اعتذر إليها، و كلمها فرضيت عنه» و في رواية للبيهقي باسناد صحيح إلى الشعبي مرسلأ، أن أبابكر عاد فاطمة فقال لها علي: هذا أبوبكر يستأذن عليك، قالت أنتحب أن أذن له، قال نعم، فأذنت له، فدخل عليها فرضاها حتى رضيت عليه .

على أن رواية أخرى تذهب إلى أن عمر قال لأبي بكر، رضي الله عنهما، إنطلق بنا إلى فاطمة فإننا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً، فاستأذنا علي فاطمة فلم تأذن لهما، فاتيا علياً فكلما فادخلهما عليها، فلما قابلاها حولت وجهها إلى الحائط، فسلمنا عليها، فردت عليهما السلام بصوت خافت، فقال أبوبكر: يا حبيبة رسول الله، والله إن قرابة رسول الله صلى الله عليه و آله أحب إلى من قرابتي، و إنك لأحب إلي من عائشة ابنتي، و لوددت يوم مات أبوك أني مت، و لا أبقي بعده، فتراني أعرفك و أعرف فضلك و شرفك، و أمتنع حقا وميراثك من رسول الله، إلا أنني سمعت أباك رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: «نحن الأنبياء لا نورث ذهباً و لا فضة و لا داراً و لا عقاراً، و إنما نورث الكتاب و الحكمة و العلم و النبوة، و ما تركناه فهو صدقة»، فقالت فاطمة لأبي بكر و عمر: أرايتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه و آله و آله عرفانه و تعلمانه به، قالوا نعم، فقالت: نشدنتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من رضي، و سخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني، و من أرضي فاطمة ابنتي فقد أرضاني، و من أسخط فاطمة فقد أسخطني»، قالوا نعم سمعنا من رسول الله صلى الله عليه و آله، قالت: «فإني أشهد الله و ملائكة أنكما أسخطتماني و ما أرضيتماني، و لئن لقيت النبي لأشكركما إليه»، فقال أبوبكر: أنا عائد بالله تعالى من سخطه و سخطك يا فاطمة، فقالت لأبي بكر: والله لا أكلمك أبداً، قال: والله لا أهجرک أبداً، والله ما أجد أعز علي منك فقراً، و لا أحب إلي منك غنى، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة.» و هناك في صحيح البخاري ما يشير إلى أن الزهراء، عليها السلام، قد ظلت على هجرها للصديق، رضي الله عنه، و لم تكلمه حتى انتقلت إلى الرفيق

الأعلى، راضية مرضياً عنها، فلقد روى البخاري في (باب غزوة خيبر) بسنده عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة، أن فاطمة عليه السلام، بنت النبي صلى الله عليه و آله أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه و آله مما أفاء الله عليه بالمدينة و فدك و ما بقى من خمس خيبر، فقال أبوبكر: إن رسول الله صلى الله عليه و آله قال: لا نورث ما تركناه صدقة، إنما يأكل آل محمد صلى الله عليه و آله من هذا المال، و إني والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله صلى الله عليه و آله عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و لأعملن فيها بما عمل به رسول الله صلى الله عليه و آله، فأبي أبوبكر أن يدفع إلى فاطمة، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، و عائشة بعد النبي صلى الله عليه و آله ستة أشهر، فلما توفت دفنها زوجها علي ليلاً، و لم يؤذن بها أبابكر، و صلى عليها .»

و روى البخاري في صحيحه (في باب الفرائض) بسنده عن عروة عن عائشة، أن فاطمة و العباس، عليهما السلام، أتيا أبابكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه و آله، و هما حينئذ يطلبان أرضهما من فدك، و سهمهما من خيبر، فقال لهما أبوبكر سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: لا نورث ما تركناه صدقة إنما يأكل آل محمد من هذا المال، قال أبوبكر، والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله صلى الله عليه و آله يصنعه فيه إلا صنعته، قال: فهجرته فاطمة، فلم تكلمه حتى ماتت»، و روى البخاري أيضاً في صحيحه (في الخمس) أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و آله غضبت على أبي بكر، فهجرته، قال: فلم تزل مهاجرة حتى توفيت .»

ثم خرج أبوبكر باكياً و معه عمر مطرفاً، فذهبا إلي المسجد فاجتمعا بالناس فقال أبوبكر: «أيها الناس أقبلوني، بيت كل رجل منكم معانقاً حليلته، مسروراً بأهله، و تركتموني و ما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم»، فقال له الناس، إن هذا الأمر لا يستقيم، و أنت

أعلمنا بذلك، إنه أن كان هذا لم يقم لله دين، قال: و الله و لا ذلك و ما أخافه من رخاوة هذه العروة ما بت ليلة ولي في عنق مسلم بيعة، بعدما سمعت و رأيت من فاطمة .»  
تلك قصة فدك و غيرها من ميراث الرسول صلى الله عليه و آله بين الزهراء و الصديق، ولكن الأقدار كتبت لفدك مصيراً آخر علي يد بني أمية، لا يرضى للدين حقه، و لا يعيد لآل البيت ميراث جدتهم رسول الله صلى الله عليه و آله ذلك أن قد أصبحت من مصادر المالية العامة في عهد الصديق، ثم دفعها عمر، فيما يرى البعض إلى ورثة الرسول صلى الله عليه و آله و كما جاء في طبقات ابن سعد، فلقد أدى اجتهاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما و لى الخلافة، و فتحت الفتوح و اتسعت علي المسلمين، أن يردها إلى ورثته رسول الله صلى الله عليه و آله. و بقيت على آل الرسول صلى الله عليه و آله إلى أن تولي الخلافة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، فأقطعها مروان بن الحكم، فيما قيل، و قد ذهب الحافظ ابن حجر إلى أن عثمان قد تناول أن الذي يختص بالنبي صلى الله عليه و آله هو الخليفة، فاستغنى عثمان عنها بأمواله، فوصل بها بعض قرابته (مروان)، و رغم عدم اطمئناننا إلى هذه الرواية من أساس، فإن هناك من يذهب إلى أن الإمام علي قد انتزعها من مروان، على تقدير كونها عنده في خلافة عثمان، على أن أرجح الروايات و أكثرها قبولاً إنما تنسب ذلك العمل إلى معاوية بن أبي سفيان، ذلك أنه لما ولي نفسه الخلافة أكثر من الاستخفاف بالحق المظلوم، ذلك أن الصديق، كما رأينا، بصفته ولي الأمر، جعل أمرها، جعل أمرها له، يلي فيها ما كان يليه رسول الله صلى الله عليه و آله، فلما كانت أيام معاوية، و كان قد جعل أموال المسلمين، و كأنها ملكه الخاص، فكان يقول «إن جميع ما تحت يدي لهي، فما أعلينته قربي إلى الله، و ما أمسكت فلا جناح علي فيه» و من هذا المنطلق أقطع معاوية ابن عمه مروان بن الحكم، و الذي سوف يرث هو و أبناؤه دولة معاوية، أقطعه ثلث فدك، و عمر بن عثمان ثلثها، و يزيد ابنه ثلثها الآخر، فلم يزالوا يتداولونها حتى خلصت كلها لمن أن بن الحكم، أيام ملكه .

على أن هناك رواية أخرى تذهب إلى أنه في سنة أربعين ولي معاوية مروان بن الحكم المدينة، فكتب إلى معاوية يطلب إليه فدك فأعطاه إياها، فكانت بيد مروان يبيع ثمرها بعشرة آلاف دينار كل سنة، ثم نزع مروان عن المدينة و غضب عليه معاوية فقبضها منه فكانت بيد و كليهما بالمدينة، و طلبها الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ثم سعيد بن العاص، فأبى معاوية أن يعطيها لأحدهما، فلما ولي معاوية مروان المدينة المرة الأخيرة ردها عليه بغير طلب من مروان، ورد عليه غلثها فيما مضى، فأعطى مروان ولده عبد الملك نصفها و أعطى ولده الآخر عبد العزيز

نصفها الآخر، و في رواية البيهقي أن معاوية وهب فدكا لمروان ليغيب بذلك آل رسول الله صلى الله عليه و آله .  
و يروي ابن عبد ربه في العقد الفريد، و البلاذري في فتوح البلدان أنه: لما ولي عمر بن العزيز قال: إن فدك كانت مما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه و آله يصنع فيها حيث أمره الله، ثم أبويكر و عمر و عثمان، كانوا يضعونها المواضع التي وضعها رسول الله صلى الله عليه و آله ثم ولي معاوية فأقطعها مروان، و وهبها مروان لعبد الملك و عبد العزيز، فقسمنها بيننا أثلاثاً، أنا و الوليد و سليمان فلما ولي الوليد سألته نصيبه فوهبه لي، و ما كان لي مال أحب إلي منها، و أنا أشهدكم أنني قد رددتها إلى ما كانت عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله»، و زاد السهوي في وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، قوله «أوردتها إلى ولد فاطمة»، و إلى هذا ذهب «الفيروز أبادي» في المغامر المطبوعة، و غيره، و من ثم فهناك رواية تذهب إلى أنه كتب إلى واليه على المدينة أبي بكر بن عمر بن حزن يأمره بردها إلى ولد فاطمة عليها السلام، فكتب إليه أن فاطمة عليها السلام قد ولدت من آل عثمان و آل فلان و فلان، فعلى من أرد منهم، فكتب إليه، أما بعد، فإني لو كتبت إليك أمرك أن تذيب بقرة لسألتني ما لونها، فإذا ورد عليك كتابي هذا، فأقسما في ولد فاطمة من علي، عليه السلام، فنقمت بنواميه ذلك علي عمر بن عبدالعزيز، و عاتبوه فيه، و قالوا له: هجنت فعل الشيخين .»

و لما ولي يزيد بن عبد الملك انتزعها من أولاد فاطمة، عليها السلام، فصارت في بني مروان حتى انقرض دولتهم، فلما قام أبو العباس السفاح بالأمر، و تقلد الخلافة، ردها علي عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، فلما ولي المنصور و خرج عليه بنو الحسن قبضها عنهم، ثم أعادها ولده المهدي إليهم، ثم قبضها موسى بن المهدي، ثم أعادها للمأمون إلى بني فاطمة و علي من عام 220 هـ، و كتب بذلك إلى قثم بن جعفر عامله علي المدينة أما بعد فإن أمير المؤمنين، بمكانه من دين الله و خلافة رسول الله صلى الله عليه و آله، و القرابة به، أولى من استن بسنته، و سلم لمن منحه منحة، و تصدق عليه بصدقة منحته و صدقته، و بالله توفيق

أمير المؤمنين و عصمته، و إليه في العمل بما يقربه إليه رغبته، و قد كان رسول الله صلى الله عليه و آله أعطى فدكاً فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و آله و تصدق بها عليها، و كان ذلك أمراً ظاهراً معروفاً، لا اختلاف فيه بين آل رسول الله صلى الله عليه و آله عليه و آله، و لم تدع منه ما هو أولى به من صدق عليه، فرأى أمير المؤمنين أن يردها إلى ورثتها، و يسلمها إليهم تقرباً إلى الله تعالى بإقامه حقه وعدله، و إلى رسول الله صلى الله عليه و آله بتنفيذ أمره و صدقته، فأمر بإتيان ذلك في دواوينه، و الكتاب إلى عماله، فلئن كان ينادي في كل موسم بعد أن قبض نبيه صلى الله عليه و آله أن يذكر كل من كات له صدقة أو هبة أو وعدة ذلك فيقبل قوله و تنفيذ عدته، إن فاطمة، رضي الله عنها، لأولى بأن يصدق قولها فيما جعل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لها، و قد كتب أمير المؤمنين إلى المبارك الطبري مولى أمير المؤمنين يأمره برد فدك إلى ورثة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بحدودها و جميع حقوقها المنسوبة إليها و ما فيها من الرقيق و الغلات و غير ذلك، و تسليمها إلى محمد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب و محمد بن عبدالله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لتولية أمير المؤمنين إياهما القيام بها لأهلها، فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين، و ما ألهمه الله من طاعته، و وفقه له من التقرب إليه و إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و أعلمه من قبلك، و عامل محمد بن يحيى و محمد بن عبدالله بما كنت تعامل به المبارك الطبري، و أعنتهما على ما فيه عمارتها و مصلحتها و فور غلاتها إن شاء الله، و السلام « الطبري، و أعنتهما على ما فيه عمارتها و مصلحتها و فور غلاتها إن شاء الله، و السلام » و كتب يوم الأربعاء لليلتين خلنا من ذي القعدة سنة عشر و مائتين (أنظر البلاذري، فتوح البلدان 46- 47، بيروت 1983).

و لما وبع المتوكل انتزعها من الفاطميين و أقطعها عبدالله بن عمر البازيار، و كان فيها إحدى عشرة نخلة غرسها رسول الله صلى الله عليه و آله عليه و آله بيده الكريمة، فوجه عبدالله البازيار رجلاً يقال له بشران بن أبي أمية الثقفي إلى المدينة، فصرم تلك النخيل ثم عاد قلج، و ينتهي عهد أبناء الزهراء بفدك بخلافة المتوكل و منحه إياها عبدالله بن عمر البازيار، و هكذا كانت فدك مع ملوك بني أمية طوال أيام دولتهم، ما عدا أيام عمر بن عبدالعزيز، ثم كانت على أيام العباسيين طبقاً لأهواء الملوك و الحكام، يعطونها لأهل البيت، إن أرادوا، و يقبضونها عنهم متى

## فضائل الزهراء

اختص الله الزهراء من بين أخواتها بنات النبي بالدرجة الرفيعة التي رفعها إليها، فجعلها في مقام مريم ابنة عمران، حيث وصفهما رسول الله صلى الله عليه و آله بأنهما خير نساء العالمين، و اختص الله الزهراء كذلك، بأن كانت وحدها، من دون أبناء النبي و بناته، و هي التي كان منها سبطا رسول الله صلى الله عليه و آله، الحسن و الحسين، و منهما كان نسل رسول الله صلى الله عليه و آله، و من لم فقد كان للزهراء- بضعة رسول الله، و سيدة آل البيت، و أم الأئمة، و سيدة نساء المؤمنين- كثيراً من الفضائل التي أنعم الله بها عليها، إكراماً لأبيها النبي لرسول، سيدنا و مولانا وجدنا محمداً رسول الله صلى الله عليه و آله، و من هذه الفضائل ما جاء في القرآن الكريم، و منها ما جاء في الحديث الشريف :

## في القرآن الكريم

ليست هناك آيات خاصة في القرآن الكريم بالسيدة فاطمة الزهراء، فرضي الله عنها، وإنما ترك هي فيما نزل من كتاب الله خاصاً بالبيت الطاهرين المطهرين، ومن ذلك آية المباهلة (ال عمران 61) روى مسلم، لما نزلت آية (قل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا ونفوسكم ثم نبهل لنعنه الله على الكاذبين) دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وأهله وأهله فاطمة والحسين والحسين، رضي الله عنهم، وقال: «الله هؤلاء أهلي»، وآية المباهلة هذه بإجماع المسلمين على اختلاف مذاهبهم، إنما نزلت في رسول الله صلى الله عليه وآله وأهله وأهله الزهراء وابن عمه الإمام علي، و سبطين الحسن والحسين .

ومنها آية التطهير (الإحزاب 33)، وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني عن أبي سعيد الخدري قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله نزلت هذه الآية في خمسة: في علي وحسن وحسين وفاطمة، (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)، ومنها آية مودة القربى (الشورى 23) روى البيضاوي في تفسيره لقوله تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجر إلا المودة في القربى)، قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم، قال صلى الله عليه وآله: «علي وفاطمة وأبنائهما»، و روى الإمام أحمد والهيثمى والطبراني والسيوطي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نزلت: قل لا أسألكم عليه أجر إلا المودة في القربى، قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم، قال: «علي وفاطمة وأبنائها، عليهم السلام» (اللفظ لأحمد .)

ومنها آيات سورة الإنسان (7- 12) قال تعالى: (و يطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً...) إلى قوله تعالى: (جنة و حريراً)، أخرج ابن مردويه عن ابن عباس أن الآيات نزلت في علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله و روى الواحدي في تفسيره البسيط والزمخشري في تفسيره الكشاف، والبيضاوي في تفسيره، والفخر الرازي في التفسير الكبير: أن ابن عباس روى «أن الحسن والحسين، عليهما السلام، مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله في أناس معه، فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك، فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما، أن شفاهما الله تعالى أن يوصموا ثلاثة أيام فشفاها وما معهم شيء فاستقرض علي من شمعون الخيري اليهودي ثلاثة أصوع من شعير، فطحن فاطمة صاعاً واختبرت خمسة أفراس على عددهم ووضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة فأثروه، و باتوا ولم يذوقوا إلا الماء، وأصبحوا صائمين، فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فأثروه، وجاءهم أسير في الثالثة، ففعلوا مثل ذلك، فلما أصبحوا أخذ علي، عليه السلام، بيد الحسن والحسين، ودخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفرخ من شدة الجوع قال: ما أشد ما يسوءني ما أرى بكم، وقام فانطلق معهم، فرأى فاطمة في محرابها قد التصق بطنها بطورها و غارت عيناها فساءه ذلك، فنزل جبريل عليه السلام، و خذها يا محمد هناك، الله في أهل بيتك فاقراها سورة .» و روى المحب الطبري عن ابن عباس في قوله تعالى: (و يطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً) قال: أجز علي نفسه بسيفي نخلاً بثنيء من شعير ليلة، فلما أصبح قبض الشعير فطحن منه، فجعلوا منه شيئاً ليأكلوه يقال له «الخبرية» (دقيق بلادهن) فلما تم إنضاجه أتى مسكيناً فسأل فاطمته إياه، ثم صنعوا الثلث الثاني، فلما تم إنضاجه أتى مسكيناً فسأل فاطمته إياه ثم وضعوا الثلث الثالث، فلما تم إنضاجه أتى أسير من المشركين فاطمته إياه وطوا يومهم فنزلت الآية .

## في الحديث الشريف

### الزهراء سيدة نساء المؤمنين

يروى أهل السير الحديث عن عائشة قالت: إنا كنا أزواج النبي صلى الله عليه وآله عنده جميعاً لم تغادر منا واحدة، فاقبلت فاطمة، عليها السلام، تمشي، لا والله ما تخطىء مشيتها من مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وأهله فلما رآها رحب، قال مرحباً بابنتي، ثم اجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم يسارها فبكت بكاءً شديداً، فلما رأى حزنها سارها الثانية فإذا هي تضحك، فقلت لها أنا من بين نسائه: خضك رسول الله صلى الله عليه وآله وأهله بالسرة من بيننا، ثم أنت تبكين، فلما قام رسول الله صلى الله عليه وآله وأهله سألتها: عم سارك، قالت: ما كنت لأفشي على رسول الله صلى الله عليه وآله وأهله سره، فلما توفي قلت لها: عزمت عليك بما لي

عليك من الحق لما أخبرتني، قالت: أما الآن فنعيم، فأخبرتني، قالت أما من ساراني في الأمر الأول فإنه أخبرني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة، وإنه قد عرضني به العام مرتين، ولا أرى للأجل إلا قد اقترب، فاقنتي الله واصبري، فإني نعم السلف أنا لك، قالت فبكيت بكائي الذي رأيت، فلما رأى جزعي سارني الثانية قال: يا فاطمة، ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة. وفي رواية صحيح البخاري عن عائشة قالت: أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي صلى الله عليه وآله وأهله، فقال النبي صلى الله عليه وآله وأهله: مرحباً بابنتي ثم اجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم أسر إليها حديثاً فبكت فقلت لها لم تبكين، ثم أسر إليها حديثاً فضحكت فقلت ما رأيت فرحاً أقرب من حزن، فسألته فقالت: «أسر إلي أن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهلي لحاقاً بي فبكيت، فقال: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين، فضحكت لذلك.»

وفي رواية صحيح مسلم عن عائشة قالت: اجتمع نساء النبي صلى الله عليه وآله وأهله فلم يغادر منهن امرأة، فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وأهله فقال مرحباً بابنتي فاجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم إنه أسر إليها حديثاً فبكت فاطمة ثم إنه سارها فضحكت أيضاً فقلت لها ما يبكيك فقالت ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وآله وأهله فقلت ما رأيت كاللوم فرحاً أقرب من حزن، فقلت لها حين بكت أخضك رسول الله صلى الله عليه وآله وأهله بحديثه دوننا ثم تبكين وسألته عما قال فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وآله وأهله حتى إذا قبض سألته فقالت إنه كان حدثني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة وأنه عارضه به في العام مرتين ولا أراني إلا قد حضر أجلي، وإنك أول أهلي لحاقاً بي، ونعم السلف أنا لك فبكيت لذلك، ثم إنه سارني فقال: «ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة، فضحكت لذلك.»

وفي الحلية عن عائشة... قال صلى الله عليه وآله وأهله «يا فاطمة: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين، أو سيدة نساء هذه الأمة»، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله «إن ملكاً من السماء لم يكن زارني، فاستأذن ربي في زيارتي، فبشرني وأخبرني أن فاطمة سيدة نساء أمتي». و روى الخطيب وابن عساکر عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وأهله: «خير رجالكم علي، وخير شبابكم الحسن والحسين، وخير نسائكم فاطمة.»

وفي كثر العمال: أن أول شخص يدخل الجنة فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وأهله، ومثلها في هذه الأمة مثل مريم في بني إسرائيل (و روى مثله الذهبي في ميزان الاعتدال .)

### الزهراء سيدة نساء أهل الجنة

أخرج الإمام الترمذي عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله دعا فاطمة يوم الفتح فاجها فيكت، ثم حدثها فضحكت، قالت، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله سألتها عن بكائها وضحكها، قالت أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله أنه يموت فيكيت، ثم أخبرني أنني سيدة نساء أهل الجنة، إلا مريم بنت عمران، فضحكت .

وروى السيوطي في الجامع الكبير عن ابن عساکر عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أتاني ملك فسلم علي، نزل من السماء، لم ينزل قبلها، فيبشرنني أن الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»، وفي رواية أخرى عن الترمذي عن حذيفة «هذا ملك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة استأذن ربي أن يسلم علي و يبشرنني أن فاطمة سيدة نساء أهل أحمد في مسنده و ابن حبان في صحيحه عن حذيفة قال صلى الله عليه وآله و يسلم علي و يبشرنني أن الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، و أن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»، و روى البخاري في صحيحه «باب مناقب فاطمة عليها السلام، قال النبي صلى الله عليه وآله: «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة.»

و أخرج الإمام أحمد و أبو يعلى و الطبراني و ابن عبد البر عن ابن عباس قال: خط رسول الله صلى الله عليه وآله في الأرض أربعة خطوط، قال ما تدرون ما هذا، فقالوا: «الله و رسوله أعلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، و فاطمة بنت محمد، و أسية بنت مزاحم امرأة فرعون، و مريم ابنة عمران» و في رواية الحاكم في المستدرک: خط رسول الله صلى الله عليه وآله في الأرض أربعة خطوط، ثم قال: «اتدرون ما هذا، قالوا: الله و رسوله أعلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله و أفضل نساء الجنة أربعة، خديجة بنت خويلد، و فاطمة بنت محمد، و مريم ابنة عمران، و أسية بنت مزاحم»، و روى الحاكم عن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «حسبك من نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران و أسية امرأة فرعون و خديجة بنت خويلد، و فاطمة بنت محمد» و أخرج الإمام أحمد في الفضائل، و الحاكم في المستدرک أن عائشة قالت لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله و آلها إلا أبشرك أنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «سيدات نساء أهل الجنة أربع، مريم بنت عمران، و فاطمة بنت رسول الله، و خديجة بنت خويلد و أسية امرأة فرعون»، و روى الإمام أحمد عن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «حسبك من نساء العالمين، مريم ابنة عمران، و خديجة بنت خويلد و فاطمة بنت محمد، و أسية امرأة فرعون»، و روى ابن حجر في الإصابة عن عائشة قولها «ما رأيت قط أحداً أفضل من فاطمة غير أبيها.»

## مشاركته الزهراء للنبي

أخرج الإمام أحمد في المسند عن أنس بن مالك قال: لم يكن أحد أشبه رسول الله صلى الله عليه وآله من الحسن بن علي و فاطمة، صلوات الله عليهم أجمعين» و روى أبو داود في سننه عن عائشة قالت: ما رأيت أحداً أشبه سمياً ودلاً و هدياً برسول الله صلى الله عليه وآله في قيامها وعودها من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله و كانت إذا دخلت على النبي صلى الله عليه وآله و آلها قام إليها فقبلها و جلسها في مجلسه»، و في رواية الحاكم في المستدرک عن عائشة: ما رأيت أحداً أشبه كلاً ما وحديتاً من فاطمة برسول الله صلى الله عليه وآله و آلها، و كانت إذا دخلت عليه رجب بها و قام إليها، فأخذ بيدها فقبلها و جلسها في مجلسه». و في رواية أخرى (للحاكم أيضاً) زيادة «و كانت هي إذا دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله قامت إليه مستقبلة، و قبلت يده.»

و روى البخاري و الترمذي عن عائشة أنها قالت «ما رأيت أحداً من الناس كان أشبه بالنبي صلى الله عليه وآله و آلها كاملاً، و لا حديثاً و لا جلسه من فاطمة، قالت: و كان النبي صلى الله عليه وآله إذا رآها أقبلت رجب بها ثم قال إليها فقبلها، ثم أخذ بيدها فجاء بها حتى يجلسها في مكانه، و كانت إذا أتاه النبي صلى الله عليه وآله و آلها رحت به ثم قامت إليه فقبلته.»

## الزهراء بضعة رسول الله

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن المسور بن مخرمة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله «إنما فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما أذاها»، و في رواية عن الإمام أحمد من حديث المسور بن مخرمة فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها فقد أغضبني»، و روى الحاكم في المستدرک عن المسور بن مخرمة أنه بعث إليه حسن بن حسن يخطب ابنته فقال له: قل له فليلقاني في العتمة، قال: فليقه فحمد الله المسور و أتى عليه ثم قال: أما بعد و أيم الله ما من نسب و لا سبب و لا صهر أحب إلى من نسبيكم و سبيكم و صهركم، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله و آلها قال: «فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها، و يبسطني ما يبسطها، و إن الأنساب يوم القيامة تنقطع غير نسبي و سبي و صهري، و عندك ابنتها، و لو زوجتك لقبضها ذلك، فانطلق عاذراً له»، و في رواية للإمام أحمد «فاطمة بضعة مني، يقبضني ما يقبضها، و يبسطني ما يبسطها، و إن الأنساب تنقطع يوم القيامة، غير نسبي و سبي و صهري.»

و أخرج مسلم في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إنما فاطمة بضعة مني يربيني ما رابها، و يؤذيني ما أذاها، و روى الترمذي في الجامع الصحيح» إنما فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما أذاها، و ينصني ما أنصها»، و عن مجاهد قال: خرج النبي صلى الله عليه وآله و آلها و هو أخذ بيد فاطمة، فقال: من عرف هذه فقد عرفها، و من لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، و هي بضعة مني، و هي قلبي، و روحني التي بين جنبي، فمن أذاها فقد أذاني، و من أذاني فقد أذى الله تعالى»، هذا و لما أقسم «أبوليابة» عندما ربط نفسه في المسجد، ألا يحله أحد إلا رسول الله صلى الله عليه وآله و آلها و جاءت فاطمة لتخله فأبى، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله و آلها إنما فاطمة مضغة مني، فخلته. يقول السهيلي في الروض الأثيف بعد ذلك، فصلى الله عليه، و على فاطمة، فهذا حديث يدل على أن من سبها فقد كفر، و أن من صلى عليها، فقد صلى على أبيها، صلى الله عليه و سلم .

## الزهراء أحب الناس إلى النبي

أخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة قال، قال علي: «يا رسول الله، أينما أحب إليك، أنا أم فاطمة، قال صلى الله عليه وآله و آلها فاطمة أحب إلي منك، و أنت أعز علي منها»، و روى ابن عبد البر في الاستيعاب سنلت عائشة، رضي الله عنها، أي الناس كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و آلها و سلم قالت: «فاطمة، قيل فمن الرجال، قالت: زوجها، إذ كان ما علمته، صواماً قواماً»، و روى الحاكم في المستدرک، و صححه بسنده عن جميع بن عمير، قال: دخلت مع أمي على عائشة، فسمعتها من وراء الحجاب، و هي تيسألني عن علي، فقالت: «تسأليني عن رجل، وإلله ما أعلم رجلاً كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و آلها و سلم من علي، و لا في الأرض امرأة كانت أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و آلها و سلم من فاطمة» و روى الحاكم في المستدرک عن عمر رضي الله عنه أنه دخل على فاطمة، رضي الله عنها، فقال: «يا فاطمة و آلها ما رأيت أحداً أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و آلها و سلم منك، والله ما كان أحد من الناس بعد أبيك صلى الله عليه وآله و آلها و سلم أحب إلي منك.»

و روى عن عائشة، رضي الله عنها، قالت، قلت يا رسول الله، مالك إذا قبلت فاطمة جعلت لسانك في فيها كأنك تريد أن تلعقها عسلاً، فقال صلى الله عليه وآله و آلها: أنه لما أسرى بي أدخلني جبريل الجنة فناولني فاحة فأكلتها، فكلما اشتقت إلى تلك التفاحة قبلت فاطمة فأصبت من رائحتها رائحة تلك التفاحة»، و روى المحب الطبري في «ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى» عن

أسامة بن زيد عن عليّ قال قلت: يا رسول الله، أي اهلك أحب إليك، قال صلى الله عليه وآله فاطمة بنت محمد»، و روى ابن عساکر عن علي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «أحب أهلي إلي فاطمة». و روى الحاكم في المستدرک بسنده عن أبي ثعلبة الخشني قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا رجع من سفر أو غزاة، أتى المسجد فصلى ركعتين، ثم ثنى بفاطمة، ثم يأتي أزواجه»، و عن ابن عمر بسنده أنه قال «إن النبي صلى الله عليه وآله كان إذا سافر كان آخر الناس عهداً به فاطمة، و إذا قدم من سفر كان أول الناس به عهداً فاطمة، رضي الله تعالى عنها، و روى المحب الطبري في الذخائر عن ثوبان أنه قال» كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا سافر، آخر عهده إتيان فاطمه، و أول من يدخل عليه إذا قدم، فاطمة، عليها السلام.»

و روى الطبراني و الهيثمي عن ابن عباس قال: «دخل رسول الله صلى الله عليه وآله علي و فاطمه و هما يضحكان، فلما رآيا النبي سكتا، فقال لهما النبي صلى الله عليه وآله مالكما، كنتما تضحكان فلما رأيتماني سكتا، فبادرت فاطمة فقالت: بأبي أنت يا رسول الله، قال هذا (مشيرة إلى علي) أنا أحب إلي رسول الله صلى الله عليه وآله منك، فقلت: بل أنا أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله منك، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله و قال يا بني لك رقة الولد، و علي أعز علي منك.»

## تنكيس الرؤوس لمرور الزهراء يوم القيامة

روى الحاكم في المستدرک، و السيوطي في الجامع الصغير عن علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد من وراء الحجب: «يا أهل الجمع غُضُوا أبصاركم عن فاطمة بنت محمد حتى تمر»، و في رواية أخرى للسيوطي عن أبي أيوب: إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطن العرش: «يا أهل الجمع، نكسوا رؤوسكم، و غضوا أبصاركم، حتى تمر فاطمة بنت محمد على الصراط، فتمر مع سبعين ألف جارية من الحور العين كمر البرق» ( رواه أبو بكر في الغيلانيات ). و روى الإمام أحمد في الفضائل، و الحاكم في المستدرک، و الطبراني في الكبير و الأوسط، و الهيثمي في مجمع الزوائد، و أبو بكر في الغيلانيات (من طرق مختلفة) عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: إذا كان يوم القيامة قيل: «يا أهل الجمع غضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت رسول الله فتمر، و عليها رطبان خضر اوان»، و عن أبي أيوب الأنصاري (في رواية) قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين و الآخرين في صعيد واحد، ثم ينادي مناد من بطن العرش، إن الجليل جل جلاله يقول: «نكسوا رؤوسكم، و غضوا أبصاركم، فإن هذه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله تريد أن تمر على الصراط، فتمر و معها سبعون ألفاً من الحور العين» و روى الحاكم في المستدرک بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آله: «تبعث الأنبياء يوم القيامة على الدواب ليؤافوا بالمؤمنين من قومهم المحشر، و يبعث صالح على ناقته، و أبعث على البراق، خطوها عند أقصى طرفها، و تبعث فاطمة أمامي»- قال هذا حديث صحيح على شرط مسلم .

وفي كنز العمال: يبعث الله الأنبياء يوم القيامة على الدواب، و يبعث صالحاً على ناقته كيما يوافي بالمؤمنين من أصحابه المحشر، و تبعث فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام على ناقتين من نوق الجنة، و علي بن أبي طالب عليه السلام على ناقتي، و أنا على الفراق، و يبعث بلالاً على ناقته فينادي بالأذان (الحديث) قال أخرجه الطبراني و أبو النخعي و ابن عساکر عن أبي هريرة- يعني عن النبي صلى الله عليه وآله

## تحريم الزهراء و ذريتها على النار

روى المحب الطبري في ذخائر العقبي، أخرج الحافظ الدمشقي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: يا فاطمة تدرين لم سميت فاطمة، قال علي: يا رسول الله، لم سميت فاطمة، قال صلى الله عليه وآله «إن الله عزوجل قد فطمها و ذريتها عن النار يوم القيامة»، و قد رواه الإمام علي بن موسى الرضا في مسنده: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إن الله عزوجل فطم ابنتي فاطمة و ولدها و من أحبهم من النار، فلذلك سميت فاطمة»

و روى الحاكم في المستدرک من حديث معاوية بن هشام عن عبد الله ابن مسعود، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله إن فاطمة أحصنت فرجها فحرمها الله و ذريتها

على النار» (رواه أيضاً عن ابن مسعود البزار و أبويعلی و الطبراني في الكبير)، و روى الطبراني في الكبير عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله و آله: «إن فاطمة حصنت فرجها، و إن الله أدخلها بإحصان فرجها و ذريتها الجنة»، و روى الطبراني و الهيثمي عن ابن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله و آله لفاطمة رضي الله عنها، «إن الله غير معذبك و لا ولدك.»

## مرور النبي بباب فاطمة في صلاة الصبح

روى الإمام أحمد عن علي بن زيد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر، إذا خرج إلى صلاة الصبح و يقول: الصلاة الصلاة (إنما يريد الله ليذهب عنكم أهل البيت و يطهركم تطهيراً)، و في رواية أخرى، أن رسول الله صلى الله عليه وآله و آله كان يأتي بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج من صلاة الفجر، يقول: «يا أهل البيت، الصلاة الصلاة يا أهل البيت» (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً .)

و أخرج ابن مردويه و ابن جرير عن أبي الحمراء قال: «حفظت رسول الله صلى الله عليه وآله و آله ثمانية أشهر بالمدينة، ليس من مرة يخرج إلى صلاة الغداة، إلا أتى إلى باب علي رضي الله عنه فوضع يده على جنبه الباب ثم قال: الصلاة الصلاة، (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً)، الصلاة رحمكم الله، كل يوم خمس مرات»، و أخرج الطبراني عن أبي الحمراء قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله و آله يأتي باب علي و فاطمة ستة أشهر فيقول: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً )

و أخرج الترمذي عن علي بن زيد عن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله و آله كان يمر ببيت فاطمة، عليها السلام، ستة أشهر، كلما خرج إلى الصلاة فيقول: الصلاة أهل البيت) إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً)، و أخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال: لما دخل علي رضي الله عنه بفاطمة رضي الله عنها جاء النبي صلى الله عليه وآله و آله أربعين صباحاً إلى بابها يقول: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله و بركاته، الصلاة رحمكم الله (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً، أنا حرب لمن حاربتكم أنا سلم لمن سالمتم .)

## غضب الله تعالى لغضب الزهراء

روى ابن سعد في شرف النبوة، عن علي رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله «يا فاطمة، إن الله عزوجل يغضب لغضبك، و يرضي لرضاك» و روى أبو نعيم في فضائل الصحابة و ابن عساکر و أبويعلی في مسنده عن علي عن النبي صلى

اللَّه عليه و آله و سلم أنه قال: «يا فاطمة، إن الله ليغضب لغضبك، و يرضى لرضاك» و روى الديلمي عن علي عن النبي صلى الله عليه و آله «إن الله عزوجل ليغضب لغضب فاطمة، و يرضى لرضاها»، و روى ابن أبي شيبة عن محمد بن علي عن النبي صلى الله عليه و آله: «إنما فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها فقد أغضبني.»

## طهارة الزهراء من الحيض

عن أسماء بنت عميس قالت «قُبلت، أي ولدت، فاطمة بالحسن، فلم أر لها دمًا فقلت يا رسول الله: إنني لم أر لها دمًا في حيض و لا نفاس، فقال صلى الله عليه و آله أما علمت أن ابنتي طاهرة مطهرة لا يرى لها دم في طمث و لا ولادة»، و روى النسائي و المحب الطبري عن ابن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه و آله «إن ابنتي فاطمة حوراء، إذ لم تحض و لم تطمت، و إنما سماها فاطمة لأن الله عزوجل فطمها و محبها عن النار» و في رواية الخطيب: ابنتي فاطمة حوراء آدمية لم تحض و لم تطمت، و إنما سماها الله فاطمة، لأن الله تعالى فطمها و محبها من النار» و في رواية الديلمي عن أبي هريرة: «إنما سميت فاطمة لأن الله فطمها و محبها من النار»، و قال الإمام أبو جعفر محمد الباقر، رضي الله عنه، لما ولدت فاطمة عليها السلام، أوحى الله إلى ملك فانطلق الله به لسان محمد صلى الله عليه و آله فسماها فاطمة، ثم قال صلى الله عليه و آله «إن الله تعالى فطمك عن الطمث.»

و قد قال أبوها العظيم صلى الله عليه و آله: «خلق الله نور فاطمة قبل أن يخلق الأرض و السماء، فقال بعض الناس: يا نبي الله، فليست هي إنسية، فقال صلى الله عليه و آله فاطمة حوراء إنسية»، و من علامات الحور العين أنها لا تطمت، فقد قال تعالى: (لم يطمثهن إنس قبلهم و لا جان)، و كذلك الزهراء فإنها كانت طاهرة من الحيض و النفاس، و قد أجمع المسلمون على أنها لم تر حيضاً و لا نفاساً، و هذه ميزة فريدة امتازت بها الزهراء، عليها السلام، على بنات حواء.

## أجرى الله تعالى الزهراء مجرى مريم

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سأل علي فاطمة ذات يوم، هل عندك شيء تغذيته، قالت لا، و الذي أكرم أبي بالنبوة، ما أصبح عندي شيء اغذيته، و لا أكلنا بعد شيئاً، و لا كان لنا شيء بعدك منذ يومين أو ثلث به على بطني و على ابني هذين، قال يا فاطمة، ألا أعلمتني حتى أغيكم شيئاً، قالت: إنني أستحي من الله إن أكلت ما لا تقدر عليه، فخرج من عندها واثقاً بالله، حسن الظن به، فاستقرض ديناراً، فبينما الدينار في يده أراد أن يتتاع لهم ما يصلح لهم، إذ عرض له المقداد في يوم شديد الحر، قد لوحته الشمس من فوقه و أدته من تحته، فلما رآه أنكروه، فقال يا مقداد، ما أزعجك من رحلك هذه الساعة، قال يا أبا الحسن: خل سيدي، و لا تسألني عما ورائي، قال: يا ابن أخي، إنه لا يحل لك أن تكتمني حالك، قال: أما إذا آبيت فوالله الذي أكرم محمداً بالنبوة ما أزعجني من رحلي إلا الجهد، و لقد تركت أهلي بيكون جوعاً، فلما سمعت بكاء العيال لم تحملي الأرض، فخرجت مغموماً ركباً رأسي، فهذه حالتي و قصتي، فهملت عينا علي بالبكاء حتى بليت دموعه لحيته، ثم قال: أحلف بالذي حلفت به، ما أزعجتني غير الذي أزعجك، و لقد افترضت ديناراً فهاك، و أوترك به على نفسي، فدفع له الدينار و رجع حتى دخل على النبي صلى الله عليه و آله فصلى الظهر و العصر و المغرب.

فلما قضى النبي صلى الله عليه و آله صلاة المغرب مر بعلي في الصف الأول فغمزه برجله، فسار خلف النبي صلى الله عليه و آله حتى لحقه عند باب المسجد، ثم قال صلى الله عليه و آله يا أبا الحسن: هل عندك شيء تغذيته، فقال له: نعم فنجي معك، فقال له: حياً و تكريماً، إذهب بنا، و كأن الله سبحانه و تعالى قد أوحى إلى نبيه صلى الله عليه و آله أن تعش عندهم، فأخذ الرسول بيده فانطلقا حتى دخلا على فاطمة، عليها السلام، في مصلاها، و خلفها جفنة تفور دخاناً، فلما سمعت كلام النبي صلى الله عليه و آله عليه و آله خرجت من المصلى فسلمت عليه، و كانت أعز الناس عليه، فرد عليها السلام، و مسح بيده على رأسها، و قال: كيف أمسيت، عشيتنا غفرالله لك، و قد فعل، فأخذت الجفنة فوضعتها بين يديه، فلما نظر علي ذلك و شم ريحه، رمى فاطمة بصره رمياً شميماً، فقالت: ما أشح نظرك و أشده، سبحان الله، هل أذنت فيما بيني و بينك ما استوجب به استخطة، قال، وأي ذنب أعظم من ذنب أصبته اليوم، أليس عهدتي بك اليوم، و أنت تحلفين بالله مجتهدة ما طعمت طعاماً يومين، فنظرت إلى السماء فقالت: إلهي يعلم ما في سمائه، و يعلم ما في أرضه، إنني لم أقل إلا حقاً، قال، فأتى لك هذا الذي لم أر مثله، و لم أشم رائحته، و لم أكل أطيب منه، فوضع الرسول صلى الله عليه و آله كفه المباركة بين كتفي علي، ثم هزه، و قال: يا علي هذه ثواب الدينار، و هذا جزء الدينار، هذا من عند الله يرزق من يشاء بغير حساب، ثم استعبر النبي صلى الله عليه و آله عليه و آله باكياً، و قال: الحمد لله الذي لم يخرجك من الدنيا حتى يجزيك يا علي من المجرى الذي فيه زكريا، و يجزيك يا فاطمة في المجرى الذي فيه مريم، (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً، قال يا مريم أني لك هذا.)

و روى الزمخشري في الكشاف عند قصة زكريا و مريم، عليها السلام، عن النبي صلى الله عليه و آله أنه جاع في زمن فحط، فأهدت له فاطمة رغيفين و بضعة لحم إترته بها، فرجع بها إليها، و قال: هلمني يا نبي، و كشف عن الطبق، فإذا هو مملوء خبزاً و لحمًا، فبهتت، و علمت أنها نزلت من الله سبحانه و تعالى، فقال لها: أتى لك هذا، قالت: هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب، فقال: الحمد لله الذي جعلك شبيهة (مريم) سيدة نساء بني إسرائيل، ثم جمع صلى الله عليه و آله عليه و آله علي بن أبي طالب و الحسن و الحسين و جميع أهل بيته، رضي الله عنهم، حتى شبعوا، و بقي الطعام كما هو، و أوسعت فاطمة جيرانها.

## حفظ ذرية النبي في ذرية الزهراء

لقد أكرم الله سبحانه و تعالى الزهراء بان حفظ ذرية نبيه صلى الله عليه و آله في ذريتها و أبقى عقبه في عقبها، فهي وحدها، دون بناته و بنيه، أم السلالة الطاهرة و العترة الخيرة، و الصفوة المختارة من عباد الله من أمته لأن النبي الذكور ماتوا جميعاً و هم أطفال لم يشبوا عن الطوق، و لم يبلغوا الحلم بعد، و أما بناته صلى الله عليه و آله فلم يتركن وراءهن أطفالاً، ما عدا السيدة زينب، رضي الله عنها، التي لم تنجب سوى علي الذي مات صغيراً، «و أمانة» التي تزوجها الإمام علي بعد الزهراء، بوصية منها، ولكنها لم تنجب له أولاداً و لم يبق من بناته الطاهرات إلا الزهراء ابنتول، و قد ولدت للإمام علي الحسن و الحسين (و محسن) الذي مات صغيراً) و أم كلثوم و زينب الكبرى الشهيرة بعقيلة بني هاشم، رضي الله عنهم أجمعين، و لم يكن الرسول الله صلى الله عليه و آله عقب إلا من فاطمة الزهراء، و أعظم بها مفخرة، و هكذا كان من ذرية الزهراء، من أبناء الحسن و الحسين جميع السادة الأشراف، ذرية رسول الله صلى الله عليه و آله.

و روى الطبراني و الخطيب عن ابن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه و آله، له بيعت الله نبياً قط، إلا جعل ذريته من صلبه غيري، فإن الله جعل ذريتي من صلب علي، رضي الله عنه، و روى الإمام أحمد و الطبراني و أبو يعلى و المحب الطبري إن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، خطب إلى علي بن أبي طالب أم كلثوم فاعتل عليه بصغرها، فقال إنني لم أرد الباه، و لكنني سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: كل سب و نسب منقطع يوم القيامة ما خلا سببي و نسبي، و كل ولد أب فإن عصبتهم لأبيهم، ما خلا ولد فاطمة، فإني أنا أبوهم و عصبتهم» و أخرج الطبراني عن عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه و آله و

سلم: «كل بني أنتى فإن عصبتهم لأبيهم، ما خلا ولد فاطمة، فإنى أنا عصبتهم، و أنا أبوهم»، و عن فاطمة عليها السلام عن النبي صلى الله عليه و آله لكل بني أنتى عصبة ينتمون إليه، إلا ولد فاطمة، فانا وليهم، و أنا عصبتهم»، و روى الطبراني و أبو نعيم في فضائل الصحابة عن فاطمة عن النبي صلى الله عليه و آله: «والله ما من نبي إلا و ولد الأنبياء غيري، و إن عباس سيدا شباب أهل الجنة، إلا ابني الخالة يحيى و عيسى». و عن ابن عبيك رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه و آله «خلق الناس من أشجار شتى، و خلقت أنا و علي بن أبي طالب من شجرة واحدة، فما قولكم من شجرة أنا أصلها، و فاطمة فرعها، و علي لقاحها، و الحسن و الحسين ثمرتها، و شيعتنا أوراقها، فمن تعلق بغص من أغصانها ساقه إلى الجنة، و من تركها هوى إلى النار»، و في رواية «أنا شجرة، و فاطمة فرعها، و علي لقاحها، و الحسن و الحسين ثمرتها، و شيعتنا ورقها، فالشجرة أصلها في حنة عدن، و الأصل و الفرع و اللقاح و الثمر الورق في الجنة.»

و هكذا كان نسل علي و فاطمة نسلاً مباركاً للنبي صلى الله عليه و آله ثم إن النبي صلى الله عليه و آله إنما كان يدعو الحسن و الحسين ابنيه، فيقول صلى الله عليه و آله في الحسن «إن ابني هذا سيد»، و أخرج الترمذي عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه و آله كان يقول لفاطمة: «ادعي ابني فيشمهما و يضمهما إليه»، أضف إلى ذلك أنه لما نزلت آية المباهلة (آل عمران 61) دعا النبي صلى الله عليه و آله علياً و فاطمة و الحسن و الحسين و خرج للمباهلة، و أخرج الحاكم عن جابر قال، قال رسول الله صلى الله عليه و آله «لكل بني أم عصبة، إلا ابني فاطمة، فانا وليهم و عصبتهم.»

## الزهاء سيدة نساء العالمين و أفضلهن

روى ابن عبد البر في الاستيعاب عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال: لفاطمة: يا بنية ألا ترضين أنك سيدة نساء العالمين، قالت: يا أبت فأين مريم، قال: تلك سيدة نساء عالمها فإذا احتج البعض بقوله تعالى في آل عمران (قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) قلنا على نساء عالم زمانها، و ذلك كقوله تعالى لموسى (إني اصطفتك على الناس) و كقوله تعالى عن نبي إسرائيل (و لقد اخترناهم على علم على العالمين) و قال تعالى (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم و أني فضلتكم على العالمين) و معلوم، كما يقول ابن كثير في البداية و النهاية، أن إبراهيم عليه السلام أفضل من موسى، و أن محمداً صلى الله عليه و آله أفضل منهما، و كذلك هذه الأمة أفضل من سائر الأمم قبلها، و أكثر عدداً و أفضل علماً و أزكى عملاً من بني إسرائيل و غيرهم.

و روى الإمام أحمد في المسند عن حذيفة بن اليمان قال: دخلت على أمي يوماً فسألتني: هل رأيت رسول الله صلى الله عليه و آله، فقلت لها منذ كذا و كذا، لم أره، فثالت مني و نهرتني، فلما رأيتها غضبي قلت لها: دعيني فإنني ذاهب إليه، وسأصلي معه المغرب، ثم لا أدعه حتى يستغفر لي، قال حذيفة فأثبت النبي صلى الله عليه و آله فصليت معه المغرب و العشاء ثم انصرف النبي صلى الله عليه و آله من صلاته فتبعته، و بينما نحن في طريقنا عرض للنبي صلى الله عليه و آله عارض فناجاه، ثم ذهب فبعثته أيضاً فسمع مشيتي خلفه، فالتفت إلي و قال من هذا، قلت حذيفة بن اليمان يا رسول الله، فقال لي مالك، فحدثته بحديث أمي، فقال لي: غفر الله لك و لأهلك، ثم قال لي: أما رأيت العارض الذي عرض لي، فقلت له نعم يا رسول الله، فقال: ذلك ملك من الملائكة لم يهبط إلى الأرض قط قبل هذه الليلة، و قد استأذن ربي في أن يسلم علي و يبشرنني أن الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة، و أن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين.»

و روى الصادق في الأمالي بسنده عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال في فاطمة «و إنها لسيدة نساء العالمين»، فقبل يا رسول الله: أهي سيدة نساء عالمها؟ فقال تلك مريم ابنة عمران، فأما ابنتي فاطمة فهي سيدة نساء العالمين من الأولين و الآخرين»، و عن عائشة رضي الله عنها إن النبي صلى الله عليه و آله قال، و هو في مرضه الذي توفي فيه، يا فاطمة، ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين، و سيدة نساء هذه الأمة، و في رواية الحاكم في المستدرک: «يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين، و سيدة نساء هذه الأمة» و عن عمران بن حصين أن الرسول صلى الله عليه و آله قال لفاطمة: «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين، قالت: فأين مريم ابنة عمران، قال لها: أي بنية، تلك سيدة نساء عالمها، و أنت سيدة نساء»

العالمين»، و أخرج الطبراني بإسناد على شرط الشيخين عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت أحداً قط أفضل من فاطمة غير أبيها.»

وهكذا ذهب كثير من العلماء المحققين، و منهم التقى السبكي و الجلال السيوطي و البدر الزركشي و التقى المقرئ و البلقيني و السهيلي، أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و آله أفضل نساء الدنيا، حتى مريم ابنة عمران، و عبارة السبكي حين سئل عن ذلك، فقال: الذي نختاره أن فاطمة بنت محمد صلى الله عليه و آله أفضل، و سئل عن ذلك ابن أبي داود، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه و آله قال: «فاطمة بضعة مني، و لا أعدل بضعة رسول الله أحد» و يقول السهيلي: و هذا استقرار حسن، و يشهد لصحة هذا الإستقرار أن أبالبابة، حين ربط نفيه في المسجد، و حلف أن لا يحله إلا رسول الله صلى الله عليه و آله فجات فاطمة لتحلّه فأبى من أجل قسمه، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: إنما فاطمة مضعة مني، فحلته.

هذا و قد ذهب الأوسمي في تفسيره (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني) إلى أن فاطمة البنول أفضل النساء المتقدمات و المتأخرات من حيث أنها بضعة رسول الله صلى الله عليه و آله، و هذا يدل على أفضليتها على عائشة، رغم من احتج بفضل عائشة بحديث «خذاوا ثلثي دينكم عن الحميراء» و حديث «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام»، و القول بأن عائشة يوم القيامة في الجنة مع زوجها رسول الله صلى الله عليه و آله، و فاطمة مع زوجها علي ابن أبي طالب، و فرق عظيم بين مقام النبي صلى الله عليه و آله و مقام علي، و كل ذلك لا يدل على فضل عائشة على الزهراء لأسباب كثيرة، مهها (أولاً) أن قصارى ما في الحديث الأول، على تقدير ثبوته، إنما يدل على أن السيدة عائشة كانت عالمة، و هذا لا يدل على نفي العلم المماثل لعلمها عند الزهراء، بضعة رسول الله صلى الله عليه و آله، و لعلمه صلى الله عليه و آله أن الزهراء لا تبقى بعده طويلاً، أي زماناً معتداً به يمكن أخذ الدين عنها فيه، و لهم لم يقل فيها ما قاله في عائشة، و لو علم لربما قال «خذاوا كل دينكم عن الزهراء» و عدم هذا القول على من دل العقل و النقل عن علمه، لا يدل على مفضوليته، و إلا لكانت عائشة أفضل من أبيها الصديق رضي الله عنه لأنه لم يرو عنه في الدين إلا قليل، لقلته لبثه بعد رسول

الله صلى الله عليه و آله، و منها (ثانياً) قول النبي صلى الله عليه و آله: «إني تركت فيكم الثقلين، كتاب الله و عترتي، لا يفترقان حتى يرثي علي الحوض»، يقوم مقام ذلك الخبر و زيادة، كما لا يخفى، كيف لا، و فاطمة (رضي الله عنها) سيدة تلك العترة. و منها (ثالثاً) أن حديث «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام» معارض لقوله صلى الله عليه و آله «فضل خديجة على نساء أمتي، كما فعلت مريم على نساء العالمين»، بل إن هذا الحديث الأخير أظهر في الأفضلية، و أكمل في المدح عند من انجاب عن عين بصيرته عن التعصب و التعسف، لأن ذلك الخبر، و إن كان ظاهراً من الأفضلية، ولكنه قيل، و لو على بعد، إن «أل» في النساء، فيه للعهد، والمراد بها الأزواج الطاهرات الموجودات حين الإخبار، و لم يقل مثل ذلك في هذا الحديث (حديث فضل خديجة)، و منها (رابعاً) أن القول بأن عائشة ستكون في الجنة مع زوجها رسول الله صلى الله عليه و آله و أن فاطمة ستكون مع زوجها الإمام علي، و فرق كبير بين مقام النبي صلى الله عليه و آله و علي، قياس مع الفرق يستدعي أن تكون سائر زوجات النبي صلى الله عليه و آله و آله أفضل من سائر الأنبياء و المرسلين، عليهم الصلاة والسلام، لأن مقامهم بلا ريب، ليس كمقام صاحب المقام المحمود سيدنا و مولانا محمد رسول الله صلى الله عليه و آله و آله فلو كانت الشركة في المنزل مستدعية للأفضلية لزم ذلك قطعاً، و هذا ما لم يقل به أحد.

و منها (خامساً) الأحاديث الشريفة المذكورة هنا في أول هذا البند من فضائل الزهراء (رقم 13) و أنها سيدة نساء العالمين، و هي أحاديث تقول بلسان عربي مبين لمن لا يريد أن يتجاهل فضل الزهراء، أن فاطمة سيدة نساء العالمين، و هناك حديث متفق عليه،



عن عائشة نفسها، أن النبي صلى الله عليه وآله قال لفاطمة: «ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المومنين» (رواه البخاري و مسلم و أحمد و ابن سعد) و لم يأت لمريم ذكر، و هكذا فضلت فاطمة لأنها بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله و آله، و لا يمكن أن يعدل مسلم بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله و آله أحداً، و منها (سادساً) أنه لما أقسم أبولبانة عندما ربط نفسه في مسجد ألا يحله أحد إلا رسول الله صلى الله عليه وآله، و جاءت فاطمة لتحله فأبى، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنما فاطمة بضعة مني» فحلته. و منها (سابعاً) قال